موسوعة أشراط الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الخامس

المسيح الدجال

بين الجِبت والطَّاغُوت

تأليف/ الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقى

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



القيامة الصغرى على الأبواب
الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٢٠ - ١٩٩٩ م

رقـــم الإيـداع : ٣٥٣٩ / ٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 8175 - 7

عبد الرحمن فاروق دسوقي

موسوعة أشراط الساعة

٦

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الخامس

المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت

الأستاذ الدكتور

فاروق أحمد الدسوقى

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وعلى أصحابه وعلى الذين إتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثُمَّ أما بعد ،

فقد أعْيَتْ شخصيةُ المسيح الدجال - بما ورد عنها من أخبار فى نصوص الوحى - الباحثين والمؤلفين ، وكما حيَّرتْ طلاسمَه العلماء والمفكرين ، وأقلقت فتنتهُ النساك والواعظين من كل مِلةٍ ودين .

من هو المسيح الدجال ؟

ومن أبوه ومن أمه ؟

بل ما هو المسيح الدجال ؟

آدمى هو أم جنى ؟

وانسان هو أم شيطان ؟

ومتى بدأ وجوده ؟

وأين بدأت حياتُه ، أفي الأرض أم فى السماء ؟!

وما سر حياته الممتدة الطويلة ؟

وما هو مُبْتَغَاه أو غايته النهائية الأخيرة ؟

وما هى حقيقة خوارقه الغَرْيبة العديدة ، مع أنه مصدر الشر والإفساد ، ورأس الكفر والإضلال ؟

صحيح أنه لن يكون أول من أدعى الألوهية ، لكنه سيكون أول من يدعيها على مستوى سائر البشرية .

أهو إذاً ، إبليس رأس الشياطين ؟

أم هو الجبت رئيس الملاعين ؟

أم هو الطاغوت معبود غير الموحدين الوثنيّين منهم والمثلثين والملحدين ؟

وإذا لم يكن المسيح الدجال واحداً من رؤوس هذا المثلث النجس : إبليس الجبت الطاغوت ، أفلا يكون للدجال صلة بهذا الثالوث ؟ أليسوا جميعاً - أى الدجال وهؤلاء الثلاثة - رؤوساً لمملكة الشر وقادة لحزب الشيطان ؟! لقد أنكر بعض المنتسبين إلى العلم المسيح الدجال وأدى بهم إنكارهم هذا إلى إنكار المهدى عليه السلام ، ثم إنكار نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وحجتهم على هذا الإنكار أنه لم يرد فى القرآن الكريم ذكر صريح للمسيح الدجال بهذا الاسم الذى جاءت تحته الأخبار عنه فى السنة الشريفة .

ولقد أخطأ هؤلاء المنكرون الذين لم يصدر إنكارهم إلا عن جهلهم بكتاب الله تعالى وبسنة نبيّه ﷺ أو عن جهلٍ بهما مع زيغ فى القلوب .

ولهؤلاء ولسائر المنكرين أقول : إن أخبار الدجال موجودة فى القرآن الكريم مع كل فصل من فصول قصة الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، إبتداء من

المشهد الأول للفصل الأول في هذا الصراع الذى بدأ في السماء ، ولا زال مستمراً وسيستمر حتى المشهد الأخير من الفصل الأخير ، الذى ينتهى بمقتل الدجال وإسلام البشرية قاطبة لله رب العالمين على يد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما السلام قائداً لجند الله المسلمين أتباع النبى المصطفى الخاتم سيد ولد آدم الماحى الذى سيمحى به الله تعالى الكفر من على وجه الأرض وبالمجاهدين من أمته ﷺ تحت قيادة المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام لتكون خاتمة الصراع الطويل كما أخبرنا الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ « المجادلة / ٢١ » وكما قال تعالى أيضاً ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾ « الأعراف / ١٢٨ »

لقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر القرآن بقوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾ « النساء / ٨٢ » وبيّن لنا رسول الله ﷺ كيف يكون تدبر القرآن بقوله ﷺ ﴿ أحرثُوا القرآن ﴾ (١) .

فتعالوا معى إخوانى القراء نتدبر القرآن فنحرثه سوراً وآياتٍ وكلماتٍ وحروفاً وسطوراً وما بين السطور لنستخرج منه حقائق عن مملكة الشر أو قيادة حزب الشيطان وجنوده من الشياطين والأبالسة والطواغيت ، لكى نصل إلى إجابة على ما طرحناه من أسئلة عن المسيح الدجال ، لعلنا نتوصل - بعون الله وتوفيقه - إلى إستخراج حقيقته من بين أسرار الجبت وطلسمات الطاغوت .

---

(١) ذكره القرطبى في تفسيره في معرض قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ .. إلى قوله تعالى ﴿ والأنعام والحرث ﴾

أسأل الله العليم الحكيم أن يرزقنى الحكمة وفصل الخطاب وأن يجعل عملى كله خالصاً لوجهه ، وهو سبحانه وحده من وراء القصد والهادى إلى سواء السبيل وصلى اللهم على عبدك ونبيك وحبيبك المصطفى الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم .

د . فــــاروق الدسوقـــــى

الإسكندريـــــة فى ١٦ ربيع أول ١٤٢٠

٣٠ يونــــــيو ١٩٩

الفصـــل الأول

من ذا الذى يتطاول من العبيد
ويزعم أنه إله مع رب العالمين . ؟!

سبحان الخالق العظيم وتعالى عما يشركون :

كان الله ولا شئ قبله سبحانه ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم** ﴾ « الحديد / ٤ » من دعاء رسول الله ﷺ « .. أنت الأول الذى ليس قبلك شئ وأنت الآخر الذى ليس بعدك شئ وأنت الظاهر الذى ليس فوقك شئ وأنت الباطن الذى ليس دونك شئ اقضى عنا الدين وإغننا من الفقر)[١]

سبحانك خلقت كل شئ فصار المخلوق موجوداً بعد أن لم يكن شيئاً ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شئ قبلك ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شئ قبلك ، سبحانك لا إله غيرك ولا رب للعالمين سواك .

روى البخارى بسنده (عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئنا للتفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ، ما كان ؟

قال : كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض وكتب فى الذكر كل شئ ﴾

وروى الترمذى بسنده (عن أبى رزين العقيلى ، قلتُ يا رسول اللهْ أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على المـــاء) والمعنى أنه لم يكن شئ قبل خلق الله للسماوات والأرض ، حتى ولا المكان ولا الزمان لأنهما مخلوقان مع خلق السماوات والأرض بل إن وجود هما هو وجود السماوات والأرض .

ولما كان سؤال أبى رزين عن المكان لقوله (أين كان ربنا ؟) عبر رسول الله ﷺ عن حقيقة نفى المكان والزمان عنه سبحانه بقوله (كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء) أى لم يكن فى مكان ولم يكن معه شئ ولا يحيط به فراغ وهو سبحانه لا يزال فوق المكان وخارج الزمان لأنهما من خلقه .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

وكذلك الإنسان لم يكن قبل خلقه شيئاً مذكوراً ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ « الإنسان / ١ - ٢ » فهو سبحانه الذى بدأ الخلق وحده ، وهو سبحانه الذى سيعيده وحده قال تعالى ﴿ **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ « الأنبياء / ١٠٤ » والمعنى أن العزيز الجبار جل وعلا سيطوى السماء بيمينه كما تطوى صفحات الكتاب فى السجل أى بين جلدتيه ، روى البخارى بسنده عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه) .

كما أورد ابن كثير فى تفسيره بسنده إلى ابن عباس قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليفة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك فى يده بمنزلة خردلة) أى فى يد أحدكم ، سبحان الله العظيـــــم ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ « الزمر / ٦٧ »

فمن كانت هذه قوته ، ومن كانت هذه عظمته ، ومن كان هذا جبروته ، هل يجرؤ أحد من خلقه - وكلهم عبيده - ويزعم أنه إله من ذا الذى يدّعى أنه ند له سبحانه ؟!

من ذا الذى يتطاول ليعدل نفسه به عز وجل ؟!

من ذا الذى يستكبر من خلقه - مهما عظم حجمه - ويعلن للخلق أنه رب العالمين ، منازعاً الخالق عز وجل ملكه وربوبيته ؟!

- إن كان أحد من خلقه فاعلاً ذلك فلن يكون إلا من الثقلين : الإنس والجن المخلوقين المبتليْين المُخيَّرين ، ومن ثم فلن يفعل هذا إلا مخلوق صغير الحجم فلا السماوات ولا الأرض ولا النجوم ولا الشمس ولا القمر ولا الجبال تجرؤ أن تفعل هذا ، بالرغم من أن السماوات فى كف الخالق عز وجل بمنزلة حبة خردل فى كف الإنسان

، والإنسان وما على الأرض فى السماوات مجرد هباءة ﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ « غافر / ٥٧ » ومع هذا فقد وردت الأخبار فى السنة عن إنسان سيزعم أنه رب العالمين ، يخرج فى آخر الزمان يدعى أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس .

– من ذا الذى سيفعل ذلك ؟!

– إنه المسيح الدجال ، الذى بوّب له أصحاب الصحاح والسنن والمصنفات الحديثية أبواباً عن صفاته وأعماله وضلالاته وأفساده وخروجه الذى سيعلن خلاله أنه رب العالمين ويجد من الاتباع الذين يستقبلونه فى كل عواصم الدنيا ، فلا يدع عاصمة إلا ويدخلها ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، لقد وردت فى الدجال عشرات الأحاديث بل ربما تتعدى المائة بكثير ولا زال المسلمون يختمون دعاء التشهد بالإستعاذة بالله من فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال .

– لكن البعض ممّن ينتسبون إلى العلم يرفضون التصديق بالدجال ، وحجتهم فى هذا أنه لم يرد عنه ذكر فى كتاب الله عز وجل ، ومن ثم يضعّفون أخباره فى السنة ، قائلين :

إن شخصية الدجال كما جاءت فى السنة تعتبر أخطر الشّخصيات البشرية فى تاريخ الدنيا كلها ، ولو كانت أخباره صحيحة لو وردت فى القرآن الكريم .

– هذا حق ، فليس من المقبول لا عقلاً ولا نقلاً أن لا يرد عنه ذكر فى الكتاب الحكيم وقد قال الله تعالى ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شئ** ﴾ وهذا ما يلزمنا بالرجوع للكتاب الحكيم باحثين مدققين بمنهج إخصائى إستقصائى شامل ، موقنين أنه لا بد أن يتضمن القرآن الكريم أخبار المسيح الدجال ولكن ليس بالضرورة تحت اسم المسيح الدجال ، يؤكد هذا أن أخبار شخصيات كثيرة فى مملكة الشر ومخططات الإفساد مذكورة فى القرآن الكريم ، وهى أقل شراً وخطراً وإفساداً مما أخبرت عنه الأحاديث

المتضمنة لفتنة الدجال .

ألم يرد فى الأحاديث أن فتنته أعظم الفتن قاطبة منذ آدم إلى نهاية الدنيا ؟! بلى . فكيف إذن يرد فى القرآن الكريم ذكر لأخبار من هم دونه من أصحاب الفتن الصغيرة الجزئية ، ولم يرد ذكر له ؟! لعله يكون هو إبليس الذى رفض السجود لآدم وتوعد نبيه بالإضلال .

- لا ، ليس هو إبليس الجنى ، لأن المسيح الدجال آدمى من البشر .

- إذاً فهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم باسم الطاغوت .

- ليس صحيحاً لأنه لو كان أحداً أولى بهذا الاسم باعتباره نبع الشر الأول لكان الشيطان أو إبليسى الجنى ، كما أن تفسير المفسرين للطاغوت لا يصدق على كل ما جاء عن الدجال فى السنة وإن تطابق مع البعض .

- فهل هو الجبت إذاً ؟!

- تفسير المفسرين للجبت لا يصدق أيضاً على كل ما جاء عنه فى السنة وإن صدق على البعض .

- لكن إذا سلمنا أن فى الوجود الابتلائى من سيتطاول ويتطلع للتأله سواء أكان إبليساً جنياً أم أنسياً ، طاغوتاً أم دجالاً أم جبتياً ، فهل سيجد من الناس من يؤمن به ؟!

هل سيجد من الناس من يصدق خرافة ندّيته لرب العالمين ؟!

- بل قل هل سينجو من فتنته أحد ؟

- كيف وقد أخذ الله الميثاق على بنى آدم إذ أخذهم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ . فقلنا : بلى شهدنا .

- ومع هذا فسيؤمن به أكثر الناس .

- كم النسبة ؟

- ٩٩٩ من كل ألف ، فلا ينجو من الألف إلا واحد فقط .

- هذه النسبة على مستوى الجيل الذى سيخرج فيه المسيح الدجال ؟

- لا ، بل هذه النسبة على مستوى البشرية منذ عهد آدم إلى قيام الساعة ٩٩٩ فى النار وواحد فى الجنة .

- كيف يضلون بفتنته حتى قبل أن يخرج ويدعى أنه رب العالمين ؟

- لأنه موجود قبل أن يخرج وهو أحد أضلاع مثلث الشر : إبليس الجبت الطاغوت .

- إذاً فمن يكون هذا الآدمى الشقى المذكور فى السنة باسم المسيح الدجال ؟

- هذا ما سنحاول معرفته فى الكتاب والسنة بعون الله وتسديده وهديه .

- ليس قبل الإجابة على سؤال هام وملح .

- ما هو ؟

- ما الحكمة التى من أجلها أذن الله تعالى لبعض خلقه أن يتطاولوا فيعدلون أنفسهم به عز وجل ويزعمون أنهم أنداد وشركاء له أو أرباب من دونه ؟

- الإجابة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى .

الفصـــل الثانـــي

الحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا

الحكمة الإلهية من خلق السماوات والأرض والإنسان في الحياة الدنيا :

الحكمة صفة ذاتية لله عز وجل ، كالعلم والقدرة والحياة ، ومن أسمائه الحسنى سبحانه الخالق والحكيم والعليم والقدير والمُحْيِي .

قال تعالى﴿ **إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ (الانسان/ ٣٠) وقال سبحانه ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم** ﴾ « الزمر / ١ » ، ومع أنها جميعاً صفات ذاتية لله عز وجل إلا أن لكل صفة من صفاته علاقة بالمخلوق .

أما تعلق خلقه سبحانه بالمخلوق فمن حيث إيجاده بعد عدم . وأما تعلق علمه سبحانه بالمخلوق فمن حيث كون هذا المخلوق معلوما لله عز وجل ، وأما تعلق قدرته سبحانه بالمخلوق فمن حيث كونه مقدوراً له عز وجل قبل وبعد خلقه ، وتعلق إرادته سبحانه بالمخلوق فمن حيث كونه مراداً له بالكيفية أو بالماهية التى عليها المخلوق وعلى النحو الذى هو به كائن . أما تعلق الحكمة الالهية بالمخلوق فمن حيث حدوث المخلوق بماهيةٍ وكيفيّةٍ وحقيقةٍ وفطرةٍ و طبيعةٍ معينة محددة أى بخلقةٍ محققةٍ للأمر الذى خلقه الله تعالى من أجله ، لأن خلق الله عزوجل للمخلوق ، وكذلك فعله سبحانه فى غيره من خلقه ، لا يكونان عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، لتنزهه سبحانه عن هذا كله ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى** ﴾ (طه / ٥٠) أى هداه لتحقيق الهدف من وجوده ويسره لما خُلق له .

وكما أنه سبحانه لا يخلق ولا يفعل عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، فإنه لا يخلق ولا يفعل لغاية أو لهدف يريدهما لنفسه سبحانه ، لأنه الغنى عن غيره المنزه عن النقص والمنعوت بالكمالات المطلقة ، ومن ثم فهو لا يخلق مخلوقاً أو يفعل فعلاً لفائدة يريدها لنفسه سبحانه ، فإذا لم يكن قد خَلَقَهُ أو فَعَلَهُ لهدف أو لغاية أو لفائدة ، ولم يكن فِعْلُه أو خَلْقهُ كذلك عبثاً أو لهواً أو لعباً ، فلماذا يخلق الله تعالى ، ولماذا يفعل سبحانه ؟! الإجابة هى أن الله تعالى يخلق ويفعل لحكمة لأنه حكيم ، لأن العبث واللهو واللعب أحوال نافية للحكمة ، كما أن الحكمة نافية لها جميعاً ، فاتصافه سبحانه بالحكمة

يعنى تنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة أو ما يماثلها وتنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة إثبات لصفة الحكمة له عز وجل .

وتعلق الحكمة الالهية بالمخلوق يكون من حيث كون هذا المخلوق مخلوقاً لأمر جد ، وليس لأمر هزل أو للعبث أو اللهو ، لذلك كان النبى ﷺ يناجى ربه فى افتتاح الصلاة بقوله (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك) ومعنى قوله ﷺ (تعالى جَدُّكَ) أى علا خطر أمرك وتناهت عظمة حكمتك وتنزه أمر الخلق من الهـزل والعـبث واللهـو : فـأمر الله عـز وجل جـد وليس أعلى من هذا الجـد فى الوجـود .

ومن أجل هذا الأمر الجد خلق الله تعالى الانسان الذى هو أكرم الخلق وله حكمة عظيمة جليلة بإعتبار أن الانسـان هو أهم مخلوقات الله عز وجل وأعلاها وأجلها وأكرمها عنده .

وترتبط الحكمـة من خلق المخلوق بوجـوده إرتبـاطاً وثيـقـاً ولا تفـارقه فى مرحلة من مراحل وجوده ، وذلك لأنها ترتبط بالغاية من وجوده والهدف من حياته ومع أن الله عز وجل منزه عن أن يكون له غـاية أو هدف من الخلق ، فـإن هذا لا ينفى ان يكون للمخلوق غاية أو هدف سواء جلب نفع أو دفع ضر أو أذى ، لأن حقيقة المخلوقية تكمن فى الفـقـر والضعف والتداعى للفناء ، ومن ثم تكون غاية المخلوق مـرتبطة بوجـوده من ناحية ، كما أن أهداف المخلوقات مرتبطة ومنبثقة من طبيعتها المؤدية إلى إستمرار وجودها والإنسان خليفة الله تعالى فى الأرض سخر الله تعالى له ما فى الأرض جميعاً ، فهو أكرمها وأفضلها ، خلقه الله تعالى لحكمة وخلق السماوات والأرض لنفس حكمة خلق الانسان ، ومن ثم فالسماوات والأرض والكائنات الأخرى مخلوقة لتحقيق الحكمة من الوجود الانسـانى ، وهذا يدل على أن السـمـاوات والأرض وكل ما فى الأرض مـخلوق للإنسـان وليس العكس ، قال تعـالى ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليـم** ﴾ « ٢٩ / البقرة »

فما هى الحكمة من خلق الانسان التى هى أيضاً الحكمة من خلق السماوات والأرض ؟

الحكمة العليا من الخلق هى ابتلاء الانسان قال تعالى ﴿ **وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ « هود / ٧ » فخلق السماوات والأرض وكل ما فيها ، وطبائع جميع المخلوقات السماوية والأرضية أبدعها الله تعالى لتكون صالحة جميعاً لابتلاء الإنسان وبقول أدق لابتلاء الانس والجان باعتبار أن الخطاب القرآنى موجه للإنس والجن ومعاً ، ومن حيث أن رسول الله ﷺ النبى الخاتم والمنزّلة عليه الرسالة الخاتمة مبعوث للإنس والجن جميعاً .

الاضداد والنقائض في الحياة الدنيا مختلطة لتحقيق الابتلاء :

فجعل الله تعالى الموت والحياة والظلمات والنور والفجور والتقوى وكوارث الأرض وزينتها وشفاء الحياة الدنيا ومتاعها والذكر والأنثى والفقر والغنى والمرض والصحة والحرب والسلم والشر والخير والألم واللذة ، وسائر المتناقضات والاضداد فى هذه الحياة الدنيا لتحقيق الابتلاء باعتبار أن الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان فى هذه الحياة الدنيا بسمائها وأرضها ، ومن ثم خلق الله تعالى هذه الحياة الدنيا مملوءة بالنّقائض والأضداد ، فليس فيها شئ إلا ويوجد نقيضه ، لأن الابتلاء الذى هو الامتحان يتحقق فى الوجود الإنسانى الدنيوى من خلال صراع المتناقضين ، ولو خلت الحياة الدنيا من المتناقضات لما صلحت للإبتلاء ، وتتبيّن لنا هذه الحقيقة واضحة جلية إذا إستعرضنا أحوال الحياة الآخرة كما وردت فى الكتاب والسنة بعامة عن أحوال الجنة والنار حيث قد ورد عنه قوله ﷺ : (ما فى الآخرة من دار إلا الجنة أو النار) والجنة دار للنعيم بل هى أفضل دار للنعيم المقيم كما أن النار دار للعذاب والشقاء ، بل هى أبدع دار للعذاب الأبدى الدائم ، ومن ثم فليس فى الجنة موت أو شقاء أو ألم أو مرض أو حزن أو حرب أو حتى أدنى مُنَغصّ أو مسبب لأقل ضيق أو حتى أصغر قلق أو نصب فالحياة الأخروية فى الجنة متاع خالص دائم ، ومن ثم ليس فى الجنة من الأضداد شئ لأن كل ما فيها

خير محض وسلام دائم ونعيم خالص وحياة طيبة نقية من الخبث والشر والألم ، حتى أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، واللغو هو الخطأ اللفظى ومن ثم فإنعدامه من الجنة يفيد انعدام الخطأ السلوكى ، ولا يصيب أهلها أدنى نصب أو تعب ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ « ٣٤ - ٣٥ / فاطر » واللغوب أهون التعب أما نقائض كل ما فى الجنة وأضداده فيفصله الله عز وجل ويركمه على بعضه فى دار العذاب ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ « ٣٦ - ٣٧ / فاطر » فليس فى جهنم ، والعياذ بالله منها ، الا العذاب الاليم ، والألم العظيم والشر المحض الخالى من أقل الخير وأدنى المتاع ، ليس فيها شئ واحد طيب وإن صغُر ،ذلك أن الله عز وجل جمع فيها كل ما هو شرير خبيث ليعذبهم فيها بهذا العذاب الأليم ، وهذا هو اللازم الحتمى للابتلاء فى الدنيا قال تعالى: ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جمعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾« ٣٧ / الانفال» أى أن الحكمة من خلق السماوات والأرض فى الحياة الدنيا ابتلاء الانس والجن ، والحكمة من الابتلاء هى فصل الخبيث عن الطيب وجعل كل ما هو طيب فى الجنة : الطيبون لهم الحياة الطيبة فيها ابداً ، وجعل كل ما هو خبيث فى النار : الخبيثون لهم الحياة الخبيثة الأليمة فيها ، ومن ثم يمكن القول أن النقائض والمتضادات مختلطة ممتزجة متفاعلة ، ومن ثم فهى متصارعة فى الحياة الدنيا لتحقيق الابتلاء من خلال التفاعل والتصارع بين كل شئ وضده ، وكل حال ونقيضه ، وكل فريق وعدوه ، فيتولد من هذا كله الابتلاء الذى هو الحكمة من الحياة الدنيا ، فإذا ما انتهت الحياة الدنيا وصار الناس فى الحياة الآخرة التى هى دار لجزاء الخير بالخير والشر بالشر فإن الله عز وجل يفصل ويفرق بين النقيضين من كل

شيء وبين الضدين من كل حال ، فيجعل عالماً للخير والنعيم لا يسكنه الا الطيبون ، والآخر للشر والعذاب لا يسكنه إلا الخبيثون ، فيصير الطيبون الذين ثبت صلاحهم بعد الابتلاء والتمحيص الى دار السلام والسعادة الابدية ، ويصير الخبيثون الذين اثبت الابتلاء والامتحان فسادهم إلى دار العذاب والشقاء الأبدى ، فالحكمة من الحياة الآخرة هى الجزاء ، والآخرة افضل دار ممكنة للجزاء للمحسنين الحسنى وزيادة ، وللمسيئين شقاءاً وخسراناً دائماً أبداً .

فالابتلاء بمعنى الإختبار والامتحان والتمحيص يستتبع ويستلزم بالضرورة أن تكون الحياة الدنيا الابتلائية محدودة الأجل إذ يعقبها الجزاء بالضرورة ، بعكس الحياة الآخرة الجزائية التى يمكن أن تكون أبدية دائمة بمشيئة الله تعالى، أى لا يلزم من كونها جزائية أن تكون محدودة الأجل مثل لزوم المحدودية للحياة الابتلائية ، وكل هذا مقدر لله تعالى قبل خلق السماوات والأرض .

- الإختيار البشري الصحيح أهم مقومات الإبتلاء :

ولتحقيق الابتلاء فى الحياة الدنيا خلق الله تعالى الانسان مختاراً بين الشر والخير **﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾** ومن ثم زوده بالارادة المختارة التى تميل بالذات الانسانية نحو الفجور أو نحو التقوى إذ ليس من مرجح لميل الانسان للتقوى أو إقدامه على أفعال الفجور إلا إرادته المختارة والتى بدونها لا يتحقق الإبتلاء قال تعالى : **﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾** « ١٨ - ٢٠ / الاسراء » وقال تعالى **﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا ﴾** « ١٣٤ / النساء » وقال تعالى : **﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾** « ٢٠ / الشورى » وقال تعالى **﴿ بل يريد الانسان ليفجر أمامه ﴾**

« ٥ / القيامة » وكل هذه الآيات تثبت أن للانسان إرادة يختار بها بين الدنيا والآخرة وبين الفجور والتقوى ، وقد سوّى الله عزوجل النفس الانسانية بحيث يتساوى فيها الفجور مع التقوى **﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾** « ٧ - ٨ / الشمس » أى أن نوازع الشر والهوى ودوافع الشهوات من ناحية متوازنة تماماً مع نوازع الخير وقوى الفطرة الضابطة للشهوات والقامعة للهوى من ناحية أخرى ، وفى كل موقف إبتلائى يجد الإنسان نفسه بين فعلين أو سلوكين أحدهما طاعة والآخر معصية ، والطاعة هى ما كان من العمل والفعل موافقاً للشرع الذى يكلف الله به الانسان ، والمعصية هى ما كان من الأعمال والأفعال إستجابة للهوى والفجور وإشباعاً للشهوات بالسبل التى نهى عنها الله عز وجل .

أما الأفعال التى أمر الله تعالى بها والملبية لنوازع التقوى فتُكوّن سبيلاً واحداً فى الحياة أى نجداً واحداً هو نجد الخير ، ويُكوّن مجموع الأفعال التى نهى عنها الشرع المنزل من عند الله نجد الشر ، وقد بيّن الله عز وجل للإنسان النجدين ، يثبت هذا قوله تعالى **﴿ وهديناه النجدين ﴾** « ١٠ / البلد » فبسطهما أمام الانسان ، إذ لا يصح الإختيار إلا إذا كان كل نجد منهما معلوماً وواضحاً وميسراً أمامه .

وهما أيضاً بالنسبة لطبيعته الإبتلائية متساويان فلا يحب الإنسان أحدهما أكثر من الآخر قال رسول الله ﷺ وسلم فى تفسير هذه الآية (يا أيها الناس إنهما النجدان : نجد الخير ونجد الشر فما جُعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير) [(١)]

وأيضاً جعل الله عز وجل الشيطان داعياً للشر وموسوساً ومزيناً للمعصية لحظة إختيار الانسان بين الشر والخير ، وجعل له أيضاً داعياً ومزيّناً للطاعة وحاضّاً على الخير من الملائكة بنفس قوة تأثير الشيطان داعى الشر ، وهذا واضح من قوله ﷺ (لمة من الملك ولمة من الشيطان فأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فايعاز بالشر)

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن مرسلاً .

تمكين الله عز وجل العبد المبتلي من الفعل الذي يختاره وتيسيره له تحقيقاً للابتلاء :

بهذه المقومات التى وهبها الله للانسان يقوم الإختيار صحيحاً حقيقياً إذ تكون الارادة الانسانية محايدة تماماً لحظة الاختيار لكونها بين قوتين دافعتين نفسيّتين متوازنتين ومتساويتين تماماً أى أنهما متعادلان فى الفجور والتقوى وأمامها موضوعين للاختيار واضحين متوازيين أيضا هما نجد الشر ونجد الخير ، كما أن لمة الملك متساوية ومتعادلة مع لمة الشيطان أيضاً ، بالتالى لا يكون ثمّ مرجح لحظة الاختيار لميل النفس وإختيارها هذا النجد أو ذاك إلا الإرادة المحايدة والتى هى خاصية ذاتية للكائن المبتلى ، وعلي هذا فالميل إلى أحد النجدين هو ميل الذات الانسانية إليه بالاختيار الحر .

فإذا ما ظهر عزم وتصميم إرادة الانسان على فعل الطاعة يسره الله تعالى له ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ﴾ « ٥ - ٧ / الليل »

وإذا عزم الكائن المبتلى على فعل المعصية وأصر عليه يسره الله تعالى له ﴿ **وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ « ٨ - ١٠ / الليل » أى أن الله عز وجل ييسر للعبد المبتلى الفعل الذى يختاره باراداته وتميل إليه نفسه إن طاعة وإن معصية ، وسواء أكان خيراً أم شراً وهذا يؤكد صحة الاختيار اللازم لتحقيق الابتـلاء .

الإختلاف والتفرق أثران لازمان حتميان لصحة الاختيار المحقق للابتلاء :

إذا إكتملت مقومات الاختيار وقام صحيحاً على مقوماته كاملة وتحقق الابتلاء ، فإن النتيجة الحتمية اللازمة لذلك هى إلتزام البعض نجد الخير وإختلاف البعض معهم وسلوكهم نجد الشر ، ومن ثم يَستَتبِع هذا الاختلاف بين أفراد الكائن المبتلى المختار التفرق إلى فرق وأحزاب ، ولما كان الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان والجان فى الحياة الدنيا ، لزم من هذا أن يظل الانس والجن أحزاباً وفرقاً مختلفين طيلة هذه الحياة الدنيا قال تعالى ﴿ **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت**

من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ « ١٩ / يونس » أى أن الناس قبل إبتلائهم كانوا أمة واحدة على الفطرة التى يولدون بها ، فإذا بلغوا سن التكليف وعبروا إلى عالم الابتلاء وصح منهم الاختيار ، إختلفوا بالضرورة بين مطيع وعاص أو بين مؤمن وكافر ، وكذلك كان الناس أمة واحدة فى البدء بعد نزول آدم وزوجه وبعد إنجابهما حتى كبرت الذرية وابتلاهم الله فكفر قابيل لما قتل أخاه هابيل وعاش مع أخته المحرمة عليه زانيان وأنجبا وأصبحا قبيلاً شيطانياً وفريقاً كافراً مطيعاً لإبليس وعدوا لآدم وابنائه الطيبين ، وافترقت البشرية يومئذ إلى حزبين : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان .

أما الدليل على أن الناس سيظلون مختلفين ما دامت الحياة الدنيا فهو قوله تعالى : **﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾** « ١١٨ - ١١٩ / هود »

فانظر إلى قوله تعالى **﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾** أى لو شاء لجعلهم غير مختلفين ، اذن فماذا شاء الله عز وجل ؟ لا نقول أنه شاء أن يختلفوا ، وإن كان الاختلاف واقع وكائن بينهم بمشيئته ، ولكن نقول لقد شاء الله عز وجل أن يخلقهم للإبتلاء ، ومن ثم زودهم بمقومات الاختيار الحر حتى يصح الابتلاء ، ومن شأن هذا الكائن المختار أن يختلف بالضرورة ، لانه لا يكون على مسلك واحد إلا الكائن المصيَّر ، أما المخير فلا بد أن يختلف وبارادته الحرة ، وحيث أن الحياة الدنيا كلها ابتلاء للانس والجن ، فمن اللازم الضرورى الحتمى عن هذه الحقيقة ان يختلفوا ويظلوا مختلفين الى نهاية الحياة الدنيا أو الى نهاية الابتلاء ، ومن ثم قال **﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾** أى سيظل إلى نهاية الحياة فى الانس والجن الذين يختلفون عن الصراط المستقيم ويفترقون عن الملتزمين للهدى والصراط المستقيم ، وهؤلاء الذين رحمهم الله تعالى فلم يخرجوا ولم ينحرفوا عنه ثم قال تعالى **﴿ ولذلك خلقهم ﴾** أى خلقهم للابتلاء الذى من نتيجته

الحتمية الرئيسية الإختلاف الذى من أجله خلق الله الإنس والجن ، إذ بهذا الإختلاف يميز الله الخبيث من الطيب ، فيأخذ الخبيث فيجعله فى جهنم ، وتتم مشيئة الله تعالى بأن يملأ جهنم بالخبيثين من الجنّة والناس أجمعين قال تعالى ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ « ١٠٠ / المائدة » ومن ثم لابد من أن يميز الله تعالى بينهما قال تعالى ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ « ١٧٩ / آل عمران » وذلك بالابتلاء المُمَحّص لما فى القلوب فيظهر الخبث الذى يبطنه المنافقون الذين يعيشون بين المؤمنين . وبعد فصل الخبيث عن الطيب بالابتلاء طيلة الحياة الدنيا يركم الله الخبيثين بعضهم على بعض فى جهنم يوم الدين قال تعالى ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعلــه فى جهنم أولــئك هم الخاســرون** ﴾ « ٣٧ / الانفال » الخاسرون لأنفسهم فى الإبتلاء أى الامتحان ومن ثم فإن اختلاف الانس والجن وإفتراقهم فريقين : طيب وخبيث نتيجة للابتلاء ليس فى الدنيا فقط ، بل إفتراق أبدى يبدأ هنا فى الدنيا ، وتظل الفرقة والتباعد بينهما مستمرة فى الآخرة فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

النتيجة الحتمية للإختلاف والافتراق هي الصراع بين الطيب والخبيث : —

معنى الإختلاف فى الآيات السابقة الوارد فيها الاختلاف هو الاختلاف عن الصراط السوّى المستقيم ، لأن الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهى الحنيفية الرافضة لأديان الشرك والكفر والإلحاد هى معيار الحقيقة الصحيح الدقيق ، لأن الذين يرفضون الإحتكام إلى طبيعتهم الأولى التى وُلدُوا بها والتى انحرفوا عنها هم المخالفون ، وهم المفارقون لحقيقة الانسانية ، أى المفارقون لحقيقتهم المنخلعون عن آدميتهم ، ومن ثم قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك** ﴾ أى أن المختلفين هم مختلفون ومفارقون للصراط المستقيم الذى معياره فطرتهم التى ولدوا بها أى طبيعتهم الأولى ، فالذين

خالفوها وخَرَجُوا عليها هم المفارقون لآدميتهم وإنسانيّتهم فهم الضالون والذين حافظوا على فطرتهم الموحدة هم أهل الحق الموحدون ، ومن ثم فهؤلاء حزب الله عز وجل المؤمنون ومن خالفهم هم أهل الباطل المشركون الكافرون ، وأولئك هم حزب الشيطان باعتبار إبليس هو أول المخالفين للصراط وللتوحيد من الجنّة والناس ، ثم تبعه قابيل الذى صار خليفة ابليس فى الانس وصوته الناطق بالشر والكفر والضلال ويده المنفذة للإفساد فى عالم الانس فالتجربة الابتلائية الأولى فى الحياة الدنيا كانت لإبليس إذ أمره الله تعالى وأمر الملائكة بالسجود لآدم مكرماً له عليه وعلى الملائكة فحقد وأبى أن يسجد مع الساجدين ، ثم كانت التجربة الابتلائية الثانية لآدم ، إذ حرم الله عليه الأكل من شجرة واحدة من أشجار الجنة وأباح له الأكل رغداً من سائر الاشجار فإذا به يعصى ربه عز وجل هو وزوجه ، ولكن سرعان ما تاب آدم وزوجه وندِماً وغفر الله تعالى لهما .

وهكذا يكون شأن كل البشر فى الابتلاء ما من أحد إلا ويخطئ ويعصى ربه عزّ وجل ، كما أخبر رسول الله ﷺ بهذا فقال (كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوّابون) وإنما يتفاضل المؤمنون يوم القيامة بقلة المعاصى وبسرعة الرجوع والتوبة إلى الله عز وجل ، فالخطأ والمعصية نتيجة لازمة عن الابتلاء وصحة الاختيار ، والله عز وجل برحمته وكرمه يغفر للناس كل ما هو دون الشرك من الذنوب والمعاصى ولا يغفر الشرك للمشرك ، لأن الشرك هو الذى يُخرج المشرك بالكلية عن الصراط المستقيم فينتقل من كونه عبداً لله وحده بمقتضى الفطرة والجبلة ليصبح عبداً للطاغوت ، أى للشيطان ، جناً كان أم إنساً . أى أنه ينتقل إلى حزب الشيطان ويقف معه فى خندق واحد فى مواجهة المؤمنين عدواً لله عز وجل وعدواً لأنبيائه وحزبه الموحدين .

فالخروج عن التوحيد والصراط المستقيم تَحَوّلٌ من خندق إلى الخندق المقابل فى الصراع .

وذلك لأن الله تعالى قَدّر بأن يتصارع الفريقان والحزبان باعتبار هذا الصراع نتيجة حتمية للاختلاف الجذرى الأصولى بين الفريقين وقد شاء الله تعالى هذا الصراع

تحقيقاً للإبتلاء ﴿ ... ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ « محمد / ٤ »

إن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان قد بدأ منذ معصية ابليس الاولى وهو يستمر إلى يوم القيامة وعلى وجه التحديد إلى جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة .

وهذا الصراع يبدأ بالكلمة لبيان الحق والتوحيد من الباطل والشرك ، ويأخذ مراحل متعددة ليصل إلى النزال الدموى المسلح الذى تكون نتيجته سفك الدماء ، وقد يصل إلى الحد الذى يتطاول فيه أهل الباطل حزب الشيطان ، بعد أن يحققوا انتصارات على المؤمنين ، إلى التفكير والتخطيط لاستئصال الموحدين أى حزب الله تعالى من الأرض لتخلو لهم ولفسادهم وليتحقق حلم الطاغوت الأبليسى الدجالى القديم (نسبة إلى المسيح الدجال) باعلان ألوهيته وربوبيته على البشر .

هذا هو الحال الذى صار اليوم فيه المؤمنون قلة مستضعفة حتى أغرى ضعفهم وقلتهم حزب الشيطان بالتفكير والتخطيط لاستئصالهم والقضاء عليهم لينفرد حزب الشيطان بالأرض قد حدث من قبل فى حضارات ومجتمعات تاريخية سابقة ، وهو حادث الآن فى الأرض كما سنرى ولله فى مثل هذا الحال التاريخى من أحوال الصراع سنة لمعاملة المتصارعين سيأتى بيانها بعد بإذن الله تعالى .

وإذا كان حزب الله يخسر بعض الجولات فى الصراع فهل يجوز عليه الهزيمة النهائية الكاملة الماحقة ؟!

الفصل الثالث

الصراع بين الخير والشر
هو المحور الذى يدور حوله
التاريخ البشرى

الصراع بين حزب الله عز وجل أهل الخير وحزب الشيطان أهل الشر هو المحرك الرئيسي لأحداث التاريخ البشري :

قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا تُرجعون ﴾ « الأنبياء / ٣٥ » فالصراع بين أهل الشر وأهل الخير هو المحور الذى تدور حوله أحداث التاريخ وهو المحرك لهذه الأحداث أيضاً .

فليس المحرك الرئيسى هو المال ووسائل الانتاج وأدواته كما قال ماركس واليهود وأشياعهم وليس هو القومية ولا الاختلاف الثقافى هما المحرك الرئيسى . كما قال آخرون ، وليست العوامل السياسية الداخلية للمجتمع أو الخارجية أيضاً هى المنشئ الرئيسى للحدث التاريخى وليست العصبية العرقية أو القبلية هى العامل الرئيسى لقيام الدول وسقوطها وسيطرة الحضارات وضعفها كما زعم ابن خلدون ، وليست الشخصيات القيادية أى الزعماء أو من أطلق عليهم جوستاف لوبون « الأبطال » هم المحرك الرئيسى لأحداث التاريخ ، مثل قيام الدول وسقوطها ونشوء الحضارات وخمودها إلاّ أن يكون هؤلاء الاشخاص هم الرسل والانبياء ، ومن ثم لا يكون المحرك الرئيسى للتاريخ شيئاً سوى الدين ، وهو ما ذكرناه فى هذا العنوان الذى قصدنا منه أن الصراع التاريخى الانسانى صراع دينى فى المقام الأول ، لأنه صراع بين حزب الله وبين حزب الشيطان أى أنه صراع بين أهل الايمان والخير والحق الطيبين وبين أهل الكفر والشر والباطل الخبيثين ، أى بين الموحدين والمشركين .

فالعقيدة هى محور الصراع وذلك منذ أن أشرك المشركون وخَرجُوا عن الصراط المستقيم ، وخالفوا فطرتهم التى فطرهم الله تعالى عليها وصاروا فى صفوف حزب الشيطان ، ومن ثم وقفوا فى خندق العداء لله عز وجل معه وتحت لوائه فى مواجهة المؤمنين حزب الله . أما العوامل الأخرى المحركة لأحداث التاريخ فهى عوامل ثانوية أولية وإضافية وليست رئيسية ، ومساعدة وليست محركة من الأصل شأنها شأن هبوب الريح على النار المشتعلة فتزيدها إشتعالاً ، ولكن إذا هبت الريح على مكان غير مشتعل أصلاً

فلن يشتعل مهما كانت قوتها ، وتعليل هذا أن الذين يخرجون عن الصراط المستقيم ويخالفون فطرتهم بالكفر والشرك وإتباع حزب الشيطان يصبحوا من أهل الدنيا والمتاع إذ يسلكوا سبلاً متعددة على جانبى الصراط وهو شأن المختلفين الذين تولوا عن دين الله تعالى المنزل من عنده وقد حذرنا الله تعالى من الخروج على الصراط وسلوك السبل فقال تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ « ١٥٣ /. الانعام »

وقد بيّن رسول الله ﷺ تفسير هذه الآية فيما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال خطَّ رسولُ الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلاَّ عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[1]

فالسبل المخالفة للهدى الالهى خارجة عن يمين الصراط المستقيم وعن شماله ، وعلى كل منها شيطان يدعو الناس أن يخرجوا عن الصراط المستقيم ، ليدخل فى سبيله المنحرف وعلى هذا فأصحاب الصراط السوّى المهتدون حزب واحد هو حزب الله وأمة واحدة يجمعهم مقصد واحد وطريق واحد ويخالفهم الذين يستجيبون للشياطين الداعية للإنحراف إلى السبل المتعددة وهؤلاء المخالفون يجمعهم جميعاً الضلال ، ومن ثم فهم جميعاً حزب واحد ، هو حزب الشيطان : إبليس وجنوده وهم الشياطين الصغيرة الذين يقفون على رأس السبل المنحرفة وأتباعهم من الإنس والجن هم الحزب المعادى لحزب الله أصحاب الصراط السّوىّ المهتدين ، لكن أصحاب حزب الشيطان المتحدين فى مواجهة حزب الله يسلكون ، مع إتحادهم هذا سُبُلاً متعددة مختلفة ، ولأنهم جميعاً ، لَمَّا استجابوا للشياطين ، صاروا مثلهم مؤثرين للحياة الدنيا على الآخرة ، فإن هذه السبل التى سلكوها تجعل منهم فرقاً متناحرة فيما بينهم متعادية أيضاً لتنافسهم على الدنيا ،

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح ولم يخرجاه . عن تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٩٠

ومن ثم يقوم بينهم صراع على الدنيا وأعراضها المتمثلة فى الجوانب الاقتصادية والسياسية والعصبيات القومية والقبلية وغيرها .

وعلى هذا فالمحرك الاساسى الأول للصراع البشرى المولد للأحداث التاريخية هو إختلاف العقائد والأديان أى أن الصراع الرئيسى الحقيقى هو بين المؤمنين الموحدين وبين الكفار المشركين ، وهذا الحزب الأخير ، وإن كانت فِرَقُه تختلف فيما بينها إلى حد الصراع والحروب الدموية على المصالح الدنيوية ، إلا أنه يتحد عندما تكون المواجهة ضد المسلمين أى حزب الله عز وجل .

لذلك نقول أن العوامل الاقتصادية والسياسية والقومية والثقافية والتاريخية وغيرها كلها عوامل ثانوية فى الصراع والعامل الرئيسى هو الدين ومن ثم فحركة التاريخ صراع بين أهل الحق الذين هم أمة واحدة هى أمة الإسلام وأهل الباطل متعددى الفرق والأمم ومعنى هذا أن التاريخ البشرى هو تاريخ الانبياء والرسالات السماوية .

السنن الإلهية الحاكمة للصراع بين حزب الله تعالي وحزب الشيطان التي يسير بحسبها التاريخ البشري :

وليس موضوع هذا البحث إحصاء هذه السنن لأن هذا يستغرق موسوعة ذات مجلدات عديدة ، ولأن هذا الكتاب كله استعراض لبعضها بصفة عامة ، مع تطبيق على الصراع الاسلامى اليهودى بصفة خاصة ، وإنما نود هنا أن نقرر أن التاريخ البشرى يسير حسب قوانين وسنن ونواميس مرادة لله عز وجل ومقدرة له سلفاً قبل خلق السماوات والأرض ، فقيام الدول والحضارات وإنهيارها يتم بسنن إلهية .

وسنة التاريخ العامة أن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان يتم بحسب قانون العلية أو السببية ، بمعنى أن الذى يأخذ أسباب النّصر من الفريقين أكثر من الآخر ينتصر وأن الذى يهمل فيها ينهزم أمام الفريق الآخر ، لأن الله تعالى شاء أن يكون الصراع بين الحزبين إبتداء بالكلمة وإنتهاء بالسيف ، تحقيقاً للابتلاء ، ومن ثم حضّ الشرع

المؤمنين على قتال الكافرين ، فيقتلون منهم ويُقتَلون ليصيروا شهداء ، ومعنى هذا أن الله عز وجل لا يتدخل بقدرته للقضاء على الكافرين بخوارق السنن والعادات وبما يخالف قانون السببية ، وهو سبحانه قادر على هذا ، وإذا شاء فعل ، ولكنه أخبر أنه سبحانه لا يفعل هذا تحقيقاً للحكمة من خلق الإنسان فى الحياة الدنيا وهى الإبتلاء فقال ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلُو بعضكم ببعض والذين قُتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ﴾ « ٤ / محمد » أى أنه شاء أن يكون إنتصار المؤمنين على الكافرين بجهاد المؤمنين وبأخذهم بأسباب النَّصْر المادية من عدة وعتاد وتدريب وتخطيط وغير ذلك من فنون الحرب ما دام هذا ميسوراً لهم ، فإن قصروا فقد تصيبهم الهزيمة مثل ما حدث فى أحد ، وكاد أن يحدث فى حنين ، وحدث مع المسلمين بعد ذلك فى الحروب الصليبية وأقربها هزيمة ١٩٤٨ . ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ أمام اليهود ، وقد شاء الله تعالى هذه السنة العامة فى النصر والهزيمة لحزبه تحقيقاً للابتلاء ﴿ **ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ أى أنه عز وجل يبتلى الحزبين بعضهم ببعض من خلال الصراع بأشكاله المختلفة وعلى رأسها الصراع الحربى المسلح .

تلك هى سنة النّصر والهزيمة العامة ، أى فى الأحوال المعتادة ، فما دامت الحرب سجال فالسنة العامة هى الحاكمة .

ولكن تحدث أحوال يتدخل الله عز وجل فيها بقدرته لنصر حزبه على حزب الشيطان بخلاف هذه السنة العامة أى بخوارق لقانون السببية ، ولكى نعرف هذه الأحوال أو أهم هذه الأحوال ، نُذَكِّر بأن الله عز وجل لا يسمح ولا يأذن بأن تتوقف حقيقة الإبتلاء باعتبارها الحكمة التى من أجلها خلق الله الانسان وكل شئ فى الارض ، أى أنه عز وجل شاء من سنن التاريخ ما يضمن استمرار صلاحية الارض وصلاحية الحياة للإبتلاء ، ومن ثم يضبط الله تعالى بهذه السنن سير التاريخ ، ويدفع الناس بعضهم ببعض كلما

بدا تداعى الحياة الانسانية نحو الفساد المانع عن تحقيق الابتلاء وأخطر مانع إنما يكون بالقضاء على مقومات الاختيار الصحيح .

وحيث قد علمنا أن أهم عامل لتحقيق الابتلاء ، هو صيانة الإختيار البشرى وبقاء مقوماته الأربعة ، تلك المقومات التى يتحقق بها للإرادة الاستواء اللازم لصحة الإختيار والتعادلية الضرورية لتحقق الاختيار الصحيح .. فان ضياع هذه التعادلية وانعدام حالة الاستواء يعنى فقد الاختيار الصحيح وبطلان الابتلاء ، فإذا بدأت أحوال الأرض تفسد بحيث توشك أن تنعدم حالة الاستواء ، وتنهدم التعادلية اللازمة للاختيار والإبتلاء ، فان الله عز وجل يتدخل بقدرته سبحانه لاعادة الاحوال والظروف المواتية والمناسبة لقيام حالة الاستواء وتحقق التعادلية فيتم ذلك ويحققه سبحانه سواء بامور موافقة لقانون السببية أو مخالفة لها .

فما معنى إنعدام الاستواء اللازم لصحة الاختيار وسقوط ميزان التعادلية الضرورى لصحة الابتلاء ؟

إذا تذكرنا أنه لا يصح الإبتلاء إلا بوجود النفس الانسانية أو بتعبير أدق الارادة الإنسانية بين قوتين متعادلتين للفجور والتقوى ، ونجدين متساوين للشر والخير وهاتفين متكافئين للكفر والايمان أو المعصية والطاعة ، فإذا صارت نتيجة الصراع مؤذنة بضعف حزب الله واستئصال عناصره وهدم مساجده وإخفاء عقيدة الحق ونور الهدى الربانى من الأرض ، فإن الرشد لن يتبين للناس بعد ذلك من الغى ، وستخرج أجيال من الناس لا يصح لها إختيار ولا يتحقق الابتلاء الصحيح لها ، حينئذ يوقف الله عز وجل عدوان حزب الشيطان على المؤمنين ويبطل مخططهم الاستئصالى للمسلمين وهدم مساجدهم وطمس الهدى الربانى المنزل عليهم ، إذ من المعلوم بشواهد التاريخ الكثيرة المتكررة: أنه لو استطاع الطاغوت وأعداء الله أن يزيلوا من الأرض كل ما يعبد فيه الله عز وجل حتى ولو كانت عبادة على سبيل الشرك مثل المعابد والصوامع والبيَعْ والكنائس لتصبح البشرية مُلحدة مُنكرة بالكلية للأُلوهية لفعل ، أى أنه لو استطاع أن يُزيل من الأرض ذكر اسم

الله عز وجل لفعل ، وهذا هو مقصد الطاغوت ومبتغاه وغايته العليا فى إدارة حزب الشيطان خلال أحداث الصراع ، بيد أن الله عز وجل لكى يبقى على الأرض صالحة للابتلاء وعلى الحياة صالحة للإختيار ، فإنه سبحانه ، بحكمته وقدرته وعلمه ومشيئته ، يمنع حدوث هذا حفاظاً على استمرار الاختيار والابتلاء لكى تستمر الحياة وأحد نماذج تطبيق هذه السنة فى القرآن الكريم إنتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وهو أمر خارق لقانون السببية أو مخالف له ، ذلك أن الفئة القليلة، إذا كانت هى الفئة الوحيدة الموحدة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله عز وجل ، فان هزيمتها قد تؤدى إلى إستئصال الكافرين لهذه الفئة القليلة ، ومن ثم تفسد الارض فلا تعدُّ صالحة للإختيار إذا إنعدمت هذه الفئة إذ يختفى نَجدُ الخير ، ويسقط ميزان التعادلية اللازم للابتلاء ، وهو ما لا يأذن الله به ولا يسمح بسقوطه ما دام للبشرية أجل .

ومن ثم ينصر الله عز وجل هذه القلة المؤمنة قليلة العتاد والسلاح ، ومثل تطبيق هذه السنة فى القرآن طالوت وجنوده ومنهم داود عليه السلام قال تعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مُبتَليكُمْ بنَهَرٍ فمن شَرِبَ منهُ فليس منى ومن لم يطعمْهُ فإنه منى إلا من اغترف غُرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يَظُنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ « ٢٤٩ / البقرة »

وفضل الله على العالمين فى هذه الآية أنه يحمى الأرض من الفساد المانع من صحة الاختيار ، وهذا لا يكون إلا إذا أطبق الكفر والشرك على البشر جميعاً حتى يختفى نَجدْ الخير تماماً . ومن ثم ينصر بإذنه الفئة المؤمنة القليلة التى إذا انهزمت استأصلها الكافرون

وعم الظلام كل البشر ، وذلك بسنة الدفع منعاً لفساد الأرض . وذلك لأن بنى إسرائيل يومئذ كانوا أهل التوحيد دون غيرهم من الشعوب التى حولهم ، وهزيمتهم من هذه الشعوب الوثنية سيؤدى حينئذ إلى القضاء عليهم ، أما إنتصارهم فقد أدى إلى دخول الأرض المقدسة ، ومن ثم قيام الخلافة الإسلامية ، بقيادة داود ثم سليمان ونشرت مملكة داود وسليمان عليهما السلام الاسلام فى كل الأرض حولها ونشرت التوحيد فى جميع الشعوب حولهم حتى فى شعْب اليمن .

ومجمل هذه السنة أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا إذا كانوا قلة مستضعفة مستهدفة للاستئصال من حزب الشيطان قال تعالى ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور ، أُذنَ للذينَ يُقاتَلُونَ بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِّمت صوامع وبيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوْا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ، وإن يُكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأيّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلَىّ المصير** ﴾ « ٣٨ - ٤٨ / الحج »

هذه الآيات الكريمة تتضمن عدة سنن تاريخية تحكم الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، ذلك أن المؤمنين الأوائل اسابقين بسبب قلتهم وضعفهم يواجهون من التعذيب والتنكيل والقتل ما يهدد وجودهم وإستمرارهم ويوقف تزايدهم ومن ثم ولأن

فناءهم قد يؤدى إلى توقف الابتلاء وسقوط ميزان الاستواء والتعادلية اللازم للإختيار فإن الله عز وجل يدافع عنهم ، حتى يشتد عودهم ويصبحوا متكافئين مع عدوهم وعدو الله عز وجل عدداً وعتاداً . ومعنى أن الله يُدافع عن الذين آمنوا أى أنه يتولى حمايتهم من الهزيمة الماحقة المستأصلة سواء حسب قانون السببية أو بخوارق العادات إذا إنعدمت الأسبـاب ، وبخاصة إذا كان عدوهم الكافر غادراً خائناً لا يرعى العهود ولا يحترم العقـــود .

وتطبيق هذه السنة فى موقعة طالوت مذكور فى قوله تعالى ﴿ **فهزموهم بإذن الله** ﴾ إذ أن كل ما يقع فى الكون يقع بإذن الله تعالى وقدره ومشيئته ، ومن ثم فتقرير وقوع هزيمة المشركين بإذن الله يُفيد انه إذن بمخالفة سنة السببية العامة وبحسب سنة الله تعالى فى دفاعه عن الذين آمنوا وحمايتهم من الإبادة ولو إجتمع عليهم ، وهم قليل ، كل أهل الأرض ، ومن ثم أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم بالقتال بعد أن ظلمهم أعداء الله عز وجل لا لشئ إلا لأنهم موحدون فأخرجوهم من ديارهم واعتقلوهم وسجنوهم وعذبوا أجسادهم من غير ذنب إلا قولهم ربنا الله ، والله عز وجل يحميهم ويدافع عنهم بسنة الدفع التى لولاها ﴿ **لَهُدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ..** ﴾ قال ابن كثير « أى لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف ﴿ **لهـدمت صـــوامع** ﴾ وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم . وقال قتادة هى معابد للصابئين وفى رواية عنه صوامع المجوس ، وقال مقاتل بن حبان هى البيوت التى على الطرق . ﴿ **وبِيَعٌ** ﴾ وهى أوسع منها واكثر عابدين فيهـا ، وهى عند مجاهد وغيره كنائس اليـهود ، وحكى السدى عَمَّنْ حدثه عن إبن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد قال هى الكنائس والله أعلم . وقولـه : ﴿ **وصلوات** ﴾ قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس ، وكذا قال عكرمة والضحكاك وقتادة أنها كنائس اليـهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدّى عَمَّنْ حَدَّثَهُ عن ابن عباس أنها

كنائس النصارى . وقال أبو العالية وغيره : الصلوات معابد الصابئين . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد : الصلوات مساجد لأهل الكتاب ، ولأهل الاسلام بالطرق ، وأما المساجد فهى للمسلمين وقوله ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ فقد قيل الضمير فى قوله ﴿ يُذكر فيها ﴾ عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً .... وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عماراً وأكثر عباداً وهم ذوو القصد الصحيح [1]

وهذا هو الذى أرجحه بدليل قوله ﴿ يُذكر فيها اسم الله ﴾ وإسم الله يذكر فى هذه الأماكن المخصصة للعبادة عند كل الامم أما مساجد المسلمين فيذكر فيها الله كثيرا ويذكر فيها أيضاً إسم الله أكثر ، فما من أمة مهما كانت عقيدتها شركية ضالة ، إلاَّ وهى تقر بخالق الكون ولله فى لغتها إسم بل وأسماء ، فالخلاف بينهم ليس فى وجود الخالق سبحانه بل فى صفاته وأسمائه ، والشاهد الذى هو مطلبنا فى هذا النص هو أن الله عز وجل يحمى ويدافع عن كل بيوت العبادة فى الأرض ، سواء بالنسبة للموحدين أو للمشركين بل وللضالين ضلالاً بعيداً ، وهم المجوس وغيرهم .

وحمايته لهذه الدور معناه مشيئته سبحانه فى إبقائه سبحانه على كل ما يختاره الناس من عقائد تعادى عقيدة التوحيد بطبيعة الحال ، ومن ثم يظل الاختيار صحيحاً .

أما حزب الشيطان ، فإن غاية خططه القضاء على كل دور العبادة عند كل الأمم حتى لا يذكر إسم الله تعالى فى الأرض ، وحتى لا يقال فى الارض الله أملاً فى أن تعبده البشرية صراحة من دون الله . وقَدْ تعَدَّدت محاولات الطاغوت خلال التاريخ البشرى منذ عهد نوح عليه الصلاة والسلام إلى اليوم ، لكى يُقضى على دور العبادة عند كل الشعوب ، وحيث أن نجاح الطاغوت ، لا قدر الله تعالى ، فى تحقيق هذه الغاية الاستراتيجية العليا بالنسبة له تعنى قرب فناء البشرية وقيام الساعة ، كما سنرى ،

---

(١) تفسير ابن كثير / جـ ٣ ص ٢٢٦

فإن الله عز وجل يمنع وصولهم إلى هذه الغاية ، وهذا من فضله على العالمين ، بل كلما تقدموا من هذه الغاية خطوة أبعدهم عنها بسنة دفع الناس بعضهم بعض خطوات وتاريخ البشرية الحديث يتضمّن نجاح الطاغوت جزئياً في جزء كبير من الأرض ، ومن ثم إقترابه من هذه الغاية ، وذلك لما نادى ماركس بالمادية الجدلية الالحادية المنكرة تماماً للخالق ، ورغم تهافت مذهبه وسفاهته الفكرية إلاّ أنّ المال الصهيونى والدعاية والاعلام الصهيونى والسلطان الماسونى السياسى رسخ هذه التفاهات الفكرية ونشرها ، ثم بتدبير الصهاينة بقيادة الدجال حسب بروتوكولات خبثاء صهيون الذين قضوا بهذا الفكر اللعين على النظام القيصرى النصرانى الارثوذكسى الروسى بخدعة الاشتراكية العلمية والتقدمية وحاولوا القضاء على كل دور العبادة ، بل تم إغلاقها جميعاً وشنقوا آخر قسيس بامعاء آخر رأسمالى أرستقراطى أو بامعاء آخر أمير قيصرى كما أعلنوا هم ذلك .

فما حدث فى بلدان روسيا أولاً ثم فى بلاد الاتحاد السوفيتي السابق : النصرانية منها والاسلامية تلك التى اجتاحها الروس الشيوعيون فى عهد ستالين إذ تم القضاء على دور العبادة وتحولت مناهج التعليم فى المدارس إلى المادية البحتة التى تَسْخر ممّن يؤمنون بالخالق عز وجل وتربى الأجيال بغاية تربوية إستراتيجية عليا وهى انكار الألوهية حتى لا يقال فى الارض الله . ولكن بسنة الدفع أبطل الله عز وجل هذا المكر وعادت روسيا نصرانيّة وعادت الشعوب الاسلامية إلى إسلامها علناً بعد إن إحتفظت به سراً تحْت نير الإستعمار الروسى الشيوعى الرهيب قرابة سبعين سنة .

وسنعلم بعد أن الساعة ستقوم وسينتهى أجل البشرية بان يوقف الله تعالى سنة الدفع ويترك جيل الاشرار ينتصر ويقضى على كل دور العبادة فى الأرض ويظهر الالحاد حتى يُنسى اسم الله فى الأرض فلا يقال فى الأرض : الله ، وذلك بعد أن يعلم من هذه الأجيال إصرارها على الالحاد والبهيمية الجنسية فلا يبالى بهم ، ومن ثم تقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم أو من بعدهم الساعة ، أما قبل هذا فما دامت البشرية تنطوى على الخير والفطر السويّة وأصحاب الصراط المستقيم ، وإن قلّوا ، فإن الله تعالى

يبقى سنة الدفع لمنع هدم دور العبادة التى يذكر فيها اسم الخالق جل وعلا ، وان كانت كلها عدا مساجد المسلمين عبادات شركية .

ولئن كان التطبيق الأول لسنة الدفع فى القرآن الكريم على انتصار المسلمين من بنى إسرائيل بقيادة طالوت على المشركين ، فإن التطبيق الثانى لهذه السنة هو الذى أدى إلى قيام الخلافة الاسلامية القوية فى أكثر أرجاء الأرض فى عهد الصحابة والتابعين والدولة الأموية ثم العباسية ثم العثمانية ، قال ابن كثير فى تفسير آيات الدفع فى سورة الحج « ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أُخرج النبى ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ، انا لله وإنا اليه راجعون لَيُهْلَكُنَّ قال ابن عباس فانزل الله عز وجل ﴿ أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ وقوله ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال إذا هم قد تعرضوا من قبل أعداء الله عز وجل للإبادة بيد أنه سبحانه يأذن لهم بالقتال ، ويحضهم عليه ، إذا كان ثَمَّ مجال للانتصار بالجهاد كما قال ابن كثير « ولكن هو يريد من عباده ان يبذلوا جهدهم فى طاعته » تحقيقاً للابتلاء بدليل قوله فى سورة محمد ﴿ ... ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ .

فماذا يكون الحكم إذا صار المؤمنون غرباء قلة مستضعفة يغرى ضعفهم أعداء الله عز وجل بهم فيدبروا ويخططوا لابادتهم وإخلاء الأرض منهم . ؟

تلك هى خطة التجفيف من المنابع التى إتفقوا عليها الآن وذلك هو البروتوكول الصهيونى الدّجّالى الصليبى الخبيث للقضاء على الإيمان فى الأرض واستئصال بَجْذ الخير وأهله وهذا هو ما جاء فى القرآن الكريم بالاستفتاح بقوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل

الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد إشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ، ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ « ١٣-٢٠ / إبراهيم » هذه سنة الاستئصال ذلك الذى يقع حتماً للكافرين إذا هم قد هموا باستئصال الفئة القليلة المستضعفة المؤمنة . وهذا واضح من قوله تعالى بصيغة الجمع **﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم ﴾** أى أن فى تاريخ كل الرسل بدءاً من نوح إلى خاتم الرسل والانبياء سيدنا محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم يصل عناد ومحاربة الكفار للرسل الى المرحلة التى يهددونهم فيها باخراجهم من الأرض أو قتلهم مع القلة المؤمنة ، إن لم يعودوا إلى ملتهم ، ومن ثم يوحى الله عز وجل فى كل مرة يحدث فيها هذا من الكافرين لرسلهم وللقلة المؤمنة معهم ، ان الله سيهلكهم هم رداً على شروعهم هم فى اهلاك المؤمنين ، فإهلاك الله تعالى لهم بقارعة سماوية من عنده : غرقاً أو صعقاً أو إعصاراً أو رجفة ، إنما يكون رداً على المجرمين بنفس ما أرادوه لنجد الخير وأهله ، إذ لو مكنهم الله مما يريدون ليقضوا على نَجْد الخير وأهله لَفَسَدَتْ الحياة فى الأرض ولا تصبح صالحة للاختيار ، ومن ثم لا تصبح صالحة للإبتلاء ، وهذا ما لم ولن يأذن به الله تعالى أبداً طيلة أجل الحياة الدنيا الا مرة واحدة هى التى تقوم فيها الساعة .

فعندما تصدر من المجرمين مخططات القضاء على الايمان وأهله تحت أى مسمى مثل محاربة الارهاب والقضاء عليه ومخطط التجفيف من المنابع الذى يتناول إخراج النور الفطرى من نفوس النَّشْء من خلال أجهزة التربية والتعليم والاعلام ، عندما يحدث ذلك يوحى الله عز وجل للرسل - تثبيتاً لهم - إطمئنوا سنهلكهم قبل أن يتموا هذا المخطط ،وسيكون الاستئصال لهؤلاء الطغاة الطواغيت الجبابرة ، ولا يبدؤهم الله تعالى بالاهلاك والاستئصال إلا بعد أن يبدأوا هم ويستفتحوا مخطط الابادة لحزب الله عز وجل ، ومن ثم ينزل الله عز وجل عذابه عليهم حماية لحزبه وهذا واضح من قولـــــــــه **﴿ واستفتحوا ﴾** والضمير يعود على كل طاغوت محارب للمؤمنين من كل زمان ومكان

إذا أخذ باسباب الفتح النهائى بالاستئصال وتجفيف الأرض من نور الايمان خيّبَ الله مخططاتهم ودمر كل جبار عنيد وأهلكه وقضى عليه وصيّره إلى البرزخ الذى من ورائه جهنم وهى مآله ومأواه بعد البعث تلك التى سيسقى فيها من ماء صديد ويذوق من الوان العذاب الشديد ، فيتجرع الصديد الذى لا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت لانه كان يخطط لقتل المؤمنين ومن ثمّ فسيظل يتلقى هو الموت فى جهنم من غير أن يموت ليستمر فى العذاب ومن ورائه عذاب غليظ .

ثم ضرب الله تعالى مثلاً لاعمال وتدبير مخططات الذين كفروا وهم حزب الشيطان وهم فى أيامنا هذه الصهيونية الممتطية للصليبية وهم المحاربون لاهل الايمان وهم الآن المسلمون المستضعفون المستهدفون ، والذين يحاربونهم ويخططون للقضاء على ملتهم ، التى هى ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، هم الصهاينة الممتطون ظهور الصليبيين امريكان وأوربيين .

يضرب الله تعالى بعد ذلك مثلاً لأعمالهم اى لمخططات ابادة المسلمين لديهم والقضاء على قوتهم الباقية بأن هذه المخططات سيجعلها الله هباء منثوراً بل سيقلبها عليهم فيعمى عيونهم بهذا الهباء ويسد أنُوفهم بها ويدمرهم برمادها وإشعاعها ﴿ **مثل الذين كَفَرُوا بربهم أعمالهم كرماد إشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ « ١٨ / إبراهيم » فلنتصور الأعمال الفردية والجماعية والدولية المفسدة فى شتى مناحى الحياة ومخططات التظليم والجهود المضنية للقضاء على ملة الاسلام ، وقد تراكمت كرماد حتى صارت تلالاً أو جبالاً من الرماد ثم جاء الريح العاصف فعصفت بها وذرّته فى الفضاء فما الذى يمكنهم أن يحتفظوا به منها ؟ وما هى النتائج التى يصلوا إليها من كل ذلك ؟! إنه الضلال البعيد ، أى الضياع النهائى الذى لا رجعة له . ثم قال عز وجل بعد ذلك لنبيه المصطفى الخاتم ﷺ ﴿ **ألم تر** ﴾ أى يا محمد ﴿ **أن الله خلق السماوات والأرض بالحق** ﴾ فوضع ميزان التعادلية ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان ألاّ تطغوا فى الميزان** ﴾ « ٧-٨ /

الرحمن » وهذا فى كل شئ إبتداء من الذرة إلى المجرة ثم أقام حالة الاستواء اللازمة لصحة الاختيار وتحقيق الابتلاء فى حياة الانسان فأمر سبحانه لكى يتحقق الفوز فى الابتــلاء ﴿ **ألا تطغّوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والأرض وضعها للأنام** ﴾ « ٨ – ١٠ / الرحمن » فهل يمكن لهؤلاء الجبابرة الطغاة أن يسقطوا التعادلية ويهدموا حالة الاستواء ويعطلوا حكمة الله من خلق السماوات والأرض والانسان ؟ حاشا وكلا ، والويل لمن يستفتح لهذا العمل ولو أجمعت البشرية كلها على هذا الضلال وراء هؤلاء الطواغيت الجبابرة لأذهب الله البشرية كلها وأقام الساعة وأتى بخلق جديد ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ « ١٩ – ٢٠ / ابراهيم » .

تلك هى سنة الاستئصال للأمم الكافرة وبها أيضاً يستأصل الله كل البشر إن هم دخلوا فى هذه السنة أى بنفس هذه السنة تقوم الساعة .

قـيـادة حـزب الرحـمن وقـيـادة حـزب الـشـيـطان ودورهـمـا في الصـراع التاريخي بين الحزبين : –

لم يهدأ ولم ينته هذا الصراع منذ بدأ ، ولن يهدأ ولن ينتهى إلا فى آخر مراحل يوم القيامة وهى المرحلة التى تسبق قيام الساعة مباشرة ، وبموت كل مؤمن على الأرض بالريح اللينة الطيبة ويُرفع القرآن من المصاحف ويترك الله عز وجل الكعبة لجيل الأشرار فيهدمونها ، ومن ثمّ لا يكون فى الأرض الا هؤلاء الاشرار الذين يبغونها عوجاً ويعيشون للمتاع كالبهائم وينسى اسم الله عز وجل بعد أن يطغى الالحاد وتُعقم النساء وينتهى حال البشرية إلى عدة أجيال من الكفر لا أمل على الاطلاق فى صلاحهم ، ومن ثم يختفى من ذاكرة البشرية نَجْد الخير وتُمحى منها تماماً كلمة الايمان ولا يبقى الا كل ما هو مرذول وخبيث ويسقط ميزان التعادلية ويبطل الاختيار وتتوقف سنة الابتلاء ومن ثمّ يقضى الله عز وجل على هؤلاء الاشرار ويتم أجل الحياة الدنيا بالصّيْحة التى تأخذهم وهم يَخِصّمون فيموت كل منهم فى مكانه ويصبحوا جثثاً منتشرة على سطح الأرض

التى سيهيؤها الله عز وجل للبعث والنشور والحساب فالساعة لا تقوم الا على لكع ابن لكع بن لكع أى ثلاثة أجيال من الكفر المطبق الشامل ، واللكع هو الزانى على قارعة الطريق .

إنها تقوم عندما لا يكون ثمّ أمل فى ان يولد فيهم موحد واحد ينجو بفطرته وإيمانه الجبِلّى من الكفر وهى نفس الحالة التى يتم بها إستئصال المجتمع الكافر المكذب المعاند إذا طغى اشراره على القلة المؤمنة برسولهم ، فينجى الله الذين آمنوا ويهلك الكافرين جميعاً ، كما حدث منذ بدء الصراع البشرى التاريخى الذى بدأ بين قابيل وهابيل ثم امتد حتى تكونت المجتمعات وملأت البشرية الأرض كلها فصار بين نوح والمؤمنين معه وبين كل الناس فى عصره ثم بقى المؤمنون بعد غرق البشرية وبدأت عهداً جديداً ليطغى بعد قوم نوح عاد قوم هود واستأصلهم الله وأبقى المؤمنين مع هود ثم قروناً كثيرة فى قارات الأرض لم يأت خبرها فى القرآن الكريم ، وذكر لنا سبحانه الاقوام الذين إستأصلهم ممن كانوا فى جزيرة العرب وما حولها دون سائر القارات ، وهم ثمود قوم صالح وأصحاب الرس وقوم لوط ومدين قوم شعيب وفرعون وجنوده ثم ما حدث لبنى إسرائيل من شتات بعد فسقهم وكفرهم وهو استئصال لدولتهم وليس لهم كشعب وهى سنة أخرى يعامل بها الله تعالى الأمة الكتابية إذا صارت كالحمير يحملون كتابهم على ظهورهم دون أن يعلموا منه شيئاً ودون أن يعملوا بما فيه ، وهى سنة تجرى أيضاً على المسلمين الذين هم أهل الكتاب الأخير والوحى الخاتم القرآن الكريم وهذا كله ما نعلم تفصيله من خلال الصراع الاسلامى الصهيونى المعاصر فى القرآن والسنة .

والموضوع الذى يطرح نفسه علينا الآن يدور حول قيادة حزب الرحمن وقيادة حزب الشيطان وهذا هو موضوع الفصل القادم إن شاء الله .

الفصل الرابع

بدء العداء التاريخى
وتكوّن فريقىْ الصراع

تكون حزب الشيطان بمجرد فسوق إبليس الجنيّ عن أمر ربه :

بدأ الصراع بين الشر والخير والخبيث والطيب منذ معصية إبليس وفسقه عن أمر ربّه ، وسيظل هذا الصراع ممتداً إلى يوم الوقت المعلوم .

لقد جاء مختصر تاريخ الإنسانية كله فى آية واحدة فى سورة البقرة بعد أن أمر الله عز وجل بهبوط آدم وحواء وإبليس ، قال تعالى : ﴿ **قلنا إهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنونَ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٣٨ - ٣٩ » فالحزبان المتصارعان هما : الفئة التى تتّبع هُدّى الله عز وجل المُنزّل من عنده ، وهؤلاء هم أهل الأمن والسرور الذين سيعودون إلى دار السلام التى خرج أبوهم منها .

وأما الحزب الثانى فأعضاؤه هم الذين يكفرون ويكذبون بما سيُنّزلُ من عند الله عز وجل من الهدى والحق وهم أصحاب النار الخالدون فيها .

وعلى هذا فإن قادة حزب الله تعالى التنفيذيّين فى الصراع هم الذين يصطفيهم الله تعالى ليكونوا المبلغين هديه سبحانه إلى الناس ، فهم الرسل والأنبياء الذين يتلقون الهدى الربانى فى صور صحف أو كتب مُنزّلة عن طريق رسل الله تعالى إليهم ، وهم الملائكة بعامة وجبريل روح القدس بخاصة ، فالنّبىُّ هو النّبيءُ الذى يُحدث الناس بنبوءات غيبية ليس مصدرها الأرض ولا طاقة لعلوم البشر بها ، وهى المشار إليها فى الآية بقوله تعالى ﴿ **فإما يأتِيَنّكُمْ منّى هُدى** ﴾ فهو هدى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم فهو ينزل من السماء ، والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تذكر أنّه مُنَزّلٌ من السماء ، وأن الكتب التى تلقاها الأنبياء من قبل كلها قد أنزلها الله تعالى عليهم من السماء .

فالأنبياء إذاً ، هم قادة حزب الله تعالى فى الصراع لأنهم المبلغون للهدى ، المنفذون له والمعلّمون إياه لأقوامهم وأممهم ، ومن ثمّ كانت طاعتهم واجبة ، بإعتبارهم القادة ، ولا قيادة بدون طاعة .

فَحِزْبُ الله على مدار التاريخ البشرى هم الأنبياء وأصحاب الأنبياء وخلفاء الأنبياء وجميع الذين آمنوا بما جاء به الأنبياء ، واتّبعوهم وساروا على نهجهم ، وعاشوا بمنهج حياتهم .

أما حزب الشيطان فهم العدو اللدود لحزب الله تعالى ، حتى أنه يصح القول أنهما لا يلتقيان ولا يتّصالحان ولا يتقاربان أبداً ، إلا إذا أسلم بعض أصحاب حزب الشيطان فينتقلون إلى صفوف المسلمين ، أو إذا انتقل بعض الذين فى حزب الله تعالى إلى صفوف المشركين مرتدين ، أو يظلون فى صفوف المسلمين وتكون قلوبهم ويكون ولاؤهم للمشركين ، وهؤلاء هم المنافقون .

– إبليس أول الكافرين مؤسس حزب الشيطان :

وأول من انتقل من صفوف المؤمنين فى العالمين هو إبليس لما فسق عن أمر ربه سبحانه ، وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام ، ومن ثم انتقل من حزب الله أى من صفوف المؤمنين أو من صفوف الملائكة ، وأسس حزباً خاصاً به ليرضى غروره وأنانيته وإستكباره . ولم يكن إنتقاله بالفسق عن أمر الله إنتقالاً حسيّاً ومكانيّاً من صفوف الملائكة فحسب ، بل كان قد سبق هذا إنتقالاً معنوياً نفسياً من الفطرة الموحّدة المؤمنة الطيبة التى خلقه الله عليها ، لأن الفطرة الموحدة التى فطر الله تعالى الناس عليها لا تخص الإنس وحدهم إذ هى لغيرهم من عباد الله تعالى ، قال تعالى فى الحديث القدسـى « إنى خلقتُ عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم » فقوله تعالى « عبادى حنفاء كلهم » يشمل الإنس والجن والملائكة ، فجميعهم على الحنيفية ، إلاّ أن الشياطين ، وهم الذين بادروا بالانتقال إلى صفوف الحزب المعادى لحزب الله ، يعملون على نقل كثير من عباد الله تعالى إلى صفوفهم ، والعكس صحيح إذ يحاول المؤمنون الطيبون نقل من يستجيب من الكافرين لصفوفهم ، وهذا هو جوهر الصراع بين الحزبين ، ومن نتائجه الاستراتيجية . وخروج الذين يجتالهم الشياطين عن دينهم ويحرفونهم عن الصراط المستقيم ، إنما يكون

بمخالفة الفطرة التى فطر الله الناس والجان والملائكة عليها ، ولكن الانس والجن هم فقط الذين يخرجون ، أما الملائكة فلا تخرج ولا تعصى الله عز وجل لأنها لم تخلق للإبتلاء ، ولم يجعلها الله تعالى تبعاً لهذا مختارة . ومن ثم فمعنى فسوق إبليس عن أمر ربه أى خروجه عن مقتضيات فطرته الحنيفية التى خلقه الله عليها ، بمخالفة مقتضياتها وطاعة هواه ونفسه المستكبرة ، وهكذا لا ينتقل بعده أحد من صفوف الموحدين إلى صفوفه إلا بالفسوق عن أمر الفطرة التى فطر الله تعالى العباد عليها ، ولا يمنع هذا من تفسير قوله تعالـــى : ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ أى عصى الأمر الإلهى التشريعى الصادر إليه بالسجود لآدم ، لأن الآية تتضمّن الإثنين معاً ، إذ لو لم يعص إبليس الله تعالى ، ولو لم يأب السجود لآدم لما خرج عن مقتضيات فطرته من قبل ، وكذلك لو لم يخرج على مقتضيات فطرته ، لما خالف الأمر الشرعى وأقدم على المعصية ، فالإثنان مرتبطان بل هما وجهان لفعل واحد ، والآية تعبر عنهما معاً ، لأن رفض السجود لآدم هو الفعل السلوكى الظاهرى الذى تم بالجوارح والأعضاء، والفسوق عن أمر ربه سبحانه هو الخروج على مقتضيات الفطرة .

هذا هو إبليس قائد ورائد الفسوق عن أمر الله عز وجل فى عالم الابتلاء ، الذى أصبح كل من يسلك سبيله بالخروج من نجد الخير منحرفاً إلى نجد الشر ، أو بالتحول عن الصراط المستقيم ، سالكاً أحد السبل المنحرفة ، منتمياً إليه مطيعاً له ، سائراً خلفه ، منفذاً أمره فى معصية الله عز وجل ، أقول : أصبح عضواً فى حزبه بدليل قول الله عز وجل يوم الدين لكل المستكبرين الذين أطاعوه فى نهجه ومسلكه ودينه : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ﴾ « يس / ٥٩ / ٦٤ »

إن حقيقة الكفر تكمن فى استكبار الكافر عن عبادة الله وحده ، إذ يخرج عن أمر

الله وينحرف عن فطرته التى فطره الله تعالى عليها ، لأن الفطرة هى العبودية الجبلية لله عز وجل ، ومن ثم فالخارج عن نهجها خارج عن نهج العبودية لله ، وأول دواعى هذا الخروج هو إرادة الإمتياز والتميز على عباد الله ليكون هو الأفضل والأعلى والأرقى فيهم ، وهذا لا يتحقق له إلا بالخروج عن نطاق العبودية ، وهذا هو الاستكبار الذى دل عليه قوله تعالى ﴿ **أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمـــــر ربـــه** ﴾ « الكهف / ٥٠ » وما جاء فى رد أبليس مبرراً هذا الفسق بخيريته على آدم ﴿ **قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقتـــــه من طـــين** ﴾ « ص/ ٧٦ » .

وهكذا ترتبط حقيقة الكفر بحقيقة الإستكبار والرغبة فى العلو على سائر العباد ، ومن ثم الخروج عن نطاق العبودية ومقتضيات الفطرة الحنيفية من خضوع أو إذعان وذل لله تعالى وحده مع سائر الكائنات ، هذا ما كان من إبليس ، ثم ما كان ويكون من كل من إتَّبعهُ إلى يوم الدين ، وهم أعضاء حزبه ، ومن ثم سيقول الله تعالى لهم يوم القيامة ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ « يس / ٥٩ » أى كما إستكبرتم وجعلتم أنفسكم ممتازين مميزين رافضين الاذعان لربكم ، ومستكبرين على عباد الله عز وجل فى الدنيا ، إمتازوا اليوم أيضاً هنا بدخول جهنم ، لأنكم خالفتم عهدى وعبدتم الشيطان الذى حذرتكم منْ عداوته ، فإذا بكم تصبحوا من حزبه فى الدنيا ، ومن ثم فأنتم رفقاؤه فى جهنم فى الآخرة ﴿ **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حـزب الشيطان هم الخاسـرون ، إن الذين يحادّون الله ورسـوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيـها رضى الله عنهم ورضـوا عنه أولئك حـزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ « الحشر / ١٩ - ٢٢ » ، فانظر إلى قوله تعالى ﴿ كتب

الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز ﴾ « الحشر / ٢٠ » بعد الآية التاسعة عشر التى ورد فيها ذكر حزب الشيطان وهم الكافرون المستكبرون الذين يحاربون ويحادون الله ورسوله والمؤمنين ، وأن الله سيجعلهم فى الأذلين ، ويغلب هو ورسله بسنة أو بكلمة قدرها وكتبها قبل خلق السماوات والأرض ، فهى نافذة لا محالة ، وانظر أيضاً إلى مجئ هذه الآية الوارد فيها ذكر الله ورسله وأهل الإيمان فى الصراع قبل الآية الوارد فيها تقرير خسارة حزب الشيطان ، وبعد هاتين النظرتين ألا يحق لنا أن نقرر أن هذه الآيات تتناول بعض سنن الله عز وجل فى الصراع المستمر حتى نهاية حياة البشرية ، والسنن التى بمقتضاها يؤذن الله تعالى فيها الكافرين بالحرب ، حتى ينهزم أعداؤه حزب الشيطان الخاسرون وينتصر عباده حزب الله المفلحون .وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز ﴾ « الحشر / ٢٠ » يثبت أن له سبحانه ولرسله أعداء ، وأن العلاقة بين الحزبين فى صراع مستمر دائم ، وحرب معلنة دائمة ، وأن الغلبة والنصر فى العاقبة لحزبه سبحانه بمقتضى هذه السنة المكتوبة والقضاء الحتمى النافذ ، ومن ثم قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ « الأنعام / ١١٢ » وقال تعالى أيضاً ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ « الفرقان / ٣١ » فالعدو المذكور لكل نبى فى آية الفرقان الأخيرة هذه من مجرمى البشر وهو زعيم المكذبين وقائد المحاربين لنبى عصره المرسل إلى قومه سواء أكان هذا العدو ملكاً أم رئيساً أم شيخاً لقبيلة أو عشيرة أم حتى عرافاً أم مفكراً وفيلسوفاً ممن يحاربون الرسالة السماوية بالفكر ويلبسون الحق بالباطل فى هذه المذاهب الإلحادية المضللة لعامة الناس وبالإعلام الكاذب والتربية المفسدة والقوة والبطش الغاشمين والدليل على هذا هو قوله تعالى ﴿ عدواً من المجرمين ﴾ .

أما العدو المذكور فى آية الأنعام بقوله : ﴿ عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ فأمره مختلف ، وحسب قول المفسرين الذى يدل عليه المنطوق اللغوى لسياق النص ، يكون

لفظ (عدوّاً) إسم جنس يدل على الكثرة وتكون عبارة ﴿ **شياطين الإنس والجن** ﴾ بدل لهذا اللفظ وتفصيل وبيان له ، ومن ثم يكون تفسير الآية أن الله تعالى جعل لكل نبى أعداء هم شياطين الانس والجن ، بل هم كل شياطين الانس والجن ، وهذا يثبت أن حزب الشيطان هم شياطن الإنس وشياطين الجن ، وأن لهؤلاء قائد ولأولئك قائد . ومن ثم يكون معنى ﴿ **عدواً شياطين الانس والجن** ﴾ متضمناً لحقيقة تاريخية هامة : وهى أن الله عز وجل قد جعل لكل نبى عدواً واحداً من شياطين الإنس ، وعدواً واحداً من شياطين الجن ، ولكل منهما أتباع من الانس والجن ، وعلى هذا يكون لكل الأنبياء عدواً إنسياً واحداً ، وعدواً جنياً واحداً ، فهما إثنان يقودان جنودهما وأتباعهما فى الصراع ضد حزب الله تعالى خلال التاريخ البشرى كله بَدْءاً من آدم أبى البشر ، ثم من نوح إلى خاتم الانبياء محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم .

فقيادة المجرمين إستكبارية دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف مقابل أن قيادة الله تعالى لحزبه عزوجل ممتدة دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف منذ بدء الصراع إلى نهايته ، وهذه القيادة الدائمة المتمثلة فى عدو واحد من الإنس ، ونظيره من الجن محارباً للنبوة وللهدى الربانى هى فى الحقيقة قيادة واحدة بمقتضى وحدة الهدف بينهما، وبمقتضى التنسيق الذى بينهما فى العمل ، هذا التنسيق الذى تقصد منه هذه القيادة المتوحدة تحقيق هذا الهدف والوصول به إلى الغاية المشتركة بينهما .

يدل على هذا التنسيق قوله تعالى بعد ذلك ﴿ **يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غُروراً** ﴾ ولا يقول قائل إن وحى زخرف القول ليس بين إثنين ، بل بين جماعة وجماعة لقوله تعالى ﴿ **بعضهم إلى بعض** ﴾ وهذا حق ، لكن الأمر البديهى والطبيعى حسب خصائص الجماعات والمجتمعات والأمم والأقوام أن لكل جماعة ذات قصد وهدف واحد قيادة تنتهى إلى فرد واحد ، حتى ولو كانت القرارات بالشورى ، وحتى لو كان نظام الحكم وإتخاذ القرارات حسب ما يسمونه بالديمقراطية ، إذ لابد من رأس للنظام يكون هو المسئول التنفيذى ، وهو الذى تأتمر الجماعة بأمره ما دامت قيادته دائمة

مستمرة خلال أجل البشرية كله ، ودوام هذه القيادة وإستمرارها ما كان إلا بإذن الله تعالى ومشيئته لحكمة الابتلاء ، كما ذكرنا ، لذلك قال تعالى فى نهاية آية الأنعـــام ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ .

فالصراع بين أهل الخير وأهل الشر هو الذى نال إبليس بمقتضاه وبحسب سنن الابتلاء النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، هو أيضاً الذى نال به وبمقتضى سنن الابتلاء أيضاً أول الكافرين من بنى آدم زعامة أهل الشر فى قبيله ونوعه أى فى البشرية جمعاء ، ومن ثم إقتضى هذا استمرار هذه الزعامة فيهم طيلة الحياة الابتلائية كلها تلك التى بدأت بكفره وتنتهى بموته فى يوم الوقت المعلوم الذى تنتهى به سنن إبتلاء البشر وهذا ما سنوضحه فى الفصل القادم بعون الله تعالى .

- الله عز وجل يتولى قيادة حزبه في الصراع بنفسه :

نسب الله عز وجل جنوده وأولياءه والمؤمنين الطيبين لنفسه فى مقابل نسبة الكافرين الخبيثين للشيطان ، فالناس فريقان لا ثالث لهما : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان ، والعلاقة دائماً بين الحزبين صراع مستمر ، ومن ثم فلا بد أن يكون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً خلال جولات الصراع فحزب الله هم الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا قال تعالى **﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾** « المائدة / ٥٥ - ٥٦ » .

فإذا تساءلنا عن القائد الأعلى لحزب الله تعالى فى الصراع بين الحزبين جاءت الإجابة القرآنية المباشرة بقوله تعالى **﴿ إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبّن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾** « المجادلة / ١٩ - ٢٢ »

فانظر إلى التقرير الآلهى بنتيجة الصراع النهائية وهى أن الذين يحاربون الله ورسوله سينتهى حالهم إلى الذل مهما انتصروا أو ظهروا فى بعض الجولات المرحلية .

أما قوله تعالى **﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾** فهو قول صريح مباشر محكم الدلالة على أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه فى الصراع ورسله هم خلفاءه وقادته التنفيذيّين ، ومن ثم نسب الانتصار والغلبة فى الصراع لنفسه ولرسله والنصر لحزبه .

كما يدل على هذا أيضاً أنه سبحانه نسب الفريق المؤمن الطيب فى الصراع لنفسه

فقال ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

ويدل على هذا أيضاً أن حرب الكفار وكيدهم هى حرب لله ولرسوله ﷺ فقال تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ « التوبة / ١٠٧ » فالعداء والحرب الموجهة من حزب الشيطان ليست ضد حزب الله فحسب أى ليست ضد المؤمنين فحسب بل هى حرب لله ولرسوله ، وهذا يثبت أن الله عز وجل هو قائد حزبه فى الصراع أيضاً .

كذلك يعلن الله تعالى أنه يبطل خططهم الافسادية بنفسه سبحانه بقوله ﴿ ... كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ « المائدة / ٦٤ » ومن ثم تكون القيادة الأعلى فى الصراع لله عز وجل وهذا ضمان بالنصر النهائى لحزبه والغلبة الماحقة لأعدائه حزب الشيطان ، وهو ما سنراه فى الجزء السادس والسابع من الموسوعة عن المهدى وفتح أوربا ثم مقتل الدجال والقضاء على يأجوج ومأجوج ليتم نور الله رغم أنف الكافرين ، ويظهر دينه على كل أديان الأرض .

لذلك كان قتال المؤمنين للكافرين والصمود أمامهم بهذا المعنى نصر لله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ « محمد / ٧ » وقال تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب كل خوّان كفور أُذِنَ للذين يُقَاتلون بأنهم ظُلِمُوا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ « الحج / ٣٩ » فنصر الله عز وجل نصر لحزبه وإنتصار حزبه نصر له عز وجل ومن ثم قال ﴿ ... وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ « الروم / ٤٧ »

والخلاصة أن الله عز وجل لم يوكل أحداً من خلقه رسولاً كان أم نبياً أم ولياً لقيادة حزبه فى الصراع الدائم ضد حزب الشيطان ، بل جعل أمر القيادة له وحده والرسل خلفاؤه والمؤمنون أولياؤه وجنوده وهذا أعظم ضمان لانتهاء الصراع بغلبة الله ورسله والمؤمنين على أعدائهم ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ « المجادلة / ٢١ »

– الطاغوت هو القائد الأعلى لحزب الشيطان في الصراع :

بعد أن علمنا أن الحكمة من خلق السماوات والأرض هى إبتلاء الجن والإنس ، وإن الإبتلاء يتم من خلال الصراع التاريخى سيستمر من أول الخليقة إلى يوم الوقت المعلوم بين حزب الله تعالى وبين حزب الشيطان ، وبعد أن علمنا أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه وهو ولى المؤمنين فى الصراع . فمن يا ترى هذا الذى يقود حزب الشيطان فى الصراع ساعياً بقيادته لحزبه لكى يعبده الثقلان من دون الله عز وجل ؟

هل هو إبليس الجنى الذى رفض السجود لآدم ؟

هل هو المسيح الدجال الآدمى الذى سيدعى الألوهية والربوبية ؟

للإجابة على هذا كله نقول أن الذى نجده فى كتاب الله عز وجل هو أن الرسل والأنبياء جميعاً إبتداء من ادم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ قدْ حذروا أممهم من الإيمان بالطاغوت وأمروهم بإجتنابه قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله وإجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ « النمل / ٣٦ » .

فإذا كانت الأمم جميعاً قد حذرها الرسل من عبادة الطاغوت بعد الأمر بعبادة الله فالطاغوت إذن موجود منذ بدأ الصراع ، وهو رئيس مملكة الشر ، وليس إبليس ، بدليل أن النهى عن الإيمان بالطاغوت ورد فى مقابل الأمر بالإيمان بالله عز وجل ، كما ورد الأمر بالكفر به مقابل النهى عن الكفر بالله عز وجل قال تعالى ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٦ – ٢٥٧ »

فما من كافر أو مشرك سيعذب فى جهنم إلا وقد ضل بفعل الطاغوت الذى أخرجوه

به من النور الفطرى إلى ظلمات الشرك والوثنية ، فالطاغوت موجود إذن منذ بدء الخليقة أو على الأقل منذ بدء الوجود الابتلائى الأرضى وكذلك فإن الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، بينما يقاتل الذين كفروا فى سبيل الطاغوت ، وهذا يدل على أنه إله ورب مملكة الشر ، قال تعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء/ ٧٦ » فكما أن غاية المؤمنين العليا هى رضاء الله عز وجل عنهم حتى أنهم يُضحون بأنفسهم وأموالهم ويقاتلون فى سبيله تعالى فغاية الكفار هى أرضاء الطاغوت بالقتال فى سبيله أيضاً ، وهذا لا يكون إلا باتخاذهم رضاه غاية عليا لهم ، ومن ثم يكون إلههم .

ويدل على أن الشيطان غير الطاغوت ورودهما فى آية واحدة بوظيفتين مختلفتين مما يدل على أن مرتبة الطاغوت فى مملكة الشر أعلى من مرتبة الشيطان ، إذ أن الذين يقاتلون فى سبيل الطاغوت يكونون فى ولاية الشيطان وتحت قيادته لقوله ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان ..** ﴾ أى جنوده ، ومن ثم يكون الشيطان ممن يقاتلون – وإن كان قائداً – فى سبيل الطاغوت ، فهو متلقى منفذ لحكم الطاغوت ، وهذا معنى أن الكافرين وعلى رأسهم الشيطان يقاتلون فى سبيل الطاغوت .

وكذلك يدل على أن الطاغوت رئيس مملكة الشر وإله الكافرين والشياطين ومعبودهم قول الله عز وجل ﴿ **والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد** ﴾ « الزمر / ١٧ » إذ تتضمّن الآية مقارنة بين الحال الذى عليه الذين آمنوا وهو إجتناب عبادة الطاغوت مع الإنابة إلى الله عز وجل فى مقابل الحال الذى عليه الذين كفروا وهو الميل عن سبيل الله عز وجل وإجتناب عبادته سبحانه مع الإنابة إلى الطاغوت .

فإذا لاحظنا أن الطاغوت وردت بصيغة المؤنث ثبت لنا أنه ليس الشيطان من ناحية وليس الدجال من ناحية أخرى كل هذه الآيات تثبت أن المتأله فى مملكة الشر والمعبود من الكافرين فيها والمتطلع بالإستكبار أن يجعل نفسه نداً لله عز وجل وكفؤاً له المدعى

الألوهية من دون الله تعالى هو الطاغوت .

بيد أن هذه النتيجة القرآنية الناصعة تواجه مسألة تحتاج إلى بيان ألا وهى أننا لا نجد فى أخبار أهل الجحيم الواردة فى الكتاب أو فى السنة ذكراً للطاغوت مع المعذّبين بالرغم من أن إدعاءه للألوهية وسعيه لكى يكون معبوداً من الثقلين يستتبع أن يكون فى الدرك الأسفل من دركات الجحيم بل تحت أقدام أهلها المضللين ألم يقل الله عز وجل فى كتابه الكريم ﴿ **ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين** ﴾ « الأنبياء / ٢٩ » بلى .

وألم يقل رب العالمين سبحانه ﴿ .. **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون** ﴾ « الأنبياء ٩٨ — ٩٩ »

بلى فأين ذكر الطاغوت بين أهل الجحيم إذاً ؟ ليس له ذكر بينهم لا فى الكتاب ولا فى السنة .

لقد ورد ذكر الشيطان حيث سيقوم خطيباً فى أهل الجحيم ﴿ **وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ « إبراهيم / ٢٢ » فإذا علمنا أن الطاغوت قد ورد فى القرآن فى ثمانية مواضع لم يتضمن موضع واحد منها خبراً عن عذابه فى جهنم تبين لنا أن الطاغوت هذا أشبه بلغز مطلسم يحتاج حلاً ، إذ أنه من المفروض أن يكون أشد الخلق عذاباً فى الآخرة ، كما أنه من المفروض أن يكون فى أسفل دركات الجحيم .

إذاً علينا أن نستقصى آيات الذكر الحكيم المتضمنة أخبار أهل جهنم لعلنا نجد ذكراً للطاغوت تحت أى مسمى آخر ، مع علمنا سلفاً أنه لن يكون تحت مسمى الدجال لأن

هذا الأخير غير مذكور فى القرآن . كما ذكرنا حقاً إن الطاغوت لغز مطلسم كلما اقتربنا منه ابتعد عنا ، أو هو كالزئبق لا ندرى أسائل هو أم معدن ، وكلما أمسكنا به تفلت من بين أيدينا .

- ليس وحده إبليس الجني هو الذي أضل أهل الجحيم ، بل معه قرين إنسي :

وتلك هى نتيجة البحث الاحصائى فى آيات الذكر الحكيم المخبرة عن أحوال أهل الجحيم والعياذ بالله من هذا المصير . وتتمثل هذه النتيجة التى توصلت بعون الله وهديه إليها فى قوله تعالى حاكيا لنا طلب أهل الجحيم ودعاءهم بأن يريهم الأثنين اللذين أضلا الانس والجن جميعاً وهما أيضاً جنى وإنسى وذلك حتى ينتقموا منهم باعتبار أن كل واحد منهما كان سببا فى ضلال بنى نوعه ، قال تعالى **﴿ وقَيَّضْنَا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ، ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾** « فصلت / ٢٥ - ٢٩ »

إذاً هما إثنان جنى وإنسى كل واحد منهما أول من ضل من نوعه فتسبب فى ضلال كل من ضل بعده من الإنس والجن ، فهما قرينان قد علمنا الضال الأول الجنى وهو إبليس اللعين فمن يكون الضال الأول الانسى ؟

وهل يمكن أن يكون هو الطاغوت ؟

أم يمكن أن يكون هوالمسيح الدجال ؟

وإذا كان الضال الجنى الأول قد عصى وكفر إستكباراً وأصر فتشيطن ثم إزداد كفراً وتوعد بنى آدم بإضلالهم فتأبلس ، فما هو حال قرينه الانسى ، وما هى قصة ضلاله بل

إنا لنسأل أولاً :

ما علة كفر الشيطان الجنى ؟

وما علة كفر الشيطان الإنسى ؟

ثم ما علاقة كل منهما بالطاغوت من ناحية ثم بالجبت من ناحية أخرى ؟

الفصل الخامس

إستكبار ابن حمل الجنة
واستشهاد ابن حمل الأرض

آدم وزوجه في الجنة وعدوهما إبليس :

خلق الله عز وجل آدم وأسكنه وزوجه الجنة ، وأذن له أن يأكل رغداً من جميع أشجارها ما عدا شجرة واحدة عرفها لهما سبحانه بالاشارة إليها تحديداً وتعييناً فقال تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ....** ﴾ « البقرة / ٣٥ / ٣٦ » فما الذى كانا فيه وخرجا منه بمجرد أن أكلا من الشجرة ؟ ، أول ما يتبادر إلى الذهن هو خروجهما من الجنة ، باعتبار أنهما كانا فى الجنة ، وهذا غير صحيح ، وإن صح أن التحذير الإلهى لآدم وزوجه ، إذا هما أكلا من الشجرة المحرمة تحذيرٌ من الخروج من الجنة ، هذا الخروج الذى أصبح إستراتيجية إبليس العليا بعد أن حقت عليه اللعنة ، بل ظلت أيضاً إستراتيجيته العليا مع أبناء آدم فى الأرض حتى لا يعودوا إلى الجنة . قال تعالى مُحذِّراً لهما ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسىَ ولم نجد له عزماً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى ، فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ « طه / ١١٥ - ١١٩ » فالذى كان آدم وزوجه فيه بعد أن أسكنهما الله الجنة أربع نعم وهى : الشبع الدائم فلا يجوعا فيها والكسوة الدائمة فلا يعْريا ، والرى الدائم فلا يظمآ فيها ، وكذلك لهما ما يستظلان به فلا يضْحيان ، وتلك هى حاجات الإنسان الضرورية التى لا يهنأ له عيش إلا بها ، والتى يتسبب نقصها أو نقص بعضها أو حتى واحدة منها إلى موته أو مرضه أو شقائه وتعاسته لقد صارت هذه النعم الأربع لهما فى الجنة ومن ثم لمّا عصيا خرجا من هذه النعم كلها وزالت عنهما قبل خروجهما منها ، وعلة هذا أنّهما لم يرثاها الجنة وإنما سكناها لأن الله تعالى لم يدخلهما الجنة على سبيل التمليك وإنما أدخلهما الجنة على سبيل التسكين ، أى إقامة مشروطة والشرط هو طاعة الله عز وجل بالبعد عن هذه الشجرة المحرمة ، فقد ظلا كائنين فى هذه النعم الأربع ما داما بعيديْن عن هذه الشجرة ، ولم يقرباها ، ولم يأكلا منها ، هذا هو ما كانا فيه ، ومن ثم يمكن القول أنهما كانا فى

الجنة على سبيل التوقيت وليس على سبيل الدوام لقوله تعالى ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة .. ﴾ ، بخلاف ما يقال للمؤمنين يوم القيامة ﴿ **ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود** ﴾ « ق / ٣٤ » ودخولهم على سبيل التمليك الذى أول وأنقى مصادره التوريث ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ « الاعراف / ٤٢ » .

فالوراثة تعنى التمليك والدوام ، أما الاسكان فيعنى الإذن بالإقامة المؤقتة كالايجار ، ومن ثم صارا متمتعين بهذه النعم الأربع ، فلما أكلا من الشجرة خرجا مما كانا فيه ، أى زالت عنهما هذه النعم على الفورْ أى فى التو واللحظة ، ثم بعد ذلك ، أى بعد الحساب والعتاب كان خروجهما من الجنة ونزولهما على الأرض فقوله تعالى إذاً ﴿ **فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾ أى من النعم الأربع ثم من الجنة ، والدليل على هذا التأويل قوله تعالى ﴿ **.... فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ...** ﴾ « الاعراف / ٢١ - ٢٢ » فعقب المعصية على الفور زالت نعمة الكساء .

فماذا حدث من إبليس لهما حتى نسب الله تعالى إليه إخراجهما من الجنة؟

ما الذى فعله لهما فخدعهما حتى أوقعهما فى الذنب الذى زالت به على الفور النعم الأربع ؟ هذا الذنب الذى تم به أيضاً خروجهما من الجنة للشقاء فى الأرض هو وذريته حتى لا يستطيع الآدمى أن يحصل على هذه الأربع : المأكل والملبس والمشرب والمسكن إلاّ بالكد والعمل المضنى ؟!

ما الذى فعله معهما إبليس حتى صار خروجهما حتماً لازماً ؟

هل كان إغراءاً لمجرد الأكل من الشجرة ؟ أى لمجرد وقوعهما فى المعصية ، وما الذى يجعل مجرد الأكل من الشجرة مخرج لهما مما كانا فيه ومن الجنة حتماً ؟

أليس الله تعالى غفوراً رحيماً ، أليس احتمال توبتهما وعفو الله عنهما وإمهالهما وإعطاؤهما فرصة أخرى أقوى من إحتمال عقوبته سبحانه السريعة ، فما الذى جعل

الشيطان واثقاً من حتمية الخروج ؟ لأن إبليس قد علم عن طبيعتيهما ما لم يعلماهما عن نفسيهما ، فكانت له غاية أخرى أبعد من مجرد أكلهما من الشجرة بمعنى أنه أغراهما ووسوس لهما بالأكل منها باعتبار أن هذا الفعل سيكون مقدمة لها ما يتبعها بالضرورة ، أو سبب له نتيجته اللازمة ؟

هذه النتيجة ليست هى الخروج من الجنة وإنما الخروج من الجنة لازم من لوازم هذه النتيجة ، وبتعبير أوضح أقول : ليس الخروج من الجنة نتيجة مباشرة للأكل من الشجرة ، وإنما الذى حدث أن الأكل من الشجرة استتبع فعلاً واحداً منهما معاً ، هذا الفعل هو الذى كان السبب المباشر الذى من أجله خرجا من الجنة ، ومع ملاحظة أن إخراجهما من الجنة نَسَبَهُ الله تعالى لإبليس بإعتباره كان هدفاً إستراتيجياً له ، توصل إليه بوسيلة أخرى ، من مرحلتين أو بوسيلتين هما : إقدامهما على الأكل من الشجرة معاً ، ثم إقدامهما بعد هذه المعصية لله عز وجل على الفعل الذى ليس معصية فى حد ذاته ، ولكنه الفعل الذى إستلزمه الأكل من الشجرة ، وهو الذى استلزم هبوطهما إلى الأرض

فما هو هذا الفعل ؟

قال تعالى ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ « الاعراف / ١٩ » فماذا حدث بعد هـــــذا ؟ ﴿ **فوسوس لهما الشيطان** ..... ﴾ « الاعراف / ٢٠ » بماذا وسوس ؟ وما الهدف من وسوسته ؟

علمنا من السياقات السابقة ، أن الهدف هو إخراجهما من الجنة ، لكن هذا هو الهدف الاستراتيجى النهائى للشيطان من كل ما صنعه معهما ، بيد أن الهدف المباشر من هذه الوسوسة جاء فى نفس الآية واضحاً صريحاً ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما** ﴾ « الاعراف / ٢٠ » أى أنه أراد أن يكشف لهما عوراتهما ، أى يطلع كل منهما على عورة الآخر ، وحيث أن الله عز وجل قد كساهما وضمن لهما ألاّ يتعريا ما داما بعيدين عن الشجرة المحرمة ، فإن الأكل من هذه الشجرة

لم يكن مطلباً إبليسياً لذاته ، وإنما لكى يزيل عنهما نعمة اللباس قاصداً أن يريهما سوآتهما ، هذا هو الحدث الذى أراده إبليس ، لكنه أيضاً لم يكن مطلوباً له لذاته ، بل لما يستتبعه من حدث آخر هو الذى سيخرجهما به من الجنة ، هذا الحدث معلوم لكل ذكر بالغ وأنثى بالغة من ذرية آدم وحواء بمقتضى الطبيعة والغريزة أو الشهوة ، إذ تكون النتيجة الحتمية لمواجهة الذكر للأنثى عاريين ، بحيث يرى كل منهما عورة الآخر هى هذا الفعل المعلوم الذى يزاوله الأزواج فيستتبع الحمل والولادة .

ولقد كان هذا هدف إبليس حقيقة ، إذ هيأ له وألمح له فى وسوسته لهما ، بل وأشار إلى نتيجته ، ولكن بغموض وخداع مزج فيه بين الصدق والكذب ، لما قدْ سبق أن علمه من طبيعتهما الجنسية وعلاقتها بالنسل والذرية وبقاء النوع .

أما آدم وحواء فكانا فى هذه الفترة التى بين اسكانهما الجنة وبين الأكل من الشجرة كالطفلين غير البالغين اللذين لا يعرفان معنى للشهوة ولا يدركان وظيفة لسوآتهما ، أى كانا غافلين عن هذا الأمر ، فأراد إبليس أن يلفت نظرهما لهذه الوظيفة ، وأن يجتازا مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ والمراهقة والشباب ، فتكون النتيجة حدوث المواقعة بينهما ، وليست بذاتها هى سبب الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، لأن الله تعالى لم يخلق الجنة داراً للتكاثر وإنما خلق الأرض للتكاثر وداراً للاستقرار والمتاع إلى حين ، ليتحقق الإبتلاء الذى هو الحكمة من خلق الإنسان ، ، فإجتاز آدم وزوجه التجربة الابتلائية الأولى لهما بالأكل من الشجرة ، ومن ثم ظلما نفسيهما كما قال الله تعالى لهما ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ « الاعراف / ١٩ » أى لنفسيكما ، وكذلك كل من سيقدم على معصية من ذريتهما سيكون ظالما لنفسه .

لقد كانت وسوسة الشيطان لهما إذاً ليبدى لهما سوآتهما التى سترها الله تعالى عنهما بلباسهما ، وبالغفلة عن وظيفتها ، ومن ثمّ ظلا غافلين عن وظيفتها الشهوية التناسلية ، هذه الوظيفة التى عن طريقها غرر الشيطان بهما ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُورِى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ « الاعراف / ٢٠ » لقد كذب عليهما وصدقهما فى آن واحد ، صدقهما لما قصد من قوله ﴿ **أو تكونا من الخالدين** ﴾ أى باقين بالنوع طيلة الحياة الدنيا ، وكذب عليهما باخفاء أن هذا البقاء المؤقت والخلود النسبى سيكون بالنوع فى الأرض ، وليس فى الجنة لشخصيهما .

لقد استثمر الشيطان قلق آدم وزوجه الذى سببه لهما إحتمال خروجهما من الجنة بمقتضى كونهما ساكنين ، وليسا مالكين وارثين لقول الله عز وجل ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ ولتحذيره من المعصية التى تخرجه منها ، ومن ثم صار هاجس خروجه منها مقلقاً ، فإستغل الشيطان هذا القلق فألقى فى أمنيته إمكانية الخلود فيها ، بالأكل من الشجرة . وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **فدلاهما بغرور ....** ﴾ « الاعراف / ٢٢ » ولكى يؤكد لهما صدق زعمه بأن ترك الأكل من الشجرة هو الذى يمنع عنهما أن يكونا ملكين أو خالدين ، قاسمهما ، وقاسم غير أقسم لهما لأن صيغة فاعل تفيد تبادل الطرفين للفعل ، مثال هذا « قتل » فعل وقع من القاتل من غير إشتراك المقتول فى الفعل ، أما « قاتل » فهو يفيد المشاركة بين المتقاتلين ، و« كتب » فعل قام به فاعل واحد أما « كاتب » فهو يفيد وقوع المكاتبات بين اثنين ، « فقاسم » يعنى أنه أقسم لهما وطلب منهما أن يقسما له على أن ينفذا ما يدلهما عليه من نصيحة ينالا بها الخلود فلما أقسما له أن يفعلا ﴿ **فدلاهما بغرور ....** ﴾ فلم يكن أمامهما بعد أن أقسما إلا أن يأكلا ، وهذا الأكل من الشجرة هو الذى أراده منهما ، ليس لذاته ولكن لما بعده ، ولما يترتب على ما بعده وهو إخراجهما من الجنة ، والشقاء فى الأرض .

أما الفعل الأول وهو المعصية فهو الاقتراب ثم الأكل من الشجرة ، أما الحدث الثانى المترتب على هذه المعصية فهو التعرى وكشف سوآتهما ، وهذا لم يكن معصية ، لأنه حدث لهما بدون إختيار أو رغبة فيه إذ هو ليس إلا زوال نعمة الكساء ، ثم الحدث الثالث بعد هذا هو ما حدث بينهما من المواقعة التى يحدث منها الحمل ، وهذه أيضاً ليست معصية على خلاف ما قد يتوهم البعض لأول وهلة .

بل إن بعض الذين يستمعون إلى هذا التحليل لمعصية آدم عليه السلام يرفضونه على الفور مستدلين على رفضهم بحجتين :

أولاهما : أن آدم عليه السلام نبى مكلم والأنبياء معصومون من الكبائر عند جميع العلماء وحسب كل الأقوال ، واختلفوا فى عصمتهم من الصغائر ، والقول بأن آدم عاشر حوّاء معاشرة جنسية فى الجنة ، قد ينسب لهما الزنا ، وهذا لا يجوز على الأنبياء بعامة فكيف تنسبه للنبى أبى البشر آدم وأمهم حواء عليهما الصلاة والسلام ؟

والحجة الثانية هى أن جميع المواضع والسياقات القرآنية التى ورد فيها قصة إبليس وآدم وحواءوإهباطهم من الجنة إلى الأرض لم يرد فيها أى ذكر صريح لحدوث هذه المواقعة ، وسنرد على الحجة الأولى ثم نتبعها بالرد على الثانية :

الرد علي الحجة الأولى : مواقعة آدم لحواء عليهما السلام ليست زنا :

لأن الذى يجامع زوجه ليس زانياً ، والتى يواقعها زوجها ليست زانية ، والدليل على أن الله عز وجل أنكح آدم حواء أى زوجهما هو قوله تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ..** ﴾ « الاعراف / ١٩ » وقوله تعالى ﴿ .... **فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك** ﴾ وقوله ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ، وقوله تعالى ﴿ **إن هذا عدو لك ولزوجك ...** ﴾ وهذا يتضمن فيما يتضمن إنكاح الله عز وجل آدم وحواء ، وليس فى تاريخ البشرية مثل هذا الزواج على الاطلاق من حيث نقاء شرعيته ، لأن الله عز وجل هو الذى عقده بنفسه ، وليس أدل على هذا من أنه سبحانه لم يذكر أم البشر باسمها بل بصفتها المبنية على صلتها بآدم ووظيفتها فى حياته وهى الزوجية .

بل إن الصلة بين آدم وحواء قد تحددت بالزوجية حتى قبل خلقها منه عليه السلام قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله**

كان عليكم رقيباً ﴾ « النساء/ ١ » فحواء مخلوقة من آدم كما نصت على هذا الآية ، وهى من ضلع من أضلاعه كما نص على هذا الحديث الصحيح ، وكما جاء فى سورة الأعـــراف **﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحـدة وجعل منهـا زوجـهـا لـيـسكن إلـيـهـــــا ...... ﴾** « الاعراف / ١٨٩ » وقال تعالى أيضاً **﴿ خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ..... ﴾** « الزمر / ٦ » فَجَعْلُ أو خَلْقُ الزوجة من آدم يفيد أنها ما خلقها الله تعالى منه إلا لكى تكون زوجة له ، فهى الزوجة التى لا تحل لأحد سوى آدم ، ولا يحل لها أحد غيره ، وهو الزوج الذى لا يحل لأمرأة أخرى غير حواء المخلوقة منه ، ذلك أن ما سوى آدم من الرجال محرم عليها ، لأنها الأم الأولى ، وهم جميعاً ابناؤها وذريتها وما سوى حواء من النساءمحرمات على آدم ، لأنهن جميعاً بناته وذريته .

فهل ثمّ فى تاريخ البشرية زواجاً شرعياً أحله الله تعالى نقياً خالصاً لا شبهة فيه مثل هذا الزواج اللهم إلا زواج الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

فهل إذا واقعها فى الجنة أو فى غيرها بعد أن خلقها وجعلها الخالق سبحانه زوجاً له يكون هذا إثماً وكبيرة ؟ .

حاشا لله إن رمى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام بالخطيئة أو الذنب الصغير أو بالكبيرة إفتراء ومخالف لكتاب الله عز وجل بغير علم ، ولو صح هذا ، لأثِمَ كل الأزواج وهذا باطل باطل باطل ، وما عصى آدم وزوجه ربهما بالمواقعة وما عصى آدم وحواء ربهما سبحانه لما بدت لهما سوآتهما ، وإنما المعصية محصورة فى شئ لا تتعداه وهو الأكل من الشجرة ، وهو الفعل الأول (أ) الذى هو المعصية وهى التى تاب آدم وزوجه بعدها إلى الله تعالى واستغفرا وأنابا ، والله تعالى بكرمه غفر لهما .

فلماذا إذاً أخرجهما الله من الجنة وأهبطهما الأرض بعد أن غفر لهما ؟! هنا مربط الفرس . لأن الخروج من الجنة ليس مترتباً مباشرة على الفعل الثالث (جـ) بل هو مبنى أو نتيجة لازمة للفعل الرابع (د) الذى هو نتجة للفعل الثالث (جـ) لأن

المواقعة الزوجية ليست إثماً وليست ذنباً فكيف يحاسبا أو يعاقبا عليه ، أليس للرجل صدقة لبضعه فى زوجه ، لأنه وضع البضع فى حلال وخشى الله تعالى فلم يضعه فى حرام ؟! فلم إذاً نخطئ ، ونقول أن آدم خرج من الجنة بسبب الأكل من الشجرة ، وقدْ تاب الله عليه وغفر له ، أو لأنهما تعّريا ، وقد حدث هذا الحدث (ب) رغماً عنهما ولم يكونا راضييّن عنه بدليل ورق الجنة ، فكيف يُطردا من الجنة لفعل وقع عليهما ولم يقع منهما ، أما الفعل الثالث (جـ) فهو مواقعة الزوج زوجه ، وهو حلال يُثاب المرء عليه كما أثبتنا ، ومن ثم يتبقى لدينا فى هذا التحليل الفعل (د) الذى هو الحمل الناتج عن المواقعة ، وهو أيضاً من خلق الله عز وجل ، ولا دخل لهما فيه ، وليس إثماً لأنه مترتب على الفعل الثالث (جـ) الذى ليس إثماً أيضاً ، وهذا الثالث (جـ) مترتب على الثانى (ب) الذى حدث لهما لا إرادياً ، وهو فعل الله فيهما بإخراجهما مما كانا فيه بزوال النعم وأولها نعْمة الكساء ، وهو مترتب على الفعل الأول (أ) وهو الاقتراب من الشجرة والأكل منها . وهو حده المعصية وقدْ تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .

ففيم إذاً كان الخروج ، من الجنة ؟ وما العلاقة بين الحدث الرابع وبين الخروج من الجنة ؟ أى بتعبير آخر لماذا كان الخروج بعده مباشرة ولم يكن بعد الأول ؟

الحدث الرابع هو الحمل البشرى الأول من هذا اللقاء بين آدم وزوجه ، أى حمل قابيل وتوأمته ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن تكون الجنة داراً للنعيم ، وليست داراً للإبتلاء ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن يكون إنجاب الذرية للإبتلاء ، ومن ثم لا يكون توالد فى الجنة كما هو معلوم من أخبار أهل الجنة ، لأن الجنة لا موت فيها ، والابتلاء الذى هو لازم لتناسل الذرية يقتضى الموت ثم البعث للحساب ، وحيث أن الله تعالى قال لآدم وزوجه ﴿ **إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ « طه/ ١١٩ » فلم يجعل له سبحانه فيما جعل له فى هذه الأربع الذرية والتناسل ، تلك الذرية أو هذا التناسل الذى وعده به إبليس مغرراً لهما ، دون أن يذكر

لهما أن هذا لا يكون إلا فى عالم الابتلاء الذى يجوز فيه الموت .

ومن ثم إنتهى الأمر بآدم وزوجه إلى الهبوط من الجنة إلى الأرض التى نعيش عليها ، ليس بسبب المعصية ، ولكن لأنها هى التى أعدها الله تعالى للإبتلاء والتناسل والموت إنتظارا فى البرزخ للحساب فمن أحسن أعاده الله إلى الجنة ، ومن أساء أبعده الله تعالى عنها وأدخله جهنم والعياذ بالله .

فالسبب الذى من أجله أهبط الله تعالى آدم وزوجه إلى أرض الابتلاء هو إختيارهما دخول عالم الابتلاء الذى من أول خصائصه التناسل والموت ، ثم البعث ثم الجزاء ، فليس الخروج من الجنة ، والهبوط إلى أرض الابتلاء إذاً عقوبة على معصية الأكل من الشجرة ، وإنما هو – أى الهبوط – الحدث الخامس (هـ) فى سلسلة متتابعة من الأحداث كل سابق منها يستلزم اللاحق بالضرورة ، إستلزام النتيجة من السبب أو المعلول من العلة حسب أمر الله تعالى ومشيئته وسننه فى الابتلاء .

ولتوضيح هذا ولزيادة الإستدلال عليه أقول : إن الله عز وجل قد خلق كل نسمة كائنة من ذرية آدم إبتداءاً من الجيل الأول وإنتهاءاً إلى آخر جيل تقوم عليه الساعة ، خلقهم قبل أن يأمر الملائكة بالسجود له ، فكانوا جميعاً فى ظهره أمثال الذر كما دل على هذا حديث الذر الذى هو تفسير لقوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى** ﴾ أما الدليل على أن الذرية كانت مخلوقة ومصورة ومجموعة فى ظهره فهو قول الله عز وجل ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** ﴾ « الاعراف / ١١ » فقوله تعالى ﴿ **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ يفيد أن الأمر بالسجود كان بعد خلق جميع أفراد البشرية ، وإعطاء كل واحد منهم صورته التى سيكون عليها فى الحياة الدنيا، ولقد كان اسجاد الملائكة لآدم قبل خلق زوجه وقبل المعصية

ومن ثم أقول : إن الله تعالى خيّر آدم وزوجه فى الجنة بين نجدين لهما أن يختارا

واحداً منهما .

الأول : هو أن يبقى فى الجنة ما شاء له أن يبقى متمتعاً مع زوجه بالنعم الأربع ناجياً من الهم والغم والمرض والموت ولكن العلاقة بينهما كعلاقة الطفولة إذ يظلاً غافلين عن الاعضاء التناسلية ووظيفتها .

الثانى : هو الحياة فى أرض الابتلاء محروماً من ضمان النعم الاربع إلا بالشقاء والسعى ، وبالتالى لابد من الكد والشقاءللحصول عليها ، ولكن متمتعاً بزوجه مزاولاً للشهوة الحلال ، ثم بذريته التى يحملها فى ظهره . وهذا هو السرالذى علمه إبليس فدلاهما عليه بغرور لإخراجهما من الجنة بإغرائهما بالاختيار الثانى ، هذا هو ما حدث ، بل هذا ما كان حتماً سيحدث ، حتى ولو لم يتطرق إليهما إبليس بالإغراء ، وما كان لإبليس من دور فى إختيار آدم وزوجه النجد الثانى إلا التعجيل فقط ، ولو ترك آدم وزوجه ، فإنه كان ولا بد أن يتحول من الاختيار الأول إلى الاختيار الثانى ، إن لم يكن فى اليوم الأول فسيكون فى الثانى ، وإن لم يكن فى الثانى فسيكون فى الثالث ، وهكذا ، وبدون وسوسة الشيطان ، لأن الله تعالى خلق آدم خطاء غير معصوم عن الخطأ ، ومن ثم لم يكن من سبيل سوى هذا التحول إلى الإختيار الثانى ، الذى هو إختيار الحياة فى أرض الحياة الدنيا الابتلائية مع التناسل ، إيثاراً على الاختيار الأول الذى هو الحياة فى الجنة بالنعم الأربع المضمونة ، ولكن محروما من مزاولة الزوجية ومن الذرية ، وهذا يفسر لنا كيف أن الله تعالى غفر لآدم قبل أن يهبطه إلى الأرض ، فلم يكن هبوطه عقوبة ، بل كان إختياراً منه ومن زوجه للإستمتاع الجنسى ، وهذا ماعلمه الله سبحانه منهما قبل خلقهما ، فخلق سبحانه الأرض وهيأها لتكون داراً للخلافة الابتلائية وحيث قد علم إبليس أنهما لن يلجا النجد الاختيارى الثانى ، إلا إذا عرفاه وذاقاه ، فى حين أنهما كانا غافلين عنه ، فقد عمد إلى تعريفهما به ، وهو على يقين أنهما سيلجاه ، فوسوس لهما بالأكل من الشجرة لكى يكشف لهما سوآتهما فيحدث الاستمتاع والحمل ، فينتهى بهما الحال إلى الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض،

ليبدأ الصراع الابتلائي بين حزبه ، لعنه الله ، وبين المؤمنين

الرد علي الحجة الثانية : عفة الأسلوب القرآني في التعبير عن المعاشرة الزوجية :

للرد على الحجة الثانية القائلة بأنه لم يرد فى قصة آدم وزوجه فى الجنة ذكرٌ صريحٌ للمواقعة بينهما ، أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد :–

أولاً : لم يرد ذكر المواقعة فى قصة آدم صريحة ، لأن هذا هو الأسلوب القرآنى العفيف فى التعبير عن المواقعة بين الذكر والأنثى ، فلم تذكر المواقعة الجنسية بين الذكر والأنثى فى القرآن الكريم إلا بالاشارة أو الكناية ، مثل قوله تعالى حاكياً مقالة مريم عليها السلام ﴿ **قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر** ﴾ « مريم / ٢٠ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ .. **فلما تَغَشَّاها حملت حملاً خفيفاً** .. ﴾ « الاعراف ١٨٩ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ ... **أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً** ... ﴾ « النساء / ٤٣ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** .. ﴾ المجادلة / ٣ » ومثل قوله تعالى ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم** ﴾ « البقرة / ٢٢٣ » ومثل قوله تعالى ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ « البقرة / ١٨٧ » فأين الذكر الصريح للمواقعة بين الذكر والأنثى فى أى نص من هذه النصوص ؟! أليست كلها الكناية أو إيراد مقدمات المواقعة أو بالاشارة ؟! بلى .

ثانياً : جاء بوضوح ذكر المواقعة فى قصة آدم فى قوله تعالى ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ « طه / ١٢١ » فاتبع المعصية التى هى الأكل من الشجرة بالغواية فماذا تكون هذه الغواية ، التى ليست هى المعصية والتى حدثت عقبها ، وهى فعل إرادى لهما ؟ ، ومعلوم من جميع السياقات أن التعرّى ورؤية كل منهما لسوءة الآخر هو الحدث التالى

مباشرة للأكل من الشجرة وهو ما حدث لهما جبرا ، ولم يحدث منهما إختياراً ، ومن ثم جاءت الغواية إختياراً منهما بإعتبارها نتيجة تالية للتعرى فلا معنى لقوله تعالى (فغوى) بعد (فعصى) إلا المواقعة .

ثالثـــاً : جاءت الإشارة للمواقعة بينهما فى سياق سورة الاعراف ، إذ حذر الله عز وجل بنى آدم من الشيطان - كما حذر منه آدم وزوجه من قبل ومن تعريتهما وكشف سوآتهما ، فحدث ما لا منه بد بينهما ، وكذلك إذا نجح الشيطان فى تعرية الناس ، ذكوراً وإناثاً ، فى أى مجتمع ، فإنه لابد أن تشيع الفاحشة بينهم ، ولذا جاءت الوصية الإلهية لنا نحن ذرية آدم وحواء ، بعد أن ذكر نجاح الشيطان فى تعريتهما بقوله تعالى **﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾** « الاعراف / ٢٦ / ٢٧ »

فانظر إلى قوله « كما » التشبيهية فى قوله تعالى **﴿ .... لا يفتننكم الشيطان كما أخـرج أبويكم ... ﴾** ثم تدبّر معى ، بعد هذا البيان ، بأن مكمن الفتنة الشيطانية لهما ولذريتهما فى نزع اللباس ، أى فى الدعوة إلى سفُور المرأة والتبرج والإختلاط أولاً ، ثم الدعوة إلى تعرى الناس ذكوراً وإناثاً وإختلاطهم على الشواطئ وفى النوادى والحفلات والأفلام وغير ذلك ، ولنسأل أنفسنا بعد هذا التدبر :

هل الفتنة كامنة فى مجرد التعرى فحسب ، أم أنها فى الحقيقة فيما يؤدى إليه التعرى بالضرورة من شيوع الفاحشة إلى حد الزنا بالمحارم وفى الأماكن العامة ، كما هو حال أهل الغرب العلمانى المعاصر ؟

الإجابة : بل هى فى شيوع الفاحشة بدليل قوله تعالى فى الآية التالية **﴿ وإذا فعلوا فاحشة .. ﴾** إلى آخر الآية ومن ثم نخلص إلى أن « كما » التشبيهية فى قوله تعالى **﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما .. ﴾** تفيد أنه

كما نزع عنهما لباسهما الأمر الذى أدى إلى المواقعة بينهما لأول مرة ، وهما زوجان يحل لهما المواقعة ، فلتحذروا من الشيطان وقبيله الذين يرونكم من حيث لا ترونهم لأنهم سيعملون على نزع لباسكم وكشف عوراتكم لبعضكم البعض ، حتى تحدث بينكم المواقعة فى الحرام ، وتشيع بينكم الفاحشة ، ثم سترعمون بعد ذلك أن الله تعالى أمركم بها وكتبها عليكم كذباً على الله عز وجل .

وبناء عليه يكون فى هذا التشبيه دليل واضح صريح على حدوث المواقعة ، لأن التحذير فى الحالتين من نزع اللباس ليس لذات نزع اللباس فقط ، وإنما لما يترتب عليه فأسلوب الشيطان فى إيقاع الناس فى الزنا وإغراقهم فى الفاحشة ليس بالدعوة الصريحة الواضحة إليها ، لأنه إذا دعا أحد إلى الزنا أو إشاعة الفاحشة صراحة وبدفعة واحدة فى المجتمع العفيف ، المحجبة نساؤه والذى يغار رجاله على الأعراض ، سيقطع لسانه إن لم تقطع رقبته ، ومن ثم يبدأ التغيّر الاجتماعى من العفة الاجتماعية إلى الإباحية الشهوية خطوة خطوة ، بحيث يغفل الناس عن إدراك العلاقة بين الخطوة الأولى ، التى عادة ما يجد شياطين الجن والانس مبررات يخدعون بها الناس حتى يخطونها ، وبين الخطوة الأخيرة وهى إباحة الزنى ، فتستدرجهم الشياطين إلى أسفل سافلين حتى يصيروا كالأنعام ، بل أضل خلال جيلين أو ثلاثة حتى أنهم مارسوا اليوم الزنا فى الأماكن العامة مجاهرين به فى العلن بعد أن كانوا يرفضونه فى السر .

لقد برر إبليس لأبوينا الخطوة الأولى بأنهما سيكونا من الخالدين ، فإذا بالأحداث تتداعى حتى المواقعة التى كانت هى الأخرى غير متوقعة لهما .

كذلك برر شياطين الانس للأمة الإسلامية الخطوة الأولى وهى مجرد خروج المرأة من بيتها مسفرة بضرورة التعليم والمشاركة فى التنمية ، حتى إنتهى الأمر إلى أن تكون التنمية سياحة تلك التى تجر بالضرورة إلى الدعارة وإنتهت إلى العرى المختلط الذى أشاع الفاحشة وهوّن من خطرها .

وهذا هو أسلوب الشيطان الذى يعتمد فيه الخطوات التدريجية خطوة خطوة فى كل

كبيرة يجر إليها بنى آدم ، إذ أنه لا يأمر بالكبيرة ، وإنما يأمر بما يؤدى إليها ، أى أنه يطلب من الانسان إتيان الفعل «أ» الذى هو مجرد ذنب صغير لكنه يؤدى إلى الفعل « ب » الذى هو ذنب أكبر قليلاً وهكذا حتى الفعل « هـ » الذى هو الكبيرة أو قد يكون الشرك والعياذ بالله ، وقد يتدرج الشيطان مع العابد فى الخطوات من الألف إلى الياء إمعاناً فى الخداع حتى يورده المهالك .

ففى مجال إستدراج الناس إلى شرب الخمر وأكل المحرمات يستخدم أسلوب الخطوة خطوة ومن ثم قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ « البقرة / ١٦٨ » أى فى مجال أنواع الطعام والشراب فاحذروا أن يخدعكم بادخال الخمر ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله فى طعامكم خطوة خطوة .

وفى مجال الحلال والحرام يستدرج الناس خطوة خطوة حتى يقعوا فى الكسب الحرام فيكون طعامه وشرابه ومسكنه وزواجه من مال حرام ، ومن ثم حذرنا ربنا من خطواته فى هذا المجال بقوله ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ « الانعام / ١٤٢ » أى مما رزقكم الله حلالاً .

أما فى مجال إغراق المجتمع البشرى فى الفاحشة وهو أخطر المجالات التى يفتن بها الشياطين الناس ، فقد قال تعالى محذراً من خطوات الشيطان التى تبدأ بأمر يسير ، قد تكون النظرة التى هى بريد الزنا ، والخطوة الأولى دعوة لتعليم المرأة والمشاركة فى التنمية والافراج عنها من سجن الحريم ، حسب تعبير جنود الشيطان من الإنس ، ومن ثم حذّرنا الله تعالى من خطواته فى هذا المجال بقوله سبحانه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاءوالله سميع عليم** ﴾ « النور / ٢١ » هذا ما فعله الشيطان بالخطوات المتدرجة مع آدم وزوجه ومع ذريتهما خطوة خطوة .

ومن ثم فإن شيوع الفاحشة فى الذرية الذى هو النتيجة الحتمية لهذه الخطوات يقابلها

حدوث المواقعة بين آدم وزوجه التى هى النتيجة الحتمية للخطوات التى بدأت بالأكل من الشجرة .

رابعاً : قول الله عز وجل عن خلق آدم وزوجه ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ « النساء / ١ » يحمل إثبات الصلة بين آدم وحواء ، التى خلقت منه ، بعلاقة الزوجية إبتداء ، تلك العلاقة التى تستتبع حسب ما شاء الله تعالى من سنن خلق البشر الحمل والولادة وتكاثر الذرية ، أى الأرحام ، فالإشارة إلى حتمية المواقعة قائمة فى تحديد صلة آدم وحواء وقصرها على الزوجية المُنتجة للذرية ثم إسكانهما الجنة زوجيْن أيضاً ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ وفى هذا إثبات الصلة لهما فى الجنة ، ولا معنى لهذه الصلة إلاّ بحدوث المواقعة والنسل ، كما هو معلوم ، إذ هما – أى المواقعة والنسل – جوهر وحقيقة علاقة الزوجية ومن ثم فتحديد العلاقة بينهما بالزوجية هو إثبات لوقوع جوهرها ، فالمواقعة حلال مسموح بها لهما فى غير الجنة ، أى فى الأرض ، فإذا حدثت منهما فى الجنة فسيكون هذا هو المُخرج لهما منها ، وحيث قد تعلق هذا على النظر إلى سوآتهما فقد عمل الشيطان على تعريتهما ، ومن ثم تمّ بينهما جوهر العلاقة الزوجية الحلال ولكن فى غير الموضع المخصص فى ملك الله تعالى لهذا الفعل ، ألا وهو الأرض الابتلائية ، ومن ثم هبطوا إليها .

– الإدلة علي حدوث الحمل في الجنة : –

ولكن هبوطهما إليها لم يكن ثنائياً ، وإن كان الأمر قد صدر إليهما خطاباً للمثنى (اهبطا) ولكن الهبوط حدث جماعياً أى أكثر من إثنين : ثلاثة أو أكثر .

فهل كانت البشرية عند الهبوط أكثر من إثنين حقاً ؟

ومن أين يتحول الاثنان إلى جماعة إلا بالحمل والولادة ، أو على الأقل بالحمل فقط . ؟

تلك إذاً دعوى أسوقها تقول : إن حمل الجيل الأول من البشرية قد تم فى الجنة ، وتلك لعمرى مسألة خطيرة لها ما بعدها فى تاريخ البشرية كله من أوله إلى آخره .

وكأنى بمعترض يقول : لئن يكون قد ترجح ، أو حتى قد ثبت ، أن المواقعة بين آدم وزوجه قد حدثت فى الجنة ، فإنه لا يثبت بالضرورة حدوث حمل الجيل الأول فيها ، إلا أن يأتى الدليل النقلى من الوحى على هذا الحمل ، لأن الحمل من المواقعة أمر إحتمالى ، وخاصة إذا كانت المواقعة بين الزوجين مرة واحدة ويدل على أنها لم تتكرر لقوله تعالى ﴿ **فلما ذاقا الشجرة ..** ﴾ والتذوق ليس أكلا .

فأقول رداً على القول : نعم لابد من الدليل ، وأن يكون قرآنياً أيضاً .

أما من القرآن الكريم فهذا ما يكن إستنباطه بوضوح من قصة آدم فبعد معصية إبليس سأله الله تعالى ﴿ **قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « الاعراف / ١٢ » فصرّح إبليس بإصراره عليها فجاءه حكم الله تعالى ﴿ **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ « الاعراف / ١٣ » فالأمر بالهبوط لابليس جاء إليه خاصاً به ، ومقروناً بالتحقير والتصغير ﴿ **فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ أى أنه هبط وخرج مغضوباً عليه ملعوناً محكوماً عليه بالصغار .

وفى تفسير هذا السياق فى سورة الاعراف بعد أن أغرى إبليس آدم وزوجه فعصيا بالأكل من الشجرة وحدث ما بعد المعصية ، أمرهما الله تعالى بالهبوط بصيغة الجمع بعد الاستغفار والتوبة ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ « الاعراف / ٢٣ » (قالا) دعاء بصيغة المثنى من آدم وزوجه لله عز وجل وإستغفار وتوبة إليه ، فكان الرد الإلهى عليهما وهما اثنان ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون** ﴾ « الاعراف / ٢٤ – ٢٥ » والسؤال هنا عن الخطاب الإلهى والأمر الإلهى بالهبوط لآدم وزوجه بصيغة الجمع وهما إثنان ، ولا يجوز الرد على هذا بأن

الأمر بالهبوط شمل إبليس معهما ، لأن ابليس صدر له أمر خاص مقروناً بالتصغير .

أما آدم وزوجه فجاءهما الأمر بالهبوط بعد الاستغفار وبعد أن تاب الله تعالى عليهما ، ثم عقب هذا جاء إخبارهما بأنهما ، وكل الذرية التى ستخرج منهما ، سيحيون فى الأرض ويموتون فيها ويبعثون منها ، ومن ثم لا مناص من القول بأن آدم وزوجه كانا جماعة تزيد على إثنين بما حملت زوجه فى أحشائها يؤكد هذا سياق هذه القصة فى سورة طه قال تعالى ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال إهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ « طه / ١٢١ – ١٢٣ / طه » فنزولهما بعد التوبة والهداية يستبعد نزول إبليس معهما كما يستبعد صدور الأمر معهما ، ومن ثم قال ﴿ **اهبطا** ﴾ بالمثنى ثم قال ﴿ **جميعاً** ﴾ ، وهذا هو مربط الفرس إذ أثبت سبحانه أنهما جماعة فى نفس الوقت الذى خاطبهما بالمثنى ، ومقتضى اللغة : « اهبطا منها كلاكما » إذا كان المراد التأكيد أما الجمع فى العربية فهو ثلاثة فأكثر ، وهذا ما يدل عليه لفظ (جميعاً) .

وتفسير هذا : أن الخطاب والأمر بالهبوط صدر لآدم وزوجه فقط فقال (اهبطا) ولكن الهبوط الفعلى سيكون لهما وللحمل الذى فى أحشائها فجاءت كلمة ﴿ **جميعاً** ﴾ تثبت هذا الحمل . وقوله ﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ أى أن بعض بنى آدم عدو للبعض الآخر منهم ، فسيكونون أعداء متصارعين متحاربين يقتلون بعضهم بعضاً ، هذا قول ، أما القول الثانى فهو أن ما فى رحم حواء سيكون عدو لهما ولذريتهما ، وهو فيما أرى القول الأرجح لدىّ ، وليس المعنى كما يفسره بعض المفسرين هو أن العداء سيكون بين الآدميين والإبليسيين الجنيّين ، لأن عداء إبليس لهما وبالتالى عداءه وذريته لذريتهما أمر ثابت منذ أن أبى السجود إستكباراً وقد أخبرهما الله بهذا ﴿ **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ « طه / ١١٧ » وفى قوله تعالى أيضاً لهما بعد المعصية ﴿ **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن**

الشيطان لكما عدو مبين ﴾ « الاعراف / ٢٢ » فالعداء الإبليسى لآدم معلن منذ أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة ، أما ذكر العداء عند الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ففى سورة طه **﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾** « طه / ١٢٣ - ١٢٤ » وهنا أيضاً الخطاب تحوّل من المثنى فى قوله **﴿ إهبطا ﴾** إلى الجمع فى قوله **﴿ بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى ﴾** فالبعض والبعض جمع والهدى المنزل منزل على جمع **﴿ يأتينكم ﴾** لأن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه والعداء سيكون بين الذرية ، والهدى من الله تعالى سينزل على ذرية آدم ، وليس على الجن لذا جاء الخطاب للجمع، ومعلوم أن الرسالة والكتب تنزل على الإنس ولا تنزل على الجن .

أما خبر الهبوط من الجنة فى سورة البقرة فقد جاء مرتين بينهما خبر توبة آدم وزوجه عليهما السلام قال تعالى **﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾** « البقرة / ٣٦ / ٣٩ » فى الآية الأولى من هذا السياق يعود الضمير فى قوله **﴿ اهبطوا ﴾** على المسبوق ذكرهم فى نفس الآية وهم : الشيطان وآدم وحواء ، وذكرهم أصرح فى الآية السابقة عليها وهى قوله تعالى **﴿ وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾** « البقرة / ٣٥ » أما الآية التى بعدها فجاء ذكر الشيطان فى قوله **﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾** وذكرهما بضمير المثنى ، وعلى هذا فالأمر الإلهى فى هذه الآية **﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾** « البقرة / ٣٦ » الفاعل هو واو الجماعة فى فعل الأمر **﴿ اهبطوا ﴾** وهو ضمير

عائد على آدم وزوجه والشيطان الذى أزلهما عنها .

وكذلك يكون الإخبار بالاستقرار والمتاع إلى حين فى الأرض لأبليس والجن ومن تبعه من الشياطين ، وكذلك لآدم وزوجه وذريتهما أيضاً ، لكن ، وأرجو الانتباه مما يلى بعد « لكن » ، فى قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ﴾ إلى آخر الآية ، نجد الضمير الفاعل فى فعل الأمر ﴿ اهبطوا ﴾ لا يعود على العائد عليهم نفس الضمير فى نفس فعل الأمر فى الآية السابقة ، أى أنه ليس عائداً على آدم وزوجه وإبليس ، لأن القاعدة هى عودة الضمير على أقرب مذكور سابق ، وفى هذا الأمر الثانى بالهبوط جاء بعد قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ « البقرة / ٣٧ » وليس لإبليس هنا موضعاً للذكر بل فى مقام توبة آدم وزوجه وإستغفارهما لابد أن يختفى ذكره ويغيب أثره عليه لعنة الله ولهذا ، والله تعالى أعلم ، أقول إن الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين من السياق غير الأمر بالهبوط فى الآية الثامنة والثلاثين من السياق ، لأن الأولى موجهة إلى آدم وحواء ، وإبليس ، والثانية موجهة إلى آدم وحواء بعد التوبة فقط ، ويؤكد هذا أنه جاء بعد التوبة ، ثم الإخبار بأنه سيأتيهم من الله عز وجل هدى ، أى كتباً منزلة على رسل من البشر ، وهذا ليس للجن فيه نصيب إذ الجن مكلفون بما ينزل على رسل البشر ، وبالتالى لا بد أن يكون هذا الأمر بالهبوط الملحق معه الإخبار بنزول الهدى على المخاطبين موجهاً إلى جمع ليس منهم إبليس ، وحيث أن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه فقط ، فليس ثمّ تفسير لكونه بصيغة الجماعة إلا إذا اعتبرنا المواقعة بين الزوجين فى الجنة قد أنتجت حملاً .

وهذا التأويل يزيل ما قد يتبادر إلى الذهن من وجود تكرار فى السياق بين الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين والأمر فى الآية الثامنة والثلاثين ، وحاشا لله تعالى أن يكون فى كتابه تكرار بلا معنى أو بلا إضافة جديدة أو بلا سبب كتحول فى الخطاب أو تغير فى مسار السياق أو غير ذلك ، وهذا التشابه بين ألفاظ الأمرين بالهبوط فى هاتين الآيتين مثال لهذا الذى نقول .

والخلاصة أن الدليل اللغوى آنف الذكر لا يثبت حدوث الحمل فى الجنة فقط ، بل إنه يصلح أيضاً لاثبات حدوث الولادة فيها .

أورد الحافظ بن كثير فى تفسيره ما رواه بهذا الصدد (محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قابيل وكره تكرماً عن أخت هابيل ، ورغب باختـه عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختى ، ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضنّ بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم) (١)

هذه الرواية تثبت صلة بين قابيل وتوأمه وبين الجنة ، ويدل على صحتها ما سقناه من الأدلة القرآنية بحسب قواعد العربية وأهمها إثبات الهبوط وللجمع مع كون الاستغفار والتوبة والأمر بالهبوط للمثنى مرة وللجمع مرة أخرى ، وبالرغم من تخصيص أمرا بالهبوط لأبليس بصفة المفرد مقروناً بالتصـــغير يخرجه من أمر الهبوط لآدم وزوجه بعد التوبة .

وسواء ولد قابيل وتوأمه فى الجنة أم فى الأرض فعلى الأقل قد ثبت الحمل بهما فى الجنة وهذا هو الذى يفسر لنا ادعاء بعض الحكام أو الكهنة أو غيرهم أنهم هابطون من السماء .

أو أنهم يتميزون عن سائر البشر بأنهم أبناء السماء ، كما كان يزعم الفراعنة ، وكما يعتقد اليابانيون فى الأمبراطور الذى امتدّ حكم أسرته قرابة ثلاثة الاف عام ، إذ يسجدون له مصدقين أنه هابط من السماء على غير تفسيرهم لأصل سائر البشر .

وقول قابيل لأخيه هابيل أنه أحق بتوأمته منه لأنهما من حمل الجنة وهما من حمل الأرض أو لأنهـما من ولادة الجنة وليسا من ولادة الأرض مثلهـما إنما هو إستكبار وإستعلاء بهذا العهد السماوى فى أصل وجودهما . وهو إستكبار له ما بعده كإستكبار إبليس ، إذ هو الذى أوصله إلى أن يصبح من الخاسرين فى الآخرة بقتل أخيه والزنى

١ - « تفسير ابن كثير / مجد ٢ / ص ٤٢ »

بتوأمته ، ولهذا أيضاً ما بعده كما سنرى بعد بإذن الله تعالى .

وهكذا كما ابتلى الله تعالى إبليس بتفضيل آدم عليه السلام عليه فكشف ما فى نفسه من كفر ، ابتلى الله تعالى قابيل بأخته وأخيه فكشف ما بنفسه ، ومن ثم تحول مثل إبليس من حزب الله إلى حزب الشيطان بل إلى زعيم هذا الحزب مبرراً جريمته بأنه خير كما فعل إبليس تماماً .

الفصل السادس

القيادة المنظرة المستمرة
لحزب الشيطان

التفسير الاعتقادي لوجود قيادة الشر المستمرة مدى الحياة الدنيا :-

فالأصل الوجودى للقيادة الشيطانية الدائمة المستمرة متمثل فى مشيئة الله تعالى بإبتلاء الإنس والجن ، هذا الابتلاء الذى لا يتحقق إلا بالاختيار بين النجدين ، أى بين الإيمان والكفر ، وبين التوحيد والشرك والطاعة والمعصية والخير والشر ، فلما فسق إبليس عن أمر ربه ، وصار أول الخاسرين فى الإبتلاء ، طلب من الله عز وجل بعض الإمكانات والوسائل التى يستطيع بها غواية الثقلين المبتلّين من الآدميّين والجنيّين والتغرير بهم حتى يفتن الغاوى منهم فى مقابل غوايته وفتنته بآدم ، إذ أمره الله عزوجل بالسجود وتكريمه عليه ، فأعطاه الله تعالى ما يوسوس به وما يزين به الشر للناس وما يتمكن به من دعوتهم إلى ضلالاته وندائهم للدخول فى نجده الشرير ذى السبل الضالة المتعددة .

أى أذن الله تعالى له فى الدعوة والوسوسة والتزيين ، ولم يأذن له بالالزام والاجبار والقهر ، لأن هذا يخالف سنن الابتلاء ويسقط ميزان التعادلية اللازم للإختيار ، هذا الميزان الذى نال بمتقضاه إبليس امكانات الدعوة للضلال مع النظرة إلى يوم الوقت المعلوم ، فصار قائدا مستمراً لحزب الشيطان خلال أجل البشرية كله ، لكن ليس له ولجنوده وحزبه سلطان على الإنسان قبل أن يستجيب له ، أما إذا استجاب له وسلك سبله وسار على نهجه واطاعه بإرادته فيكون هذا الضال عن الصراط المستقيم هو الذى جعل للشيطان عليه سلطاناً وصار من إتبعه فاسقاً وإستحوذ عليه الشيطان واتخذه جندياً وعضواً فى حزبه .

ونظر إبليس فوجد أن الله الحى الدائم القيوم هو عز وجل الذى يقود حزبه فى الصراع مستخلفاً بين الناس الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم يبلغون وينفذون ويعلمون بأمر الله تعالى فهم صلى الله عليهم وسلم خلفاء الله سبحانه وتعالى فى قيادة حزبه خلال الصراع التاريخى المستمر . فتطاول إبليس بعد فسقه وبعد أن أذن الله تعالى له بغواية بنى آدم فى مقابل غوايته هو بآدم ، فطلب النَّظِرة من الله عز وجل إلى يوم

البعث ، حتى تكون قيادته للغواية والإضلال مستمرة دائمة طيلة هذا الأجل ، وقد أذن الله تعالى له ، لأن هذا متوافق مع الحكمة التى من أجلها شاء الله تعالى خلق السماوات والأرض والثقلين : الإنس والجن ، ولكن ليس إلى يوم يبعثون كما طلب ، وإما إلى يوم الوقت الذى ينتهى فيه ناموس الإبتلاء وتتوقف فيه سننه ، إذ الإمهال أو النظرة مرتبطة بحقيقة الإبتلاء ، ومن ثم فتوقفها وإنتهاء أجلها إنتهاء للنظرة . وهو بالتحديد يوم خروج الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة .

تتأكد لنا هذه الحقيقة الأساسية من حقائق الصراع التاريخى بين حزب الله وحزب الشيطان بما قاله إبليس لله عز وجل بعد طرده من رحمته ، فماذا قال ؟ **﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمَانهمْ وعن شمائلهمْ ولا تجدُ أكثَرَهمْ شاكرين ، قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً لَمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾** « الاعراف / ١٦ - ١٧ »

فما معنى قوله **﴿ فبما أغويتنى ﴾** كأنها ، والله تعالى أعلم ، فكما أغويتنى ، أو فبحكم ما أغويتنى ، أو بحسب سنتك ومشيئتك فى الإبتلاء التى بمقتضاها ابتليتنى بآدم ، ابتليه واغويه بى .

فما هو مضمون الغواية التى أغوى الله تعالى بها إبليس ، وكيف أغواه ؟ إن الغواية مزيج من الإغراء والإضلال والاستدراج للتحيص وكشف ما هو خفى مضمر فى نفس الكائن المبتلى . ولقد أغوى الله تعالى بهذا المعنى كله إبليس ، حتى إستخرج ما هو مضمر مخفى باطنى فى نفسه من خبَث ، فصار هذا الخبث الباطنى المخفى فى قلب إبليس بعد إستخراجه ظاهراً متمثلاً فى قوله وفعله .

فماذا كان فى باطن إبليس ، أو ما الذى كان يخفيه هذا اللعين فى نفسه ، فأظهره الله تعالى بالإغواء الإبتلائى التّمحيصى ، لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

لقد كان إبليس عابداً لله تعالى فى صفوف الملائكة ، مجتهداً فى العبادة ، متفوقاً

عليهم فى هذا المضمار كما دلت على هذا أقوال المفسرين ، وذلك بالرغم من أنه ليس ملاكاً لأنه من الجن ، ومعلوم أن الله عز وجل خلق الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الإنسان من الطين ، بعد أن تحول إلى صلصال كالفخار ، وورد أن إبليس كان يدور حوله ويدخل جوفه قبل أن ينفخ الله فيه من روحه .

وعلى هذا وردت أقوال فى تعليل وجود إبليس وهو من الجن فى الأصل مع الملائكة حين أمرها الله تعالى بالسجود لآدم ، ولا يهمنا أحداث إنتقاله من الأرض إلى عالم الملائكة ، أو من مجتمع الجن ، أينما كان ، إلى الملأ الأعلى ، أينما كان أيضاً ، والذى هو فى السماء حسب النصوص القرآنية والحديثية ، ولكن الثابت وهو الذى يهمنا ، أنه كان مع الملائكة رغم كونه جنياً فى الأصل قال تعالى **﴿ وإذا قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾** « الكهف / ٥٠ » فقوله تعالى : **﴿ للملائكة ﴾** لأن الجمع كله من الملائكة وكان هو معهم عابداً لله تعالى مثلهم ، ومن ثم صار من البديهى أن يكون الأمر الصادر إليهم صادراً إليه هو أيضاً ، فلما لم يستجب ولم يسجد ، وسأله الله عن السبب الذى منعه من السجود لآدم **﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين ﴾** « ص / ٧٥ »

حَدَّدَ إبليس السبب بوضوح إذ **﴿ قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾** « ص / ٧٦ » وفى سورة الأعراف **﴿ قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾** « الاعراف / ١٢ » وتفسير **﴿ ما منعك ألاّ تسجد ﴾** أى ما منعك حتى لا تسجد ، وفى سورة الحجر **﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾** « الحجر / ٢٣ » وفى سورة الاسراء **﴿ ..... قال أأسجدُ لمن خلقتَ طيناً ﴾** « الاسراء / ٦١ » ومن ثم فقد أقر أبليس أن الذى منعه

عن السجود هو الكبر والاستعلاء ، ورفض الاقرار لآدم بالأفضلية والتكريم ، فالسبب نابع من ذاته المتمردة حيث تتضمن الاجابة فى جميع المواضع إقراراً صريحاً واضحاً على إستكباره وإستعلائه بالذات الجنية النارية الأصل على الذات الأنسية الطينية الأصل، والاستعلاء أو الإستكبار حالة نفسية نابعة من باطن المستكبر وخارجة من قلبه ولها ما يصدقها ويظهرها من السلوك والأعمال بالجوارح والتصريح باللسان .

وهذا ما أثبته الله عز وجل عليه فى كتابه فى أكثر من موضع ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ « البقرة / ٣٤ » فقوله تعالى ﴿ أبى واستكبر ﴾ أى رفض مستكبراً فالعلة هى الإستكبار . ، وأما إستكباره واستعلاؤه على آدم بقياس أصله هو النارى على أصل آدم الطينى ، فهو تبرير لا معنى له ، لأن خالقه وخالق كل شئ ومالكه ومالك كل شئ ، وربه ورب كل شئ هو الذى أمره بالسجود وهو الذى كرم آدم الطينى عليه وعلى الملائكة النورانييّن ، وهذا التبرير من إبليس ليس تبريراً للمعصية بالإستكبار الذى هو العلة الحقيقية والدافع الذاتى للمعصية . هذا الدافع لم يحدث فى نفسه بعد الأمر بالسجود ، بل كان فى نفسه كامناً خفياً قبل خلق آدم عليه السلام .

الكفر الباطني الخفي الذي كان عليه إبليس قبل المعصية : -

ولبيان هذا أقول : إن إبليس لما إنتقل من الأرض إلى السماء أو بتعبير دقيق صحيح لما انتقل من عالم الجن إلى عالم الملائكة الذين لا يتنافسون إلا فى طاعة الله عز وجل وعبادته وتقديسه وتسبيحه وتوقيره وتعظيمه . نزعت نفسه للعلو بجنّيته على ملائكيتهم ، وتحرك باطنه لإثبات ذاتيته تعصّباً لجنسه متطلعاً ومتطاولاً إلى خيرية ذاته الجنية على الذات الملائكية ، وأفضليته هو عليهم ، فكيف يتحقق له ما نزعت له نفسه ، هذا الذى أصبح هدفه الذى ملك عليه نفسه ؟ لم يجد أمامه مجالاً ينافس الملائكة فيما هم فيه ليتفوّق عليهم إلا عبادة الله وتسبيحه وتقديسه ، لأن الملائكة لا شغل ولا شاغل ولا هم ولا مطلب لها إلا عبادة الله تعالى وطاعته ، فلم يكن أمام إبليس من مجال ينافس

الملائكة فيه ليثبت أفضليته عليهم إلاّ مجال عبادة الله عز وجل ، ولم يكن أمامه من سبيل يسلكه ليسبق الملائكة وليتميز بينهم سوى هذا السبيل ، ومن ثم عبد إبليس الله تعالى وإجتهد أيما إجتهاد فى عبادة الله عز وجل ومعرفته وتقديسه وتسبيحه : ركوعاً وسجوداً وصلاة وتضرعاً ، ليس إيماناً منه بإستحقاق الله عز وجل لهذا كله أى ليس إقراراً منه بالألوهية لله عز وجل ، وليس إيماناً منه بعبوديته هو ككل مخلوق لله عز وجل ، أى لم يكن أيضاً إقراراً لله عز وجل بالربوبية . فلم تكن عبادته ولا إجتهاده فى العبادة الذى تفوق فيها على كثير من الملائكة ابتغاء وجه ربه الأعلى طلباً لمرضاته ، وإنما كان كل عمله وكل قوله وكل تفكيره وخطرات نفسه لكى يتفوق على الملائكة ويثبت إِنِّيّته ، ويؤكد ذاته ، فكانت أفعاله وعبادته لذاته هو ، وليست لله سبحانه وتعالى ، والأعمال بالنيات ولكل عامل ما نوى .

وعلم الله تعالى منه هذا سبحانه الذى يعلم السر وأخفى ، ولا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ظاهراً فى سلوك الأحياء وأقوالهم ، أو باطناً فى قلوبهم ودوافعهم ونيّاتهم وخواطرهم وسوانحهم ، فلقد كان مع الملائكة كاذباً مُنافقاً ، لأنه بأعماله وأقواله كأنه يقول لهم ، أنا أكثر منكم عبادة لله تعالى فأنا أكثر منكم إيماناً به ، ولما كانت عناصر الإيمان بالله عز وجل هى حبُّ الله عز وجل حباً أشدَّ من حب المؤمن لنفسه ورجاؤه فيه وحده دون غيره سبحانه ، وخشيته أشد من خشية غيره عز وجل ، فإنه لا معنى للمنافسة فى عبادة الله تعالى بنية إثبات أفضلية العابد على غيره من العابدين المتنافسين معه فى العبادة ، لا معنى لها إلا عبادة ذاته هو ، فلسان حال هذا المتنافس المتفوق على غيره فى العبادة ، بهذه النية يقول : أنا أشد حباً لله وأعظم رجاءاً فى رحمته وأشد خشية لله من الذين تفوقت عليهم فى العبادة ، وحيث أن هذا ظاهر حاله ، فى حين أن باطن نفسه ليس كذلك ، بل يقول : لقد تفوقت على الملائكة فى العبادة والتسبيح والتقديس لله فأنا الأفضل والجنية بالتالى أفضل من الملائكية ، ومن ثم فقد كان منافقاً إذاً حين كان عابداً مع الملائكة ، وحيث أن حقيقة النفاق هى حقيقة

الكفر إلاّ أن المنافق يغطى كفره الباطنى بسلوك المؤمنين الظاهرى ، فإن إبليس كان وهو متفوق على الملائكة فى العبادة كافراً ، كان عابداً بظاهره كافراً بباطنه ، إذ لم يكن ينطوى باطنه إلا على الإستكبار والاستعلاء بإنّيته الفردية ، وبجنسه الذى ينتمى إليه أى بالجنّية ، وهذا إيمان منه بذاته وتعصب منه لجنسه وهو شرك وكفر بالله عز وجل .

فالكفر لم يطرأ على نفسه مع المعصية وبسببها بل كانت ذاته المستكبرة المستعلية هى النازعة للفسوق أو الخروج عن مقتضيات خضوع العبودية وإذعان المستسلمين لله عز وجل وهم الملائكة ، إلا أن هذا لم يظهر فى سلوكه ، لأن مجال المنافسة لم يكن يسمح إلا بالاجتهاد فى تسبيح الله تعالى وتقديسه وعبادته ، كما ذكرنا هذا ووضحناه من قبل ، وعَلِمَ الله تعالى بكفره الباطنى ، فأغواه وأستدرجه وابتلاه بآدم ، فخلقه من طين ، الأمر الذى جعل إبليس بادئ الأمر يظن أن هذا المخلوق الجديد لن يكون أفضل منه لأن الطين أقل فى درجات الأفضلية من النار التى خلق الله تعالى منها إبليس ، فلما واجه إبليس الابتلاء التمحيصى لباطنه الكاشف لما فى قلبه ، الفاضح لما يخفيه ويضمره فى نفسه ، خسر فى الابتلاء ، لأن الدافع الذى كان يدفعه لكى يعبد الله تعالى هو الاستكبار والاستعلاء وإثبات أفضليته على غيره مزكياً ذاته على ما سواه ، فلما سلبه الله تعالى هذه الأفضلية مصطفياً لها آدم جاعلاً إياه له خليفة ، آمراً الملائكة وإبليس بالسجود له إقراراً بالخلافة وإعترافاً له بالأفضلية ، إصطدم هذا التفضيل الالهى لآدم على إبليس بدافع الاستكبار عنده ، فغلبت عليه نفسه وهواه وتشبثه بالأفضلية وإختار المعصية السلوكية ، ولكن بدافع الاستكبار السابق عنده ، فهو لم يكفر بالمعصية ، وإنما عصى بما انطوى عليه قلبه من إستكبار وكفر سابق ، أى أنه عصى لأنه كان كافراً ولم يكفر لأنه عصى ، قال تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ « البقرة / ٣٧ » فتأمل قوله تعالى ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ فهو إذن لم يكن من المؤمنين ، والكفر حقيقة باطنة قلبية تنطوى النفس عليها مثل الإيمان إذ لا تدخل النفس إلا بخروج الإيمان ، ففيم إذاً كانت عبادة إبليس

التى يرّ بها الملائكة ، وتفوق بها عليهم ؟! ولِمنْ كانت تلك العبادة موجهة ؟ لقد كانت دوافعه الباطنية السلوكية موجهة نحو ذاته هو ، كانت دوافع الاستكبار للأنا الابليسية المتمردة على العبودية ومقتضياتها فلما صارت الطاعة لله عز وجل وعبادته سبحانه متعارضة مع هذا الاستكبار والكبر النفسى القلبى عصى ، ولما صار التفاضل والتميز والتفوق يتحقق بالمعصية وبترك العبادة وبرفض السجود لآدم رفض أن يسجد ، ودل هذا على أنه كان من الكافرين ، فكان كفره علة لمعصيته ، ولم تكن معصيته علة لكفره ، وإذا كانت المعصية السلوكية نابعة من ذات كافرة وتعبيراً عن الكفر الباطنى ، إمتنع هذا العاصى عن الرجوع والتوبة ، ودفعه كفر الباطن للإصرار على المعصية تحقيقاً لتميزه وإستكباره ، وهذا هو ما كان من إبليس وشيعته ، والذين على ملته من المستكبرين من الإنس والجن إلى يوم القيامة ، لأن المعصية السلوكية فرع من الكفر القلبى الباطنى ، ومثل هذا الكافر لا ينزع للتوبة عن المعصية تلك المعصية التى هى فرع عن الكفر مع إصراره على الكفر الذى هو أصل لها . ومعصية إبليس نابعة من كفره أو بتعبير أدق من نفاقه القلبى الباطنى الذى كان يخفيه ، فابتلاه الله عز وجل الابتلاء التمحيصى الذى جعله يعلن ما فى باطنه من كفر فى سلوكه المتمثل فى رفض السجود لآدم ، ثم يُصرّ عليه مع الاقرار باستكباره وكفره .

تلك هى الأنا الأبليسية المتمردة على متقضيات العبودية ، والتى باطنها أسفل طبقات الرجس وأضل أنواع الكفر ، وهو النزوع نحو التمايز على عباد الله تعالى ، هذا الذى ليس شيئاً سوى الكبر الذى لا يدخل صاحبه الجنة ، ولو كان قلبه لا يحتوى إلا على مقدار حبة خردل منه ، لماذا ؟ لأن مقدار حبة خردل من الكبر نزوع عن مستوى العبودية وخروج عن مقتضيات المخلوقية وفسوق عن حدود الفطرة السوية وهذا كله تطاول نحو الألوهية وسواء قل مقدار هذا التطاول أم كثر فهو كبر فى صدور أهله رغبة فى التأله ما هم ببالغيه . قال تعالى ﴿ **إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان آتاهم إن فى صدورهم إلاّ كِبْرٌ ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**

لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ « غافر / ٥٦ – ٥٧ » فجدال الكفار فى آيات الله تعالى البيّنات من قبيل جدال إبليس فى أمر الله له بالسجود لآدم وما منعه ومنعهم من التزام أمره سبحانه إلا كبر فى صدورهم نفوراً من العبودية ورغبة في التميز والتسلط والتأله وما هم ببالغين هذا الهدف ، لأنهم ليسوا إلا عبيداً . وذلك لأن الذى يستنكف عن أن يكون عبداً لله يزعم أنه إله ، كما زعم النصارى أن المسيح بن مريم ليس عبداً ، ومن ثم زعموا ألوهيته ، لما قالوا ببنّوته لله عز وجل ، فجاء الرد عليهم **﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين إستنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصـــــيراً ﴾** « النساء / ١٧٢ – ١٧٣ » فقرن سبحانه بين الاستنكاف عن عبادته وبين الكبر فى الصدور وبكّتهم بأنّ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فكيف يتطاول ذو الحجم الضئيل الذى لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً نحو التأله ؟! وكيف يسمح لنفسه الخبيثة أن تشرئب إلى مقام الألوهية الذى هو للخالق وحده ، رغم أنه مخلوق ضعيف ضئيل ؟!

– الاستكبار عن عبادة الله تعالي وعبادة الأنا هو أصل الشر في الكون : –

والأعجب من هذا كله . أن تكون الأنا الإبليسية التى تعبد ذاتها عابدة متألهة فى آن واحد ، وأصل هذا الكفر هو الإستكبار الذى منشؤه تزكية العابد لنفسه ، وهذه التزكية هى بذرة الشرك عند المشرك قال تعالى **﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفترى إثماً عظيماً ، ألم تر إلى الذين يُزَكّونَ أنفسهم بل الله يُزكّي من يشاءولا يُظْلَمُونَ فَتيلا ، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت**

والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ « النساء / ٤٨ - ٥٢ » فتأمل الصلة بين وعيده سبحانه بعدم المغفرة للمشرك وبين التنبيه ولفت النظر إلى الذين يزكون أنفسهم لتعلم أن تزكية المخلوق نفسه هى بذرة الشرك ثم عودة النص إلى الذين كفروا من بنى إسرائيل وأهل الكتاب الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت ويشهدون الزور ، إذ يقولون أن مشركى العرب عبدة الأوثان أهدى من المسلمين الموحدين . أما إيمانهم بالجبت والطاغوت فهو إيمانهم بالسحر الذى هو وسيلة الاتصال بإبليس وعالم الشياطين ومملكة الشيطان وكل ما يدور فى محوره ويؤدى إلى نصرته وازدهار مملكته الشريرة . هذا النصر والازدهار الذى لا يتم إلاّ على حساب حزب الله تعالى والخلافة الإسلامية وضعفها وهزيمتها إلى الحد الذى يحاول حزب الشيطان فى عصرنا هذا محوها من الأرض .

إن خلفاء الشيطان وأعوانه وأتباعه ليسوا من الكافرين بالضرورة ، بل منهم من ينتمى إلى حزب الله ويعيش بينهم وينافسهم فى عبادة الله تعالى وفى الجهاد وفى إظهار الحرص والاخلاص لنصرة الله وحزبه ودينه بينما هو أمثاله يعملون ما يعملون إثباتاً لذواتهم وإعلاءً للأنا الإبليسية التى تسكن قلوبهم ، إنهم أتباع إبليس وعلى نهجه فى مرحلته الملائكية وأمثال هؤلاء لا بد أن يكشفهم الله تعالى ويفضح نيّاتهم الخبيثة لأنهم ، لا يعبدون إلا أنفسهم .

وهم جميعاً - سواء علموا أم لم يعلموا - مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية ، بالرغم من أن عبادتهم أفضل وصلاتهم أكثر خشوعاً لمن يرى، وقراءتهم للقرآن متميزة ، قال تعالى ﴿ **إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألاَ له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾** « الاعراف / ٥٤ » فالتوحيد إثبات الخلق والأمر لله عز وجل ، فمن أثبت الخلق لله تعالى وزكى نفسه ، فقد أثبت الأمر

لنفسه ، وجعلها شريكاً لله في الأمر ، ومن ثم يكون قد أشرك بعبادة الله عبادة الذات ، ذلك أن أبليس في خطابه لله عـز وجل لم ينكر أن الخلق لله عـز وجل بل أثبت لله تعالى الخلق ، إذ خاطبه بنداء الربوبية حيث طلب النّظرة والإمهال من الله تعالى ﴿ **قال رب فأنظرني إلى يوم يُبعَثــون** ﴾ « الجن / ٧٩ » فانظر قول إبليس ﴿ رب ﴾ الـذى يتضمن إقراراً منه بالربوبية مع رفضه طاعة أمر الله تعالى ، فكان هذا إشراكاً منه فى الألوهية إذ عبد ذاته مع الله عز وجل فأطاع هواه وعصى ربه ، وأساس هذا عنده الاقرار لله عز وجل بالخالقية ، فجعل له الخلق ، إلاّ أنه لم يجعل له الأمر ، وجعله لنفسـه الخبيثة ، وهذا هو شركه وكفره بالله تعالى ، ويتمثل كفر إبليس فى أنه نسب العمل الصالح الذى نافس به لنفسه ، ولم ينسبه لله عز وجل الذى خلقه وأذن له وأعانه عليه ، يدل على هذا ما أورده السيوطى فى الدر المنثور[1] « أخرج ابن جرير عن عبد العزيز الشامى عن أبيه ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط ما عمل ، ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزله الله على أنبيائه ورسله لقوله تعالى ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ ومن يفعل ذلك فهو على نهج إبليس .

وأول من نهج نهجه وفعل فعله فتأبلس مثله هو قابيل الذى إستعلى بحمله فى الجنة هو وتوأمته على أخيه هابيل وتوأمته لأنهما من حمل الأرض .

نفس الإستعلاءورفض أمر الله والمعصية والإصرار عليها فإنتقل بالمعصية إلى شيطان وبالإصرار عليها إلى التضحية بالآخرة واليأس من رحمة الله تعالى فتحول بهذا الإصرار إلى إلى الأبلسة ، فكان شيطان وإبليس الإنس الأول مقارنة بإبليس الذى هو إبليس الجن الأول .

---

(١) السيوطى / الدر المنثور مجلد ٣ ص ١٠٠

الفصل السابع

صوت ابليس المستفِز للمؤمنين الجالب عليهم بخيلِهِ ورَجْلِهِ .

قيادة أبلبيس لحزب الشيطان من خلال صوت آدمي له في الإنس : -

الصراع بين الحزبين وقيادة إبليس لحزب الشيطان ، نبأ عظيم وخطير الشأن فى حياة البشر ، لا يعرض عنه إلا الكافرون ، فأمر الله تعالى رسول الله ﷺ بإبلاغ هذا لقومه مع بيان أنه ﷺ لم يكن فى الملأ الأعلى حين بدأت قصة هذا الصراع ﴿ **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلى إلاّ أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين فإذا سويتُه ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ، قال رب فانظرنى إلى يوم يُبعثون قال فإنك من المُنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين** ﴾ « ص / ٦٧ - ٨٥ »

والنبأ العظيم هو نبأ اختصام الملأ الأعلى الذى لم يكن للنبى الخاتم المنزل عليه القرآن ﷺ علم به ، إذ تعجّبتْ الملائكة من اصطفاء الله تعالى آدم الذى خلقه الله تعالى من طين للخلافة ، ومن ثم أمرهم أن يسجدوا له . فسجدوا جميعاً ما عدا إبليس الذى كان كافراً فاستكبر ، وسأله الله عز وجل لإقامة الحجة عليه : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيَــدَىّ ؟** ﴾ وخلق الله تعالى لآدم بيديْه أحد المكرمات الخمس التى كرمه بها وجعله بها خليفة وهى :

١ - خَلَقَهُ بيديْه .

٢ - نفخ فيه من روحه .

٣ - علمه الأسماء .

٤ - أسجد له الملائكة

٥ – أسكنه جنته .

خلق آدم بيديْه لما يعلم منه أنه سيحتج بأصله النارى فى مقابل أصل آدم الطينى ، كما أن من لوازم العبودية الطاعة المطلقة لله عزوجل ومن ثم قال له فى سورة الأعراف ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ « الاعراف / ١٢ »

أى أن مجرد الأمر يوجب الطاعة سواء أوافق ما فى نفسه أم خالفه ، وسواء أفهم حكمته أم لم يفهم ، وسؤال الله تعالى إبليس عن المانع الذى منعه عن السجود هو ابطال لما سيحتج به كذباً بالقدر وبأمر الله وإذنه الكونى ، وهو بهتان من إبليس ، لأن رد إبليس كما أسلفنا اعتراف بأن الرفض والاباء نابع من ذاته . ثم هو بحث بعد ذلك عن تعليل للرفض فقاس النار التى أصله على أصل آدم عليه السلام الذى هو الطين ﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ « ص / ٧٦ » وكما وضحنا من قبل فإن هذا الرفض كان إعلاناً عن مخْبوء الأنا الابليسية المتمردة الخارجة عن لوازم العبودية ومقتضياتها ، ومن ثم صدر الحكم الآلهى على ابليس باللعنة الابدية لَمَّا أظهر من قرارة نفسه إختياره النهائى للكفر واصراره عليه ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ﴾ « ص / ٧٧ – ٧٨ »

بدء الصراع بين الخبيث والطيب في الكون :

لقد صار إبليس رجيماً وحلّت عليه لعنة الله تعالى إلى يوم الدين ، هذا بالنسبة لموقف إبليس من ربه عز وجل ومصيره الأبدى ، أما بالنسبة لموقفه من الانس فهو بلا شك الحقد النارى الشديد نحو آدم وذريته ومن ثم العداء المستحكم الدائم .

لقد صار حزباً للشر والكفر ، عداؤه لله عز وجل ولجزبه سبحانه وللحق وللخير منذ هذه اللحظة إلى يوم القيامة ، لأن قول الله عز وجل ﴿ إلى يوم الدين ﴾ فيه إعلام وإعلان لأبليس بأن الحساب والجزاء له موعد آجل .

ومن ثم جنّدَ إبليس نفسه لإضلال غريمه آدم وذريته ﴿ قال رب فأنظرنى إلى يوم

يُبعثون ﴾ « ص / ٧٩ » أى أمهلنى إلى يوم الدين حتى أضل أبناء آدم وأغويهم كما أغويتنى يا رب به ، فلقد أصبح هذا من حقى عليه وعليهم أن تغويهم بى كما أغويتنى به وفضلته علىّ . فبماذا أجابه الله تعالى ﴿ قال فإنك من المنظرين ﴾ « ص / ٨٠ » ليس إلى يوم يبعثون فهذا حلم إبليس الذى لم يحصل على وعد به من الله تعالى ، ذلك أنه يريد أن ينجو من الموت فيظل حياً إلى يوم البعث ، وما أعطاه الله له من النظرة لا ينجيه منه ، وإنما وعده الله تعالى بأن يمد فى أجله حتى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم القيامة الذى يبدأ فى الدنيا ، وينتهى يوم الدين ، فالإمهال لأبليس حتى مرحلة من مراحل القيامة ، وهى عصر الآيات العشر ،كما ورد فى الآثار الدالة على أن إبليس يخر ساجداً لله نادماً إذا رأى الشمس طلعت من مغربها ، حيث لا تقبل التوبة ، وهو وقت نهاية الابتلاء للثقلين ، وإن لم يكن نهاية أجل الحياة حيث ، تستمر بعد ذلك بالاشرار . تقول الآثار أن الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس يوم خروج الشمس من مغربها هى التى تذهب إلى إبليس وتقتله .

لقد سأل إبليس الله عز وجل النظرة والإمهال بعدل الله عز وجل ، أو بما علمه من سنن الله تعالى فى خلق السماوات والأرض بالميزان المقيم للتعادلية ، وبما علمه عن حكمة الله من خلق السماوات والأرض للابتلاء ، ولأنه من الجن الذى خلقه الله للإبتلاء أيضاً . وبما علم أن الابتلاء يقتضى التعادلية المحققة للاستواء اللازم لصحة الإختيار ، فطلب من الله أن يجعله قائداً لحزب الشر والرجس مُتَألّهاً بين كل مَنْ يستجيب له مِنَ الجن والإنس ، مُشرئباً بعنقه نحو هذا التأليه الموهوم الكاذب لذاته ، بدافع الاستكبار الذى فسقت عنه نفسه ، وخرج به عن حدود العبودية فطلب الامهال بهذا كله ، فأعطاه الله تعالى إياه ، ومن ثم توعد الثقلين المخلوقين للإبتلاء ، أى ليس الآدميّين منهم فحسب ، بل وكذلك الجنّيّين من بنى جنسه ، توعدهم أن يضلهم ليعبدوه هو بالباطل مع عبادة الله تعالى أو من دونه . ومن ثم فتوهم مخدوعاً أنه ند لله سبحانه وتعالى إذ سيجد من يطيعه وسيصير معبوداً معه ومطاعاً من حزبه الذى سيستجيب له .

والآيات السابقة تثبت أن إبليس كان على ثقة فى أنه سيوقع فى حبائله أكثر المبتلين من الانس والجن ، ولذلك بعد أن أعطاه الله ما طلب من الامهال والنظرة قال **﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾** فالكل خاضع للأغواءالشيطانى ما عدا المخلصين .

ولكن بم سيتمكن إبليس من هذا كله ؟ بعزة الله عز وجل ، والعزة نقيض الذلة ونافية لها ، وهذا إقرار من إبليس بأن قيادته لفريق الشر فى الصراع التاريخى ، تلك القيادة التى توهم أنه يصير بها معبوداً وإلهاً من دون الله عز وجل ، أى بلا إرادة أو بلا حول ولا قوة من الله عز وجل ، وهذا وهم باطل إذ لا يتم أى شئ إلا بحول الله تعالى وقوته وبإذنه عز وجل ، وحاشا لله أن يكون هذا بغير مشيئته الكونية ، ومن ثم فإن فسوق إبليس عن فطرة المخلوقية ومخالفته العبودية ، ومعصيته لأمر الله الشرعى بالسجود لآدم إنما هو واقع بإذن الله تعالى ومشيئته الكونية فكل نصر فى الصراع يحققه إبليس وحزبه على حزب الله عز وجل ، إنما هو بعزة الله تعالى وليس عن ضعف منه سبحانه ، ومن ثم لا يلحق بالله عز وجل ذل الهزيمة التى تحدث لحزبه أحياناً لأنها تقع بإذنه وأمره ، وقد علم إبليس هذا وأقر به وصرح بقوله **﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾** فجولة الانتصار لحزب الله بعزة الله سبحانه وجولة الانتصار لحزب الشيطان بعزة الله تعالى أيضاً ، وهذا معنى قوله تعالى لنبيّه المصطفى ﷺ **﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً ﴾** « الاسراء / ١١١ » وهذا التكبير سيكون بعد قتل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام للمسيح الدجال وبعد أن يقتل عليه السلام ، كل من يقول لله ولداً ويصر عليها ، ويرفض التوبة والاسلام وبعد أن يثبت للبشرية بنفسه بعد نزوله من السماء عليه السلام أنه ليس ولداً لله كما يزعمون وأنه سبحانه لم يتخذ ولداً مطلقاً وأنه لم يكن له ولى من الذل بعد مقتل الدجال أى أن الله تعالى لم يتخذ ولم يكن له وليا لحاجته سبحانه للولى أو لضعفه سبحانه فى الصراع ، وإنما هى حكمة الإبتلاء إقتضت أن

يكلف أولياءه بالجهاد وقتال حزب الشيطان وهو سبحانه القوى العزيز ، ولو شاء لانتصر منهم ، ولكن ليبتلى بعضهم ببعض ، ولكى يحق قول الله عز وجل له ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ أى يملأها منهم بالحق والعدل من غير ظلم بعد أن يثبت إستحقاقهم لعذابها بعد الإبتلاء ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ « السجدة / ١٣ » فهو قول حق من الله الحق يتم ويتحقق بالحق والعدل جزاءاً وفاقاً لنتيجة الابتلاء .

فقول إبليس لربه عز وجل ﴿ **فبعزتك لأغوينهم ..** ﴾ هو الأصل الإعتقادى فى تفسير حصوله على الإمكانيات والوسائل التى نال بها تيسير الإضلال والغواية من الله عز وجل ، إذ أعطاها الله تعالى له بعزته ومشيئته . فما هى هذه الامكانيات والوسائل الإغوائية الإضلالية الابليسية ؟ قال تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً ، قال أرأيتك هذا الذى كرّمْت علىّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورا واستفزز من إستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾ « الاسراء / ٦١ – ٦٥ »

لقد توعد إبليس بنى آدم بالاستحواز عليهم إلاّ قليلاً منهم لو أخّره الله إلى يوم القيامة ، فقال ﴿ **إذهب** ﴾ أى مُنظَراً إلى يوم القيامة ، وهذا يدل على أن يوم الوقت المعلوم فى آية سورة ص هو يوم القيامة فى آية الإسراء السابقة وفى هذا الموضع قد أعطاه الله تعالى الامهال والتأخير أى العمر أو الحياة الممتدة المستمرة إلى يوم الوقت المعلوم الذى هو يوم القيامة ، ليس هذا فحسب ، وإنما أعطاه الله تعالى – تحقيقا لحكمة الإبتلاء – إمكانيات الوسوسة والاحتلال والغواية فقال له ﴿ **وإستفزز من إستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخَيْلِكَ ورَجِلِك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ « الاسراء/ ٦٤» فما الذى ناله إبليس من هذا العطاء ؟

١ - إمكانية إستفزاز من يستطيع إلى إستفزازه سبيلاً من بنى آدم ، ووسيلة ذلك عنده صوته أو صوت أعطاه الله تعالى له بدليل قوله تعالى ﴿ بصوتك ﴾ وهذا هو أول وأخطر إمكانية نالها إبليس ، مما سيُحتم علينا التفصيل فى تفسير المقصود بصوت إبليس .

٢ - إمكانية أن يجلب عليهم بجيوش يحركها بالاستفزاز الذى يتمكن منه بهذا الصوت .

٣ - مشاركة بنى آدم فى الأموال والأولاد ، وهو حسب واو العطف الجامعة ما بعدها مع ما قبلها ، تكون هذه المشاركة فى أصناف الأموال المختلفة وفى الأولاد بهذا الصوت أيضاً .

٤ - وعود كاذبة يغرى بها إبليس بنى آدم يمنيهم بمتاع وسعادة ولذة فى الدنيا كذباً فلا ينالونها لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وتتم بالوسوسة وبهذا الصوت أيضاً .

والوعد الإبليسى الكاذب يمكن أن يكون منه مباشرة لبنى آدم عن طريق وسوسة جنوده وذريته لهم ، والوسوسة لا تستلزم صوتاً مسموعاً بالأذن ، وإنما هى خواطر وسوانح تنبث فى فكر الإنسان وصدره فينبثق معناها فى وعيه وتنزع نفسه إلى ما يدعو إليه الشيطان بالوسوسة من خلال هذه الخواطر والرغبات وكلها شرور ورذائل ورجاسات من الأعمال ، فهى معاصى وآثام وشرك وكفر ، مغلفة بأغلفة الهوى والمتاع .

وعلى هذا فهى لا تتم بالصوت وإنما شأنها شأن الإلهام الذى هو معنى طيب يطفو على سطح الوعى ويبرز فى الفكر ، إلا أن الإلهام من فعل الملائكة ، وهو إيعاز بالخير والبر والطاعة أو بيان للحق ، والوسوسة إيعاز بالشر والمعصية والشرك . ومن ثم فالوسوسة الإبليسية بدون صوت صادر من حنجرة بشرية تصدر الأصوات المسموعة للأذن البشرية ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس

في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ « سورة الناس » فالوسواس الخنّاس من الجِنّة هو الوسواس الشيطانى الإبليسى ليس له صوت في الناس . لأن إبليس والجن بعامة ليست لهم أصوات مسموعة بين البشر يستفزونهم ويجلبون عليهم بالجيوش ، ويشاركونهم فى الأموال والأولاد بها . فماذا يكون صوت إبليس الوارد فى قوله تعالى ﴿ **واستفزز من إستطعت منهم بصوتك** ﴾ ؟ وإذا كنا قد علمنا الوسواس الخناس الجنىّ وهو إبليس وجنوده ، فمن هو الوسواس الخناس الذى من الناس ؟

المسيح الدجال هو صوت إبليس البشري المستفز للناس وممثله فيهم : –

لفظ الصوت لا يكون إلا بما تدركه الأذن ويميزه السمع لدى الإنسان ، وهو – كما هو معلوم الآن موجات يُحْدِثُها – إصطدام الأشياءأو حنجرات الأحياء فتصل إلى الآذان فترسلها إلى مراكز الأسماع البشرية فى المخ فتميزها وتدرك مصدرها ، وإن كانت كلمات تدرك معناها سواء كانت أسماء لأشياء وأحياء يتصورها الذهن بمجرد الإستماع إلى الإسم ، مثل قولنا « زيد » أو أفعال يدرك الذهن حركتها وأثرها كقولنا « وقف زيد » ، أو حروف تحدد العلاقة بين الأسماء والأفعال كقولنا « وقف زيد على سطح البيت» .

فهل من طبيعة الجن بعامة وإبليس بخاصة أن يُسْمِعوا أصواتهم للآذان البشرية ؟ وهل من طبيعة الآذان البشرية والسمع البشرى التمكن من التقاط أصوات الجن كما يتحدثون هم بعضهم إلى بعض ؟ الإجابة اليقينية القاطعة هى لا ؟ لأنه كما أن البصر البشرى لا يستقبل صور الجن فكذلك السمع البشرى لا يستقبل أصواتهم والعكس غير صحيح ، إذ أن الجن ومنهم شياطين الجن وعلى رأسهم إبليس يَرَوْنَنَا نحن البشر من حيث لا نراهم قال تعالى ﴿ **يا بنى آدم لا يفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقَبِيلُه من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾ « الاعراف / ٢٧ » ومعنى قبيلة ، أى بنى

جنسه أو نوعه ، وهم الجن سواء الشياطين منهم أم غير الشياطين ، وبالتالى فهم يسمعوننا من حيث لا نسمعهم . وهذا يطرح علينا السؤال : كيف يستفزز إبليس وجنوده بصوته البشر ؟! حتى أنه يجلب عليهم بالخيل والمشاه من الجنود ويشاركهم فى الأموال والأولاد . وهذا كله بالإضافة إلى عمله الرئيسى الأول الدائم وهو الوسوسة التى جاءذكرها فى قوله تعالى ﴿ ... وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهمُ الشيطان إلا غُرُوراً ﴾ لأن كل وسوسات الشياطين إن هى إلاّ تزّيينٌ للشر ، وهذا التزّيين ليس سوى وعد بالمتعة فهو يغرى الإنسان بالسعادة كذباً وزوراً ، وهى ليست بصوت مسموع بالضرورة إلا أن تكون وسوسة شيطان الانس للإنس ، وهذا ما يتم فى الإعلام الفاسد المفسد .

أما الاستفزاز فى قوله ﴿ .. واستفزز من إستطعت منهم بصوتك ﴾ فهو تحريك بنى آدم أفراداً وجماعات ، وإخراجهم من سكونهم النفسى والجسدى ، فهو يحمل معنى الإثارة والتهييج المؤديان للفعل الشرير العدوانى الفردى والجماعى إبتداء من الإعتداء بالسب وإنتهاء بتحريك الجيوش الجرارة والجماهير الغوغائية بالإضطرابات والثورات . وهذا معنى ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك .. ﴾

مصطلح الاستفزاز في القرآن الكريم :-

يدل على هذا ورود لفظ الاستفزاز فى القرآن الكريم فى موضعيْن آخرين بالإضافة إلى هذا الموضع الخاص بإبليس .

الموضع الأول : قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾ « الاسراء / ٧٦ - ٧٧ » قال المفسرون هو ما فعله مشركو مكة بعد ذلك معه ﷺ ، حتى أُخرجوه منها بالهجرة بعد نزو ل سورة الاسراء التى فيها هذه الآية ، فلما هاجر تحقق وعيد الله لهم حسب سنته فى إرسال الرسل ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً لما قُتل أئمة الكفر فى غزوة بدر الكبرى ، هؤلاء الذين الجأوه ﷺ للهجرة وأخرجوه من أرضه . هذا هو معنى الاستفزاز فى هذا الموضع ، ولم يخرج عليه الصلاة والسلام

إلا بالاستفزاز إذ أحاط شباب قريش ببيته يريدون قتله بناء على مشورة إبليس الذى جاء إلى زعماء قريش فى هيئة شيخ نجدى أشار عليهم بأن يجمعوا من كل عشيرة من عشائر قريش بفتي ويضربونه جميعاً ضربة رجل واحد بسيوفهم فيتفرق دمه فى القبائل فلا تستطيع بنى هاشم إلا أخذ الديّة .

والموضع الثانى : هو قول الله عز وجل عن الصراع الطويل المرير بين بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من ناحية ، وبين فرعون ودولته وجنوده من ناحية أخرى ، هذا الصراع الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم مفصلاً فى عشرات بل مئات الآيات فى سور كثيرة ، قد ورد ذكره مجملاً فى أربع آيات من سورة الإسراء أيضاً فى قوله تعالـــــى **﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً ، فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ، وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾** « الإسراء / ١٠١ – ١٠٤ » فقوله **﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض .. ﴾** أى تحريكا ممتزجاً بالأذى والعدوان وربما للقتل والإبادة ، لماذا ؟

لأن المواضع الثلاثة الوارد فيها ذكر الاستفزاز كلها تدل على أعظم ما يمكن أن يحدث فى الأرض من الشر ، ومن ثم فهو الفعل الذى يصل به الصراع بين حزب الله عز وجل وحزب الشيطان الذروة التى يتطاول فيها حزب الشيطان فيدبر لإستئصال الخير وأهل الحق من الأرض .

علمنا أن الموضع الأول فى سورة الإسراء هو **﴿ واستفزز من إستطعت منهـــم بصـوتك .. ﴾** « الإسراء / ٦٤ » والموضع الثانى فى سورة الإسراء أيضاً **﴿ وإن كـادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً ﴾** « الإسراء / ٧٦ » والموضع الثـالث **﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ﴾** وجميعها فى سورة الإسراء .

ومعلوم تاريخياً أن فرعون أراد أن يبيد بنى إسرائيل أو على الأقل إبادة قيادتهم المتمثلة فى موسى وهارون وأصحابهما ليقضى على الحق والخير فى الأرض ، وكذلك من المعلوم أن كفار قريش دبروا قتل النبى ﷺ فى بيته وأحاطوه بفتيانهم ليلة الهجرة ، بعد أن ظنوا وتوهموا أن قتل النبى يقضى على دعوته ، فالإستفزاز الإبليسى بهذا الصوت تعبير عن ذروة الصراع بين الحزبين ، وأما فى الموضع الأول الخاص بالإمكانيات التى أعطاها الله تعالى لأبليس لأغواء البشر كذلك ، أى الإستفزاز بصوته فقد ذكر بعده الجلب عليهم بالجيوش الراكبة أو المحمولة والراجلة على الأقدام ، وهكذا لم يرد الاستفزاز فى هذه المواضع إلا من خلال الخبر عن أفعال محددة عدة تصدر من الشيطان وحزبه للقضاء على مصدر النور والهدى فى الأرض ، وهى مرحلة يتطاول فيها حزب الشيطان إلى القضاء على حزب الله وإستئصال المؤمنين والقضاء عليهم تماماً ، وهذه الأفعال تتم بصوت إبليس ، وهذا هو معنى الاستفزاز فى المواضع الثلاثة ، وحيث أنه من المحال أن يكون المقصود « بصوته » هو ما يصدر عن حنجرته ومن فمه ، لأنه لا يصل إلى أسماع البشر كما أثبتنا هذا بالدليل آنفاً ، لزم أن يكون لقوله تعالى « بصوتك » دلالة أخرى يكون صوت إبليس هذا ، حسب هذه الدلالة ، مسموعاً عند الناس ، مؤثراً فيهم مستفزاً لهم ، حتى أنه يحرك به الجيوش ويشارك إبليس به الناس فى أموالهم وأولادهم ، فإذا تذكرنا أن إبليس قد نال النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، وأن هذا الذى أطلق عليه رب العالمين اسم « صوتك » بضمير كاف الملكية للمخاطب يكون منسوباً لأبليس نسبة الاستحواذ والمثلية وليس نسبة الذاتية والخاصية والجوهرية لإبليس ، كما قال تعالى عن المنافقين فى المدينة ﴿ **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ « المجادلة / ١٩ » وحيث أن هذا الصوت لابد أن يكون من البشر حتى يسمع الناس ، فإنه يكون أول من إستحوذ عليه إبليس من أبناء آدم ليكون من حزبه ، بل ليكون القائد البشرى لحزب الشيطان البشرى ، كما أن إبليس القائد الجنى لحزب الشيطان الجنى ، ويصير

هذا الصوت بمثابة الزعيم لمملكة الشيطان فى عالم البشر وخليفته فيهم ونائبه عليهم .

ويترتب على هذا كله ضرورة أن يكون صوت إبليس البشرى الذى هو أول مَنْ إستحوذ عليه مِنْ ذرية آدم مُمْهلاً مثله إلى يوم الوقت المعلوم ليتم بهما قضاء الله تعالى بابتلاء الانس بالجن والجن بالانس . فليس من المتصور أن يكون إبليس مُنظراً ممهلاً ، ونائبه وصوته فى البشر غير ممهل ، لأن نسبة الصوت إليه نسبة الاستحواذ والمثلية باعتباره أول وأهم وأخطر إمكانات الإضلال والغواية ، يقتضى له النظِرة طيلة أجله الطويل المناظر لأجل البشرية تقريباً . أى فكما تطاول إبليس فى إضلاله للناس حتى يجعلوه نداً لرب العالمين سبحانه وتعالى عن ذلك ، فطلب النظرة والاستمرار ، ومن ثم فقد لزمه صوت مستمر معه فى بنى آدم تكون له النظرة والامهال أيضاً ليُكَوِّنا معاً قيادة لها وحدة الاهداف والغايات مع التنسيق بينهما فى الوسائل والمخططات والبروتوكولات .

أما الغاية الواحدة لهما فهى أن يجعل كلاهما نفسه معبوداً من الله عز وجل فى بنى نوعه بإضلال أكبر عدد ممكن فيهم ، حتى يُسوّوهما برب العالمين ، ويعبدوهما مع الله تعالى أو من دونه ، فيصيرون إلى جهنم التى يختصمون معهما فيها ﴿ **قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون** ﴾ « الشعراء/ ٩٦ - ٩٩ » وعلى رأس هؤلاء المجرمين الذين زعموا لأنفسهم الربوبية والإلهية إبليس الذى هو شيطان الجن الأول ، وصوته الذى هو شيطان الانس الأول وكلاهما يتطاول ليكون معبوداً لحزبه من دون الله عز وجل ومن ثم فهما اللذان أضلا ويضلا الانس والجن حتى يُدخلونهم النار يوم الدين . هذان القائدان : إبليس وصوته يشكلان هيئة واحدة للإضلال فى الأرض فهل ما جاء عن الدجال من أخبار تتوافق مع كونه قريناً لإبليس الجنى فى قيادة الصراع ؟ .

الفصــل الثامــن

قــابيل هو صــوت إبليس

الأدلة على أن صوته هو أول من استحوذ عليه من الانس :

يدل على صحة هذا التفسير للصوت المنسوب لأبليس بخلاف ما ورد عن بعض المفسرين بأنه صوت الموسيقى والغناء ، أقول يدل على صحة تفسيرى هذا ما ورد فى القرآن الكريم عن سؤال أهل النار عن الذين كانوا سبباً فى أن يدّاركوا فيها ، عن هذا التساؤل ، وعن لعنة بعضهم بعضاً فى النار ، إذ تتهم كل أمة الأخرى بأنها هى السبب فى ضلالها لأنها سبقتها بالضلال لَمَّاَ اتبع اللاحقون السابقين قال تعالى **﴿ يا بنى آدم إمّا يأتينكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا إدّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال : لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم : فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ، إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين ، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ « الاعراف / ٣٥ - ٤١ »**

فانظر وتدبر قوله تعالى عن سؤال كل رسول أمته يوم القيامة ، لِمَ لَمْ تستجب لدعوته وأصروا على عبادة غير الله عز وجل : **﴿ أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ ﴾** أى هل ينفعونكم اليوم ؟ فيأتى رد قومه المشركين عليه : **﴿ قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾** ومن ثم شهدوا وأقروا باستحقاقهم عذاب النار **﴿ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ﴾** وهذا معناه أن الحساب

ثم دخول النار يوم القيامة سيكون بترتيب ورود الأمم والأجيال فى الدنيا لأن قوله تعالى ﴿ فى أمم قد خلت من قبلكم ﴾ أى الأمم الذين إنقضت أجيالهم فى الدنيا قبل مجيئكم إليها . فأسبقية دُخول النار تكون للسابقين فى الدنيا بترتيب الأجيال والأمم ثم اللاحقين . وهذا بالنسبة لأمم الجن وأمم الانس سواء بسواء، ومن ثم فالأمة التى تدخل تجد فى طريقها وفى مقرها الأمة التى قبلها فى الزمان خلال أجل الحياة الدنيا ، وحيث أن الأمة اللاحقة تكون فى العادة مقلدة فى ضلالها للأمة السابقة عليها فإنها تحمّلها مسئولية الضلال أو الكفر الذى إتبعوهم فيه ، فتلعنها ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وتظل تتوالى الأمم على دخول النار حتى أمم آخر الزمان ، أو جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة ، وهو آخر أفواج النار ﴿ حتى إذا إداركوا فيها جميعاً ﴾ بدأ بعد إكتمال عدة أهل النار فيها البحث عن المجرمين الذين سنُّوا الضلال وابتدعوا الشرك أى أول من خرجوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا السبل الضالة ، لأنهم هم الذين يتحملون المسؤولية الكبرى ، إذ هم الذين أضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم ولم يتلقوا الضلال من غيرهم ، بينما جميع الأجيال والأمم التالية على هذا الجيل الضال الأول ضلّلهم السابقون عليهم وأضلوا هم اللاحقين لهم ، ومن ثم يكون الجيل الأخير أو الأمة الأخيرة من أهل النار قد أضلهم السابقون ، ولم يضلوا هم غيرهم لأنهم ليس لهم لاحقون ، لكن هذه الأمة الأخيرة لا تلقى بالمسئولية التامة إلا على جيل أو على أمة الضلال الأولى ، ومن ثم ينتهى بحث أهل النار عن الذين أوردوهم فيها إلى أنهم الأمة الضالة الأولى ، وإن كان تأثيرها فيهم وتأثير كل أمة فى اللاحقين عليها لا يعفى كل جيل من المسئولية التى بها يستحق العذاب ، إلاّ أن حقدهم على الأولى يجعلهم يدعون الله عز وجل أن يضاعف للمجرمين الأوائل العذاب ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ فالخطاب الموجه من الأمة الأخيرة إلى الأمة الأولى من أمم أهل النار ينتهى بأن تتوجه الأمة الأخيرة لله عز وجل تدعوه أن يضاعف العذاب للمجرمين الأوائل ، ولكن نظراً

إلى أن الكل ضل وأضل فلكل ضعف فيأتيهم رد الله عز وجل ببلاغ ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ ولا يسكت أوائل المجرمين بل يردون على أواخرهم ﴿ **وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾ أى أن استحقاق العذاب الأليم العظيم فى النار ، إنما هو بسبب ما ارتكبنا جميعاً من أفعال اكتسبناها إرضاءً للهوى والشهوات وعبادة للذات ولغير الله عز وجل ، فما استحقوا العذاب إلاَّ بالاستكبار عن عبادة الله ، أى إلا بالفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع نحو مقام الألوهية ، ومن ثم كذبوا بآيات الله ، وكانوا بهذا الاستكبار على دين إبليس وملته وهؤلاء هم حزبه الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، قال تعالى معقباً بعد هذا التخاصم بين أهل النار ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يَدْخُلُون الجنة حتى يَلِجَ الجمل فى سَمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين** ﴾ « الاعراف / ٤٠ – ٤١ »

هذا بالنسبة لتخاصم أهل النار وبحثهم وتساؤلهم عن الأمة المتسببة فى إضلال جميع الأمم ، وقد انتهوا إلى أنها أولاهم .

ولكن ماذا عن البحث عن الافراد أو الفرد الأول الذى أضل الأمة الضالة الأولى فى الانس والجن ؟ ، يعلم كل الناس من جميع الملل والأديان والنِحَلْ أنه إبليس لعنه الله .

ولما كان إبليس من الجن فإنه لا بد أن يتبادر إلى الذهن السؤال عن أول من كفر واستكبر عن عبادة الله من الإنس ، إذ يكون هو الذى سَنَّ فى الناس الكفر وابتدع الفسق وعلم الذين اتبعوه اتباع الهوى والفجور والشرك بالفسوق عن حدود العبودية لله تعالى فيكون موضعه الإفسادى الإضلالى فى الانس كموضع إبليس فى الجن ، هذا ما يحتمه العقل .

فهل فى القرآن الكريم والسنة ما يشير إلى هذا المجرم الانسى الأول الذى يناظر إبليس الذى هو المجرم الجنى الأول ، ومن ثم يكون هو نظير إبليس ونده وصوته ؟

نعم ، قال تعالى عن تخاصم أهل النار وحقدهم على أول فرد جنى كفر من الجن وأول فرد إنسى كفر من الانس ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذين كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللَذيْن أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ « فصلت / ٢٧ - ٢٩ » والمعنى أن الذين كفروا فى النار سيدعون الله أن يريهم إثنين ﴿ الذيْن أضلانا ﴾ بصيغة المثنى ﴿ من الجن والانس ﴾ أى واحد منهما جنى وهو بلا شك إبليس والظاهر إنسى وهو بلا شك أول من استحوذ عليه إبليس من بنى آدم فصار الانس الذى ابتدع الكفر ، وأول من فسق عن أمر ربه ، فتبعه الآخرون من بنى نوعه .

لماذا سيدعون الله تعالى أن يريهما الضال الجنى الأول والضال الانسى الأول ؟! لأن ضلال الانس والجن إنما هو تقليد لهما ، ومن ثم فهما اللذان أضلوا أهل النار جميعاً ، وبالتالى سيصير حقد أهل النار عليهما أشد من حقدهم وحنقهم على غيرهما فسيطلبون من الله هذا الطلب ليجعلوهما تحت أقدامهم فى النار ليكونا من الأسفلين .

إنها إذاً وحدة الهدف ووحدة العمل فى الدنيا ووحدة التخطيط ووحدة المصير فى الدنيا والآخرة : الإنظار فى الدنيا إلى يوم الوقت المعلوم ، ثم الخلود فى النار تحت أقدام أهلها .

قد علمنا الجنى منهما فمن ذا يكون ذلك الإنسى ؟

مما سبق عن هذا الصوت الابليسى ، يشترط لتعيين شخصيته وتحديد إسمه معرفة بعض الشروط أو الأحوال والصفات والخصائص التى تخصه دون غيره وهى : -

الأول : أن يكون آدمياً

الثانى : أن يكون أول من استحوذ عليه إبليس من الآدميين إستحواذاً تاماً كاملاً ، فلا رجعة له إلى التوبة والإيمان بالله عز وجل ، شأنه فى ذلك شأن إبليس والعياذ بالله

تعالـى .

الثـالـث : أن يكون جـوهر ضـلاله وكـفـره هو جـوهر ضـلال وكـفـر إبليس ، وهو الاستكبار والفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع إلى أن يكون إلهاً أى معبوداً من دون الله تعالى، ثم السعى بين الناس لكى يؤلّهوه ويعبدوه ، وهذا هو هدف إبليس وغـايته العليا ، ومن ثم يتم العمل بينهما بتنسيق تام ، إذ لا يوحد العمل والوسائل إلا وحدة الغاية العليا

الرابع : : أن تقوم الأدلة الصريحة أو المضمرة أو الإشارية على أنه مُنظرٌ مثل إبليس أى حياته ممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثم تكون نهـايته معلومة باعتبارها أمارة من أمارات الساعة شأنه فى هذا شأن إبليس ، لأن يوم الوقت المعلوم هو يوم القيامة ، أو هو مرحلة من مراحله تسبق الساعة

الخامس : أن تقوم الادلة على أنه القائد البشرى لحزب الشيطان فى الصراع بتنسيق وتعاون بينه وبين إبليس القـائد الجنى ، فـيثبت بهـذه القـيـادة عداءه الشديد للرسل والانبياء من أولهم إلى خاتمهم ﷺ جميعاً ، ومن ثم يكون هو المفسد الأول والأكبر فى كل زمان ومكان ، أى على مدى التاريخ الإنسانى ، من أوله ، أى من عهد آدم عليه السلام ، إلى يوم الوقت المعلوم ، وبالتالى يكون هو قائد الإفسادة الكبرى المعاصرة لبنى إسرائيل فى الأرض الذى حقق لهم بها العلو الكبير ، وحيث أنه من الثابت بالأثر أن الدابة ستقتل ابليس بعد خروجها من الأرض مع طلوع الشمس من مغربها ، وأن يوم القيامة يوم ممتد يمثل العصر الأخير من عصور البشرية ، فإن معنى يوم الوقت المعلوم يكون بنزول الآيات السمـاوية ، وهى الشمس من مغربهـا والدابة والدخان ، وهووقت معلوم إذ ينغلق فيه باب التوبة وتتوقف فيه سنة الابتلاء ، فلا يكون لبقاء إبليس حكمة إذ جعله الله تعالى – كما اثبتنا من قبل – لتحقيق الابتلاء ، وبذلك تكون نهاية صوته معه أو قبله بقليل لأن إمهاله لنفس الحكمة .

السادس : حياة آدمى آلاف السنين أمر مخالف لسنن الحياة ومن ثم يكون حياة

صوت إبليس هذا بسنة خاصة ويلزم من هذا أن تكون حياته قائمة بأمر غيبى هو سر يخصه ويخص إبليس الذى استحوذ عليه .

السابع : هذا بالنسبة لحياته وزمن موته وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لكيفيته إذ تقتضى هذه السنة الغيبية التى أعطاها الله عز وجل لإبليس ، لكى يحيا بها صوته معه إلى يوم الوقت المعلوم ، أن يكون إنتهاء هذه الحياة بسنة غيبية خاصة ، أى يكتنفها سر أو أمر خفى ، لا يعلمه الناس ، أو العلماء الذين يدرسون ظواهر وقوانين الحياة والموت بين الأحياء الأرضية بعامة وحياة البشر بخاصة ، ذلك أن الحقيقة الذاتية لصوت إبليس الآدمى هو حصوله على الامهال إلى يوم الدين أى إمتداد الحياة إلى يوم الوقت المعلوم ، وهذه الحقيقة التى تمكنه مع إبليس من تشكيل الطاغوت أى قيادة الشر الدائمة طيلة أجل الحياة الدنيا ، أقول : إن هذه الحقيقة التى جعلت حياته مخالفة لسنن الحياة لابد أن تجعل موته أيضاً مخالفاً لسنن الموت الحاكمة لموت الاحياء بعامة ولموت البشر بخاصة . فيكون موته بكيفية مخالفة لموت البشر ، وبوسيلة مخالفة لموت البشر لأنه يموت بسنة مخالفة لموتهم ، ذلك هو المسيح الدجال صوت إبليس الإنسى .

فمن ذا الإنسى الذى تجمعت فيه هذه الخصائص والصفات والأحوال ؟

إنه قابيل ابن آدم الأول قاتل أخيه والزانى بأخته أول من سن الفسوق والكفر من بنى آدم وإتبع أبليس ، وهو أول من إرتكب معصية مكفرة خسر بها نفسه ، ولم يَعُدْ له بعدها رجعة ولا توبة وإستمر بعدها فى العصيان وكانت هذه المعصية نتيجة إستكبار وفسوق عن مقتضيات العبودية ورغبة فى التعالى الوهمى للألوهية مثله فى ذلك مثل إبليس ، إنه قابيل قاتل أخيه هابيل .

قال تعالى﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقبلْ من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدىّ إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوء بأثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴾ « المائدة / ٢٧ - ٣١ » فقوله تعالى لرسوله المصطفى الخاتم ﷺ واتل على امتك يا محمد ﴿ **نبأ إبنى آدم بالحق** ﴾ فيه دليل على أن لهذا النبأ أثراً مباشراً على حياة امته من خلال الصراع المستمر بين حزب الله الذى أعضاؤه هم أمته وبين حزب الشيطان الذى لهذا النبأ صلة وثيقة به .

وقوله تعالى ﴿ **إبنى آدم** ﴾ أى أن كلا منهما كان ابناً مباشراً له وليس حفيداً ، وليس من الذرية ، وهذا ما قاله جمهور المفسرين وخالفهم الحسن البصرى فقال إنهما من بنى إسرائيل محتجاً بأن السياق عن بنى إسرائيل قبل (نبأ ابنى آدم) وبعد ﴿ **نبأ ابنى آدم** ﴾ عنهم أيضاً ، فورود نبئهما فى وسط السياق عند الحسن دليل على أنهما من بنى إسرائيل لكن العلماء نقضوا قوله بما ورد عن نبأ القاتل لأخيه مع الغراب الذى علمه كيف يوارى سوأة أخيه الأمر الذى يثبت بدلالة قطعية أن البشرية لم تكن تعرف سنة الدفن بعد ، حيث لم يكن قد حدث فيهم الموت أو القتل ، أما علم الأخ القاتل بالقتل فهذا ميسور من خلال صيد الحيوانات أو ذبح الأنعام ، ومن ثم لما هدد أخاه بالقتل قائلاً لـــــه ﴿ **لأقتلنك** ﴾ كان لديه التصور الصحيح عن القتل من تجارب سابقة عن موت الحيوان وذبح الأنعام ، وحيث لا تدفن موتى الحيوانات فلم يدر قابيل ماذا يفعل بأخيه بعد أن قتله حتى علمه الغراب سنة الدفن . أما مناسبة ورود نبئهما فى وسط السياق الذى يتحدث عن بنى إسرائيل فسنعرفها بإذن الله تعالى فيما بعد تفصيلاً ويكفى الآن أن نعلم أن هذا دليل على أن الذى يقود بنى إسرائيل فى الإفسادة المعاصرة وعلوهم الكبير فى الأرض هو الدجال ملكهم وهذا يدل على أن قابيل هو الدجال ، ومن ثم تضمن السياق إشارة واضحة لهذه الحقيقة .

وأما تأويل قول الله سبحانه ﴿ **بالحق** ﴾ أى أن كل ما يقال عن هذا النبأ بخلاف ما سيرد فى السياق فهو غير صحيح ويكتنفه التحريف ، والذى سيرد هو الحق الخالص . ثم

بدأ السياق يقص نبأ ابنى آدم بقوله تعالى ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾ أى أن النبأ يبدأ عندما قرب كلا منهما قرباناً يتقرب به إلى الله عز وجل . فمبدأ القصة إذاً منافسة بين الأخوين فى التقرب إلى الله عز وجل ، ومن ثم يكون قبول قربان أحدهما ورفض الآخر دليل تكريم الله عز وجل لصاحب القربان المقبول وتفضيله وإصطفائه دون الآخر لنيل المطلب الذى تقربوا بالقربان من أجله .. وفى هذا عودة لنفس الموقف الابتلائى النفسى الذى إجتازه إبليس من قبل حين كرم الله تعالى عليه آدم لإظهار ما يخفيه فى نفسه من الدافع الباطنى الدفين الذى دفعه لمنافسة الملائكة فى تسبيح الله تعالى وتعظيمه وتقديسه وهو دافع الرغبة فى إعلاء الأنا الإبليسسة بالاستكبار ، ولم يكن لوجه الله تعالى .

كذلك الأخوان إذ قربا قربانا ، كان أحدهما ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضى بأمره أما الآخر فكان لغير مرضاته سبحانه . لقد وردت روايات تربط بين جريمة القتل الأولى فى تاريخ الانسانية بجريمة الزنا مع الأخت وبالمحارم بعامة فقتل قابيل لهابيل لم يكن مجرد جريمة قتل عادية كأى كبيرة من الكبائر يمكن لمرتكبها أن يتوب إلى الله تعالى منها ، لأن الدافع إليها كان هو نفس الدافع الذى دفع إبليس لمعصيته ، وهو الإستعلاء بالأنا المتمردة على مقتضيات العبودية النازعة نحو التأله .

وهذا لا يتعارض مع الروايات الواردة فى كتب التفسير عن محمد بن اسحق عن طائفة من أهل العلم عامة وعن ابن عباس وابن مسعود ان سبب النزاع بين الأخوين ، هذا الذى أدى إلى قتل الأخ لأخيه هو الإختلاف حول توأم قابيل الوضيئة الجميلة ، ومن ثم لما قتل قابيل هابيل ليمنعه من الزواج بتوأمه عاش معها هو بعد ذلك ، وهى محرمة عليه ولا تحل له ، أى أنه اتخذ الزنا باخته سبيلاً لقضاء شهوته ومن ثم فإنه لما قتل أخاه عازماً على الإستمتاع بشقيقته مع علمه بأنها محرمة عليه لم يكن أمامه أدنى إحتمال للتوبة والندم ، إذ لم يكن فى نفسه إلا الإصرار على المضى فيما أقدم عليه بغير رجعة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ **فَطَوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ لقد صار فى عداد الخاسرين ، ومن هم الخاسرون ؟ قال تعالى ﴿ **فاعبدوا**

ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ « الزمر / ١٥ » إذاً لقد خسر قابيل نفسه وأهله يوم القيامة بمجرد قتل أخيه ، وعلة ذلك أن الجريمة لم تكن قتلاً فقط ، بل ولم تكن قتلاً ولا زنى بالأخت فحسب ، بل كانت كفراً فلم يكن قابيل مسلماً لله تعالى ولم يكن مؤمناً به عز وجل مثل أخيه هابيل ، بل كانت ذاته إبليسية مستعلية نافرة من ذل العبودية لله عز وجل رافضة لشرعة ، ناشزة عن طاعته تكبراً وبطراً للحق المنزل من عند الله وغمطاً لحق أخيه . كانت هذه أحواله النفسية الدفينة يتعالى على أخيه بذاته وبشقيقته التوأم زاعماً أن أخاه هابيل وأخت هابيل التوأم دونهما هو وأخته التوأم ، وأصر على الزواج منها وإدعى أنه أحق بها وهذا هو الكفر المقابل للإيمان وكان لا بد من دليل سماوى على بطلان دعواه وصحة دعوى آدم عليه السلام الذى أخبره بما شرع الله لهم فى هذا الجيل من أحكام للزواج بتحليل الأخت غير التوأم وتحريم الأخت التوأم ، فكان الدليل هو القربان قال ابن كثير « وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل ، فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قابيل وكره تكرماً عن هابيل ، ورغب باخته عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى .

ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس ، فَضَنَّ بها على أخيه وأرادها لنفسه فقال له أبوه : لا يا بنى إنها لا تحل لك ، فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنى قَرِّبْ قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما يُقبل قربانه فهو أحق بها ، وكان قابيل على بذر الأرض وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرب قابيل قمحاً ، وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه ، وبعضهم يقول : قَرَّبَ بقرة ، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله . رواه ابن جرير . ثم المشهور عند الجمهور أن الذى قَرَّبَ الشاه هو هابيل ، وأن الذى قرب الطعام هو قابيل ، وأنه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس

وغيره : إنها الكبش الذى فدى الله عز وجل به الذبيح إسماعيل عليه السلام وهو مناسب والله أعلم » إنتهى كلام ابن كثير ، والشاهد الأول فى هذا النص الذى نحتاجه لإثبات كفر قابيل هو رفضه التحريم بلاغاً من أبيه آدم عليه السلام وهو نبى مُكَلَّم متعللاً بالدليل العقلى أو بالرأى فى مقابل الدليل النقلى الذى بلغه به آدم عليه السلام بقوله : هى أختى وأنا أحق بها ، فأمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الأمر الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها وهى حلال له حرام على الآخر .

ولنا فى هذا النص لإثبات كفر قابيل الدفين ، قبل قتل أخيه ، بالأنا الأبليسية الفاسقة عن مقتضيات العبودية شاهدان :

الأول : رفض قابيل تحريم أخته التوأم عليه كما بلغه آدم عليه السلام الذى ما كان له أن يحرم الا ببلاغ منزل إليه من الله عز وجل ، وقد رفض متعللاً بالرأى الذى يسمونه « العقل » مع أنه ليس سوى الهوى قائلاً : هى أختى وأنا أحق بها . ورفض التحريم المبلغ به من آدم إنما هو رفض لنبوته ، وآدم عليه الصلاة والسلام نبى مكلم كما جاء فى الخبر عن النبى الخاتم ﷺ .

الثانى : لما أمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الحكم الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها ، وهى حلال له محرمة على الآخر ، كان الهدف منه إظهار الكفر الدفين فى نفس قابيل ، ليس الكفر بنبوة أبيه آدم عليه السلام فحسب هذه المرة وإنما بالله عز وجل لأنه سيكون مخيّراً - إذا لم يأت الحكم حسب هواه - بين قبول أمر الله تعالى مستسلماً مؤمناً بوجوب طاعته ، وبين رفضه والاستعلاء بهذا الرفض والإباء تماماً ، مثل ما كان من إبليس لعنه الله بإزاء الأمر بالسجود لآدم عليه السلام . وهذا هو ما حدث إذ تقبل الله قربان هابيل ولم يُتقّبل قربان قابيل ، ومن ثم جاء الحكم من الله تعالى بأن أخته التوأم الوضيئة محرمة عليه ، ولا تحل إلا لهابيل ، فاختار قابيل بدافع الأنا المستعلية المستكبرة الكفر الذى صار هو السبيل الوحيد للإستمتاع باخته، وحيث لا سبيل إلى ذلك مع وجود الأحق بها وهو هابيل ﴿ **قال : لأقتلنك** ﴾ استفزاز

له، وهذا هو أول إستفزازٍ له ، يفضى إلى القتل من إبليس لبنى آدم ، وقدم قابيل الحاقد التهديد على الفعل حتى يهيج أخاه فيتحرك للدفاع عن نفسه فيصير الفعل بينهما إقتتالاً وليس قتلاً ، ولكن هابيل عليه السلام كان صالحاً عالماً بمقتضيات التقوى فرد عليه قائلاً بهدوءوبدون أدنى غضب أو هيجان **﴿ قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾** « المائدة / ٢٧ - ٢٨ » أى سأجعل يدى مغلولة فلا أحركها حتى تكون جريمتك عدوان خالص منك علىّ فأنجو من الأثم وتتحمله وحدك **﴿ إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾** « المائدة / ٣٠ » وصدق هابيل فغل يده عن أخيه رغم أنه كان أقوى منه جسداً كما وردت بهذا الروايات ، فماذا حدث ؟ قال تعالى **﴿ فَطَوَّعَت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾** « المائدة / ٣١ » فتدبر قوله تعالى **﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه ﴾** بتشديد الواو بما يفيد مغالبة النفس الأمارة بالسوء لفطرته فيستبين لنا الصراع الباطنى فى صدر قابيل للإختيار بين الرغبة المحرمة فى الأخت التى لا سبيل إليها إلا بقتل الأخ مع التضحية بالآخرة ، وبين إيثار الآخرة والتضحية بهذه الرغبة لقد كان أعنف صراع بين فجور نفسٍ وتقواها ومن ثم كان التردد ، لكن فجوره محق تقواه من نفسه ، وطوّعت له نفسه القتل أى أجازته وحسنته ويسرته له بمجاهدة فطرته ومغالبتها .

ولكن أين دور ابليس من هذه الجريمة ؟ أليس هو الذى يعد ولا يعد الا غرورا ؟ فماذا كان وعده لقابيل مقابل قتل أخيه ؟ أن ينال أخته التى يشتهيها فقط ؟ كلا : لقد وعده بالنظرة والامهال والحياة الممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثمّ كان المقابل مُغرياً لقد أغراه بالدنيا مقابل الآخرة ، قال له : إذا كنت ستفقد جنة الآخرة التى سيدخلها المؤمنون بعد نهاية أجل الدنيا الطويل وبعد الموت ، فأنا أعطيك جنة الدنيا وأنجيك معى من الموت إلى يوم الوقت المعلوم ، وستكون صوتى الذى أتحدث به إلى بنى جنسك وأجعلهم يعبدونك معى فتكون إلهاً . ارفض العبودية كما رفضتها أنا لتكون إلهاً

. والسبيل إلى هذا أن تتمسك باختك توأمك فأنت أحق بها ، خرجتما من رحم واحدة فى بطن واحدة ، أنتما شئ وهابيل وأخته شئ آخر ، لستما سواء ، إنكما من ولادة الجنة ، والدليل ما أنتما عليه من وضاءة وجمال ، وما هما عليه من سمرة وحظ قليل من الجمال ، تمسك بها للنهاية ، وامنعه أن يستمتع بها ولا تسمع لآدم ، إذ يحرمها عليك .

فرفض قابيل التحريم ورفض الزواج من توأم هابيل وكان هذا استدراجاً من ابليس له بالنفخ فى نفسه لتطفوا الأنا الإبليسية فيه ، فيسلك نفس السبيل الذى سلكه هو من قبل وهو سبيل الأبلسة ، أى الطرد من رحمة الله تعالى .

فلما أمر آدم بتقريب القربان وثبت التحريم من الله عز وجل ، وسوس له بأن يتحدى أمر الله ويرفضه ليكون معه منظراً إلى يوم الوقت المعلوم لأن الله تعالى وعده بأن يكون له صوت فيهم ونائباً له عليهم ينال النظرة والإمهال مثله . فصار بذلك اختيار قابيل صعباً وابتلاؤه بالتخيير بين أن يكون معبوداً من الذين يتّبعونه من الناس إلى يوم الوقت المعلوم ، وبين أن يكون عبداً مسلماً لله عز وجل يعيش أجلاً قصيراً ثم يموت ليفوز بالجنة بعد البعث ، فاختار قابيل طاعة ابليس تلبية للأنا المستكبرة ولشهوته وأبى طاعة ربه فقتل وزنى ، فما كان ليقتل أخاه ويزنى بأخته نظير سنوات معدودة حتى ولو كانت الألف التى كان يعيشها الواحد منهم حينئذ .

– الأدلة علي أن قابيل قتل وزني مقابل النظرة والامهال

أولاً : ما سبق وأن عرضناه من تفسير لقوله تعالى ﴿ **وإستفزز من إستطعت منهم بصوتك ....** ﴾ حيث إنتهينا إلى أن هذا الصوت هو أول من إستحوذ عليه الشيطان من بنى آدم ، ليكون خليفة له فيهم متحدثاً باسمه ، وأنه يلزم أن يكون صوت إبليس مستمراً معه طيلة أجله وهذا يثبت للصوت النظرة والامهال .

ثانياً : قوله تعالى عن قابيل بعد أن قتل أخاه مباشرة ﴿ **فأصبح من الخاسرين** ﴾ أى

مطروداً من رحمته تعالى طرداً أبدياً مثله فى ذلك مثل إبليس سواء بسواء ، وحيث أن القتل هو مما يجوز أن يتوب عنه القاتل بل تجوز التوبة عن الشرك والكفر ، إلا أن الخسران فى هذا الموضع يدل على أن كفر قابيل الدفين كان هو دافعه إلى القتل فقوله ﴿ فطوّعت له نفسه ﴾ فلو لم تكن نفسه كافرة مستعلية بالأنا الأبليسية ، لما قتل أخاه ، اليست هى التى طوعت له قتل أخيه ؟ فهى إذن نفس كافرة قبل القتل، لأن الأنا الإبليسية كانت قد فسقت عن حدود العبودية بالرغبة فى التمايز عن أخيه والتكبر عليه فبطر الحق المنزل من عند الله وغمط أخاه ، ذلك هو الكبر المعادل للتأله .

وقد أبان هذا الدفين النفسى عند قابيل وأظهره قوله لآدم مبرراً رفض التحريم فى رواية ابن اسحق « نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض » فاستعلى على أخيه بهذا الأصل الوجودى لنشأته هو وأخته ، كما إستعلى إبليس أيضاً بأصله الوجودى النارى على آدم بأصله الوجودى الطينى . هذا الاستعلاء هو الذى مكّن ابليس أن يستحوذ عليه ليكون له صوتاً منظراً معه إلى يوم الوقت المعلوم . أما تفسير عبارة « ولادة الجنة وولادة الأرض » فى هذه الرواية ، فهى تشير إلى أن حواءحملت بقابيل وتوأمته فى الجنة قبل النزول إلى الأرض بعد أن بدت سوآتهما بسبب الأكل من الشجرة ولم يكن هذا زنى منهما لأن الله تعالى قال له أنها زوجه فى قوله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة .... ﴾ « البقرة / ٣٥ » والإثم هو الأكل من الشجرة .

ثالثاً : قول هابيل لقابيل ﴿ إنى أريد أن تبوء بإثمى وإسمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ « المائدة » اختلف فيه المفسرون حول دلالة الإثم المضاف للمخاطب قابيل ، قال ابن عباس ومجاهد : أى بأثم قتلى وأثمك الذى عليك قبل ذلك . وقال آخرون : يعنى بذلك إنى أريد أن تبوء بخطيئتى فتتحمل وزرها وإثمك فى قتلك إياى . والذى أراه والله تعالى أعلم هو أن قول هابيل هذا يتضمن إشارة إلى أن الذى سيقدم عليه أخوة قابيل ليس إثماً واحداً ، وإنما هما إثمان : الأول هو قتل أخيه له وعبر عنه بقوله ﴿ بإثمى ﴾ أى إثم قتلى ، وهو اثم خالص لقابيل إذا فعله نظراً لأن

هابيل عزم على أن لا يبسط يده له ويجعلها مغلولة إن أقدم أخوه على قتله ، فلا يكون الإثم بحال منسوباً لهابيل بالمشاركة ، والثانى قوله ﴿ وإثمك ﴾ والمعنى وإثمك الثانى الذى ستزاوله بالزنى باختك ، وهو إثم ممتد لا رجعة فيه ، وسيكون به من الظالمين يعنى من المشركيّن ، لأن الظلم هو الشرك ، لأنه جحد الشرع المنزل ولم يقره ، ومن ثم يستحق به عذاب النار فى الآخرة ، فالحكم على قابيل بأنه من الخاسرين بمجرد القتل ، وبيان أخوه له بأنه سيكون من الظالمين المخلدين فى النار ، إن قتله ، يدل على أن فى الأمر اتفاق بين قابيل وإبليس يستحوذ بموجبه هذا الأخير على الأول ويصير أول جندى آدمى له كما يدل على سبق علم آدم وأبنائه عن هذه الحادثة التى يصير بها أحد أبنائه إلى الكفر منظراً إلى آخر الدنيا .

رابعاً : ورد فى سفر التكوين نبأ ابنى آدم متضمناً التصريح بإمهال قابيل مطروداً على وجه الأرض (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل ، وكان هابيل راعياً للغنم ، وكان قابين عاملاً فى الأرض ، وحدث من بعد أيام أن قابين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرب . وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه . فقال الرب لقابين لماذا إغتظت ؟ ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا أرفع ؟! وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك إشتياقها وأنت تسود عليها .

وكلم قابين أخاه . وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله . فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك ؟ فقال لا أعلم . أحارسٌ أنا لأخى ؟! [1] . فقال : ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخٌ إلىّ من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت ، الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض .

---

(١) لاحظ سوء الأدب فى الحديث مما يدل على أن هذا من تحريف أهل الكتاب لأن الله عز وجل لم يكلم قابيل كما يزعمون ؟

فقال قابين للرب ذنبى أعظم من أن يحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفى ، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض ، فيكون كل من وجدني يقتلني .

فقال له الرب : لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه . وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده ، فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نور شرقى عدن .

وعرف قابين امرأته فحبلت وولدت حنوك . وكان يبنى مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك ، وولد لحنوك عيراد وعيراد ولد محويائيل ، ومحويائيل ولد متوشائيل ، ومتوشائيل ولد لأمك ، واتخذ لأمك لنفسه إمرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة ، فولدت عادة يابال الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى ، واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار . وصلة أيضاً ولدت توبال قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد . وأخت توبال قابين نعمة وقال لأمك لأمرأتيه عادة وصلة إسمعا قولا يا إمرأتى لأمك . وإصغيا لكلامى . فأنى قتلت رجلاً لجرحى . وفتى لشدخى إنه ينتقم لقابين سبعة أضعاف . وأما للامك فسبعة وسبعين .

وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت إبناً ودعت اسمه شيثاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلاً آخر عوضاً عن هابيل لأن قابين قد قتله . ولشيث أيضاً ولد ابنا فدعا اسمه أنوش حينئذ ابتدئ أن يدعى بإسم الرب / سفر التكوين / ص ٤ / ع ١ - ٢٦ »

وشاهدنا فى هذا النص الطويل الذى يدل على أن قابين نال النظرة والأمهال مع اللعنة الأبدية التى صار بها من الخاسرين قول الله عز وجل له (صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) « التكوين / ص ٤ / ع ١١ - ١٢ » ولو صح هذا النص ، الذى سنجد له شواهد تؤيده فيما بعد فإن الزراعة تكون محرمة عليه لقوله (متى علمتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها) أما قوله له (تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) أى شريداً دائماً غير مستقر لا عليها ولا فى

باطنها فكان رد قابيل (إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض) وليس فى هذا النص ادنى تناقض بين قوله (قد طردتنى عن وجه الأرض) وقوله (وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض) فالعبارة الأولى تفيد أنه قد حُكم عليه أن لا يستقر على وجه الأرض أى على اليابسة ولم يعد صالحاً للزراعة التى تحتاج إلى استقرار . ، فيدخلها ويمر بها ويعيش فيها لكن ليس مستقراً تماماً مثل ما يتمكن الإنسان أن يعيش على الماء فى سفينة أو جزيرة نائية صغيرة ، ولكن لا يكون مستقراً هادئاً بحياة مستمرة جيلاً بعد جيل تثمر حضارة نامية متطورة ، وأما قوله (وأكون تائهاً هارباً فى الأرض) فهو غير قوله مطروداً عن وجه الأرض لأن مدلول فى الأرض يختلف عن مدلول (عن وجه الأرض) إذ يفيد الأخير اليابسة بالضرورة لأنه لا يمكن لبشر أن يستقر بقدميه إلاّ على وجه اليابسة ، أما مدلول (فى الأرض) فهو يفيد هروبه فى الأرض من زحمة البشر أى الأرض المسكونة إلى غير وجه الأرض مثل البحار أو الجزر النائية المهجورة غير المسكونة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ « البقرة / ٣٠ » فأثبت الله تعالى إستخلاف الإنسان فى الأرض وليس على الأرض ثم ذكرت الملائكة إفساد الإنسان وسفك الدمآء فيها بقولها ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ ومعلوم أن فساد الإنسان يطول البحر والبر لقوله تعالى ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ « الروم / ٤١ » فانظر إلى قوله تعالى ﴿ **فى البر والبحر** ﴾ لتعلم أن هذا القول يتضمن إفساد الجو أيضاً لأن الجو فوق البر وفوق البحر وهو ما حدث فى عصرنا هذا من فساد للبيئة براً وبحراً وجواً ومثلها قوله تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ « / ٠ » فقوله تعالى حملناهم فى البر والبحر وليس على البر والبحر يفيد أنه فى الجو أيضاً لأنه فوقهما .

وبناء على هذا يكون حياة قابيل هارباً تائهاً فى الأرض أى بعيداً عن المسكونة منها ، وبعيداً عن وجهها أى عن البر ، ومن ثم يكون أكثر وجوده في البحر ، لكن لا يمنعه هذا من أن ينزل البر من غير إستقرار فيه ويتوافق هذا مع ما جاء في حديث الجساسة يقول الدجال (فأسير في الأرض)

أما الدليل على أن حياته هذه ستطول وتكون ممتدة إلى آخر الزمان لا يموت ولا يقتله أحد ، فلقوله بعد ذلك (فيكون كل من وجدنى يقتلنى فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده فخرج قايين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن) « تكوين / ص ٤ / ع ١٥ - ١٦ » وهذا النص يكتنفه الغموض إذ يحتوى على دلالتين متناقضتين : أنه قابل للقتل لقوله (فيكون كل من وجدني يقتلنى) أى يكون منبوذاً مباح الدم دائماً وهو يفيد قابليته للقتل لقوله (وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده) إذن هو غير قابل للقتل ؟ ولكن يمكن الجمع بينهما أن قابيل طلب هذه العلامة التى تحميه من القتل فنالها ، كما طلب ابليس النظرة فنالها ، ويكون هذا دليلاً على حصوله على الامهال الذى يجعله صالحاً لكى يكون صوتاً لأبليس فى بنى نوعه .

أما مسكنه بعد ذلك فى شرق عدن فهو مجاور للبحر الأحمر أو لخليج عمان وهذا هو الأرجح ، لما سيرد بعد من الدليل على هذا ، إذ سترتبط حياته ووجوده بالبحر إلى آخر الزمان ، كما دلت على هذا العبارات السابقة .

ماذا فعل قابيل بعد أن علم هذا المصير الممتد فى الزمان المناظر لمصير ابليس ليس فى الزمان فقط ، بل وفى المكان أيضاً ؟ حيث من المعلوم والثابت بالنصوص الصحيحة أن ابليس إتخذ عرشاً له فى البحر على الماء وليس فى اليابسة ، أى أن مصيره كان اللعنة الموجبة للطرد أيضاً من على وجه الأرض هارباً تائهاً فى الأرض فلجأ إلى البحر . فهل صار لقابيل الذى أخذ النظرة مع اللعنة الأبدية مثل إبليس وجوداً دائماً مستقراً فى البحر ووجوداً مؤقتاً فى البر بين الفينة والفينة ؟!

بعد أن خسر قابيل آخرته بسبب إخته الوضيئة زاول الإثم الثانى وهو العيش معها زانياً ، هذا الزنى البغيض النجس ، زنى المحارم ، وهو أحط ما يمكن أن يتسفل إليهِ بشر . فما دام قد غلبت عليه نفسه الإبليسية ، فأبلس أى فيئس من رحمة الله تعالى ولا رجاء له فى التوبة فليستمر وليوغل فى الفسوق والعصيان والكفر إرضاء لهواه وشهواته وطاعة لزميله إبليس ، ومن ثم تحول إلى شيطان مثله ، فصار فى الوجود الدنيوى شيطانان : الشيطان الجنى ، والشيطان الإنسى .

لقد إعتزل قابيل مجتمع أبيه آدم الطيب وعاش مع أخته زانيان وأنجبا كما جاء فى النص أنفاً حنوك وتوالت الذرية جيلاً بعد جيل ، ومن قابيل ومن ذريته ظهر عازفو العود والمزامير والآلات النحاسية ، وما يصاحب هذا من الغناء والرقص ، لقد ظهر من هذا المجتمع القابيلى حزب الشيطان الذى سيعادى بقيادة مشتركة من إبليس وقابيل حزب الله أبناء آدم من شيث وإلى هذا يشير النص بعد ذلك بقوله (وعرف آدم عليه السلام امرأته أيضاً فولدت ابنا ودعت اسمه شيثاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلاً آخر عوضا عن هابيل ، لأن قابين كان قد قتله ، ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش حيئذ أُبتدئ أن يدعى باسم الرب) والحق ان الدعاء باسم الرب عز وجل كان موجوداً منذ آدم وزوجه عليهما السلام ، وربما كان المقصود من العبارة أنه بيدء نسل شيث بدأ حزب الله تعالى فى النمو والزيادة ليقف أمام حزب الشيطان بقيادة ابليس / قابيل المستمرة إلى آخر الزمان ، تلك القيادة الموحدة التى تستحق اسم الطاغوت نسبة إلى طغيان الذات المستعلية المستكبرة ، الطغيان المزدوج الناتج عن توحد النفس الإبليسية الجنية بالنفس الإبليسية الإنسية .

فمن يكون هذا الذى حياته مستمرة إلى آخر الزمان ، ويستحق وصف الطاغوت مع إبليس غير المسيح الدجال ؟

فقابيل إذن هو المسيح الدجال .. والمسيح الدجال ليس إذاً سوى قابيل ، والأدلة على هذه الحقيقة هى موضوع الفصل القادم .

ولكن قبل أن ننتقل إلى هذا الفصل لنثبت هذا تفصيلاً ، نذكر أن الشروط والأحوال والخصائص السبع آنفة الذكر قد ثبت مطابقتها على قابيل اللعين ، مما يثبت أنه صوت إبليس وبيان هذه السبع كالتالى :

١ – فهو آدمى .

٢ – وهو أول من كفر من بنى آدم كفراً بواحاً مع الإصرار عليه كإبليس ، فهو أول من إستحوذ عليه إبليس من بنى آدم .

٣ – وهو الذى نال النظرة والإمهال كما دَلّ على هذا نص سفر التكوين ، وكما سنقدم على هذا أدلة من الكتاب والسنة فى الفصل القادم .

٤ – وهو الذى كفر إستكباراً فكان جوهر كفره ودافعه إليه هو الإستكبار ، شأنه فى هذا شأن إبليس ، ومن ثم فهو يسعى مع قرينه ونظيره إبليس إلى التأله حتى يعبدهما الإنس والجن من دون الله .

٥ – يبقى بعد هذا أن نَسُوق الأدلة على أنه المسيح الدجال الذى يشكل مع إبليس القيادة المتوحدة لحزب الشيطان وهى الطاغوت ، وهذا ما سنعرضه تفصيلاً فى فصول قادمة .

٦ – لا بد أن تكون حياته مخالفة لسنن الحياة البشرية ، كما أن حياة إبليس مخالفة لسنن الحياة الجنية ، ومن ثم تتطابق هذه الحقيقة مثل سوابقها على حقيقة المسيح الدجال وكونه صوت إبليس .

٧ – موته كذلك سيكون مخالفاً لسنن الموت البشرية وستأتى الأدلة عليه . هذه الحقائق السبع التى ثَبَتَ لنا صحة بعضها فى هذا الفصل والتى سنثبت صحة البعض الباقى منها بإذن الله وعونه فى فصول لاحقة ، تجعل مطابقة هذه الشروط أو الأحوال والخصائص السبع على قابيل من ناحية وعلى صوت إبليس الذى هو المسيح الدجال كما سنرى من ناحية ، حججاً بالغة تثبت أن قابيل هو الدجال .

الفصل التاسع

الدجال من المنظرين
مثل إبليس الجني

حياة الدجال وموته مخالفان لسنن الحياة والموت :

تعتبر شخصية الدجال أعقد الشخصيات فى تاريخ البشرية كله ، لما تتضمنه من أخبار متناقضة وخصائص غريبة مخالفة لسنن الحياة والموت ، وأهداف متصادمة مع الطبيعة الآدمية وعداءلكل ما هو حق وخير بقصد هدمه وإستئصاله من الأرض بوسائل شريرة خبيثة تجعله نداً للشيطان الجنى فى عدائه لبنى آدم ومناظراً له فى خبثه وشره ، مما حدا ببعض العلماء أن يتساءلوا : هل المسيح الدجال إنس أو جان ؟ وهل هو من ذرية إبليس الجنى أو من ذرية آدم ؟ أو هو من ذرية إبليسية آدمية معاً ؟

قال إبن كثير فى « النهاية » (وهو رجل من بنى آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس فى آخر الزمان ، فيضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين) ولعل ابن كثير رحمه الله تعالى قد قدر أنه من ولد آدم إعتماداً على ما رواه الامام أحمد والطبرانى والآجرى فى كتاب الشريعة (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لقد أكل الطعام ومشى فى الأسواق » (يعنى الدجال) ومشيه فى الأسواق يبيع ويشترى يثبت أنه آدمى .

وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ألاَ إن كل نبى قد أنذر أمته الدجال ، وإنه يومه هذا قد أكل الطعام .. »

فالذى يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق هو من بنى آدم بلا شك ، وكذا تدل الأحاديث التى جاءت فى وصفه على أنه بشر من ولد آدم

لكن كيف يكون المسيح الدجال من بنى آدم ، وقد ثبت أنه كان حيا يرزق قبل وأثناء العهد النبوى ؟ وأنه لا زال حياً يرزق حتى يأتى يوم خروجه العلنى كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة ؟! وهذا يعنى أنه ظل حيا يرزق أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهذا مخالف لسنن الحياة البشرية التى تدل على أن متوسط الأعمار تعد بعشرات السنين ،

وأن أطول المعمرين عمراً لا يصل إلى قرن ونصف القرن .

ويدل خبر الجساسة على أن الدجال كان موجوداً منذ ما قبل بعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ ، هذا الخبر الذى رواه مسلم وأبو داود والطبرانى فى الكبير بأكثر من وجه ورواه الإمام أحمد وابن ماجه ورواه الترمذى بلفظ مختلف ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب . ولابن حبان فى صحيحه رواية لهذا الخبر أيضاً .

وكل هذه الروايات عن فاطمة بنت قيس لكن لخبر الجساسة روايتان أحداهما عن أبى هريرة رضى الله عنه والأخرى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وأما خبر الجساسة بلفظ مسلم فهو كالتالى (عن أبى بريدة قال : حدثنى عامر بن شراحيل الشعبى أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال : حدثينى حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت : لئن شئت لا فعلنّ فقلت لها : أجل ، حدثينى (فذكرت فى تأيمها [١] عن زوجها ، واعتدادها عند ابن أم مكتوم) ثم قالت : فلما إنقضت عدتى سمعت نداء المنادى (فنادى رسول الله ﷺ) ينادى : الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « ليلزم كل إنسان مصلاه » ثم قال : « أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفأوا [٢] إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب [٣] السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة

---

(١) أى موت زوجها عنها وقضاء مدة العدة بعد موته عند ابن أم مكتوم رضى الله عنه لأنه كان من أرحامها .
(٢) أى اتجهوا إليها لترسوا سفينتهم عندها .
(٣) أى قوارب معدة بالسفينة ينزلون بها إلى الشواطئ .

الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلّقاً ، وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ، ما أنت ؟

قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى من أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا فى سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين إغتلم ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قُبُله من دُبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ! ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة قلنا : وما الجساسة ؟

قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الديـر ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبرونى عن نخل بيسان . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما أنه يوشك أن لا يثمر .

قال أخبرونى عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيهـا ماء ؟ : قالوا : هى كثيرة الماء. قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال : اخبرونى عن عيْن زغر قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبرون عن نبى الأميّين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذاك [1] ؟! قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك

---

(١) هذا سؤال منه للإستيثاق من صحة الإجابة بمعنى : أو قد حدث هذا فعلاً ؟!

خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلاّ هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان علىّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو : واحد) منهما استقبلنى مَلك بيده السيف صلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة (يعنى : المدينة) ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » فقال الناس : نعم « فإنه اعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألاَ إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن ، لا ، بل من قبل المشرق ما هو (وأومأ بيده إلى المشرق) قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ)

وما يمكن إستنباطه من خبر الجساسة برواية مسلم هذه عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها ما يلى :-

١ - أن تميماً الدارى الذى شاهد الدجال وخاطبه كان نصرانياً قبل أن يسلم ومن ثم يغلب على الظن أنه كان قد سمع عن المسيح الدجال المذكور فى الانجيل باسم المسيح الكاذب أو المسيح الضد ، سواء قبل أن يشاهده فى دير الجزيرة أو بعد أن شاهده ، وربما كان هذا هو الدافع الذى جعله يقص خبره على رسول الله ﷺ بعد أن بايع وأسلم للمطابقة بين خبره فى الوحى الأخير المنزل على النبى المصطفى الخاتم ﷺ وخبره فى الإنجيل مع مطابقة الخبرين لما رآه وسمعه منه .

٢ - أيّد رسول الله ﷺ كل ما أخبر به تميم الدارى على لسان الدجال ، وبصفة خاصة الخبر الذى كان قد أخبر الصحابة عنه من قبل وهو تحريم مكة وطيبة عليه ، فلا يدخلهما ، وهو الخبر الذى أفرحه ﷺ حتى أنه لم ينم القيلولة كعادته وأحب أن يذكره للصحابة .

٣ – الدجال كان موثقاً بالسلاسل الحديدية القوية لمنعه من الخروج من هذا المكان والإنطلاق والسير فى الأرض .

٤ – أخبرتهم الجساسة أن الرجل المقيد فى الدير لخبرهم بالأشواق . ثم ظهر بعد ذلك من أسئلته أنه كان يستفسر عن أحداث تهمه ويرتقبها هى :

أ – استفسر عن توقف نخل بيسان عن الإثمار ،فلما علم أنه لا زال يثمر قال : يوشك أن لا يثمر ، أى أنه يريده ألاَّ يثمر ، وهذا ما يُهمه ، أو على الأقل ما كان يرتقبه ويتمنى حدوثه .

ب – واستفسر عن ذهاب مياه بحيرة طبرية ، ثم عقب بقوله يوشك ماؤها أن يذهب ، وهذا ما يرتقبه ويتمناه ويهمه أيضاً .

ج – وكذلك الحال بالنسبة لماء عين زغر .

د – وأما الاستفسار الأخير له ، وهو عن أخبار النبى الخاتم ﷺ ، وقد ظهر حقده عليه وكراهيته له بقوله عنه (أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟) مع أن الدجال يعلم أنه ، وإن كان النبى ﷺ قد بعثه الله من الأميّن وفى الأميّين أى العرب ، إلا أنه مبعوث للناس كافة بل للعالمين كافة إنساً وجناً إلى قيام الساعة ، فلما علم أن العرب بدأوا يدخلون فى دين الله تعالى (قال : قد كان ذاك ؟ إن ذلك خير لهم أن يطيعوه) كل هذه الاستفسارات تدل على أن الدجال كان يعلم حينئذ أن خروجه سيكون مع وقوع هذه الأحداث التى كان يرتقبها ، لأن السجين لا يهمه أمر مثل موعد الإفراج عنه .

ويدل على أن هجرة النبى وانتصار دعوته ﷺ أراحت الدجال نفسياً من حيث أنه الحدث الذى يسبق خروجه من قيده قوله تعقيباً عليه (قد كان ذاك ، ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج) أى بعد أن سمع عن إنتصار الاسلام فى الجزيرة ، وإقبال العرب على الدخول فى دين الله تعالى ، ومعنى أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج ، أى من قيده ومن الدير ، فيسير

فى الأرض مفسداً لِيَعْلُوَ .

حتى يكون له أتباع وجنود أشرار يسيطر بهم على كل العواصم ويدخلها مما عدا مكة والمدينة ، وسيكون خروجه الأول من الدير فى سنة نضوب ماء طبريه وعين زغر وتوقف نخل بيسان عن الإثمار .

هـ - أخبرهم أنه المسيح ولم يقل المسيح الدجال ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الكاذب الشرير لا يصف نفسه بذلك ، وإنما هو يزعم أنه المسيح ، وأمّا وصف الدجال فقد الحقه رسول الله ﷺ بإسمه الذى أطلقه هو - أى الدجال - على نفسه ، والذى سيطلقه على نفسه عند إعلانه عن نفسه ربا للعالمين . كماأن إسمه فى الإنجيل المسيح الكاذب للتمييز بينه وبين المسيح الحق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام .

و - قول الدجال (وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج ، فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها) يتضمن عدة حقائق :

أولها : أنه يعلم أنه على وشك أن يوذن له فى الخروج ، وفى هذا دليل على أنه كمن يقضى مدة سجن محدودة ، إذا هى إنقضت أتى الأمر بالافراج عنه . وهو ما يرتقبه ويحسب له ، وما سأل ما سأله من الأسئلة التى إستفسر بها، إلا ليعلم ما بقى من مدة سجنه .

ثانياً : إرتباط قرب خروجه بانتصار الإسلام فى الجزيرة ودخول العرب فيه أفواجاً يثبت الصلة الوثيقة بين سجنه وبين مبعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ ، بل الصلة الوثيقة بين هذا السجن وبين مولده ﷺ وحياته ، بدليل قوله بعد إستماعه خبر إنتصاره على أعدائه (أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج) ، وقد أثبت بعض العلماء هذه الصلة وفسروا سجنه بأنه كرامة للنبى المصطفى الخاتم ﷺ ، والأرجح - علاوة على هذا التعليل - أنه قد حكم عليه بهذا السجن القاسى حماية أيضاً للنبى ﷺ منه ، لأنه العدو الأول اللدود للنبوة والأنبياء والرسل ، فكيف يكون عداؤه لأمامهم وخاتمهم عليهم

جميعاً الصلاة والسلام ، وبخاصة أنه ، أى الدجال ، كان على علم بمدى الخير والنور والرحمة التى ستعم كثيراً من الناس والشعوب ببعث المصطفى ﷺ ، ومن ثم كان هذا سيدفعه لايقاع الضرر به ﷺ ، وبخاصة أنه كان على علم سابق بمكان وزمان مولده ، فحماه الله تعالى منه بتقييده فى هذا الدير النائى لانفاذ قدره ومشيئته سبحانه ببعثه ﷺ وتبليغ رسالته وهو سبحانه القائل له ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ « المائدة / ٦٧ » أى أنه سبحانه يحميه ويمنعه من الناس حتى يبلغ رسالتـه .

فَمَنْ مِنَ من الناس سوى المسيح الدجال يمكن أن يشكل خطراً على حياة الرسل بعامة وحياة رسول الله الخاتم بخاصة ﷺ وعليهم جميعاً ؟! الإجابة : لا أحد أبداً مثل الدجال فى هذا الخطر لا أحد .

ومن ثم لزم أن يقيد هذا الخبيث فى السلاسل الحديدية حتى آخر العهد النبوى فى المدينة ، ومن ثم لما أظهر الله دينه وصار نبيه فى مَنَعَةٍ وقوة بين صحابته ، أُذن للدجال بالخروج ، فقال رسول الله ﷺ لصحابته يوم خروجه من قيده (ألا إن كل نبى قد أنذر قومه الدجال ، وإنه يومه هذا قد أكل الطعام ومشى فى الأسواق) وقد كان هذا اليوم هو اليوم الذى خرج فيه من قيوده وأصبح يسير فى الأرض .

قوله (أسير فى الأرض) يفيد أن الدجال ليس له أن يستقر فى بلد ، ويزعم أنه من مواليدها ، وأنه من أهل هذا البلد ، وليس له أن يسكن داراً كما هو شأن كل آدمى ، إذ أن وضعه الخاص وغايته النهائية التى يسعى بدأب إليها تحتم عليه أن يسير دوماً فى الأرض ، وهذا هو قوله (فأسير فى الأرض) ذلك هو الوجود الدجالى الخاص ، كما سنثبت هذا من بعد .

ثالثـاً : حاول الدجال بما قاله عن نفسه أن يُلَبّس المعنى على تميم الدارى والذين معه ، فأوهم بعبارته أنه سيخرج من الكهف ، ويسير فى الأرض أربعين يوماً مالكاً لها

هابطاً في كل قرية ، أي إلى كل عاصمة أو مدينة عظيمة ما عدا مكة والمدينة ، ومن ثمّ يُفْهَمُ من قوله هذا أن هذا الخروج من سجنه وقيده سيكون خروجه النهائي الذى يعلن فيه عن نفسه فى آخر الزمان .

وقد جاء هذا الإيهام والمغالطة والتلبيس منه فى قوله (وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما) ومكمن التلبيس أن القارئ أو السامع يظن أن الخروج الذى سيؤذن له به هو الخروج الذى يسير به فى الأرض خلال أربعين ليلة فيهبط المدن والعواصم غير مكة والمدينة ، والحقيقة أنهما خروجان وليسا خروجاً واحداً .

الأول : من الدير الذى رآه أهل السفينة مسلسلاً فيه ، وقد حدث فى آخر العهد النبوى كما علمنا من الحديث ويظل يسير فى الأرض مفسداً بهدف العلو من خلال بنى إسرائيل الذين إتخذهم بطانة له ، كما سنرى وهذه المرحلة تستمر عشرات القرون وصلت حتى اليوم إلى قرابة أربعة عشر قرناً .

الثانى : هو خروجه من خلف الأقنعة والأستار التى يعمل من خلفها وظهوره للأعين وإعلانه عن شخصه فى الإعلام بأنواعه بعد سيطرته على الأرض كلها وهذه المرحلة هى التى تستغرق أربعين ليلة منذ ظهوره للأعين إلى نهايتها ، وهى لا تتحقق إلا بعد أن . من يستقبله من الاتباع فى كل مدينة وعاصمة عدا مكة والمدينة .

فشتان بين خروجه الأول من الدير الذى يستمر غير ظاهر مئات السنين وبين خروجه الثانى للأعين الذى يستغرق أربعين ليلة ، وإن لم يكن الأول على طوله سوى تمهيداً وإعداداً للأخير رغم قصره .

لكن هذه العبارة وما غلّفها من تلبيس أدى إلى إعتقاد خاطئ عند عامة المسلمين ، وعند كثير من علمائهم ، بأن الدجال لا زال مقيداً فى الأصفاد الحديدية داخل الدير الذى بهذه الجزيرة النائية حتى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم إى إلى أن يحين موعد ظهوره،

مسيطراً على الأرض ، هابطاً كل قرية ، وهو خطأ فادح يكشفه ويصححه الحديث الصحيح الذى أثبت له أنه خرج وأكل ومشى فى الأسواق منذ آخر العهد النبوى [1] ، ومع هذا فهو لم يظهر للأعين بعد .

رابعاً : يدل هذا الحديث على أن الدجال يعلم كثيراً عن الأحداث المستقبلة فى الصراع الذى بينه وبين الأمة الإسلامية باعتبارها حزب الله فى الصراع ، وأنه يعلم أن زمن خروجه المعلن عن نفسه هو أربعين ليلة فقط ، كما يدل على أن لديه علماً مسبقاً ببعث النبى الخاتم ومراحل سيرته ، وليس مصدر هذا العلم عنده خفيّاً ، إذ أن كل هذا مسجل ومكتوب فى الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء من قبل ، وفى هذا كله دليل على معاصرته لبعض هؤلاء الرسل والأنبياء وقراءته لهذه الكتب ، بل لكل الرسل ولجميع الكتب كما سنرى هذا بعد بإذنه وتوفيقه .

خامساً : قول النبى ﷺ عن الدجال (ألا إنه فى بحر الشام (أى البحر الأبيض المتوسط) أو بحر اليمن (أى البحر الأحمر) هل هو إشارة إلى هذه الجزيرة التى كان مصفداً فيها بالاغلال ؟! أم أشارة إلى خروجه الأخير النهائى ؟! ثم قوله بعد ذلك (لا بل من قبل المشرق ما هو) (وأومأ بيده إلى المشرق) هل هو أيضاً إشارة إلى موضع الجزيرة ، أم هو إشارة إلى مواضع خروجه العلنى النهائى ؟

هو إشارة وتصريح بخروجه النهائى وذلك ما سنعلمه بعد بإذن الله تعالى عند الحديث عن خروجه النهائى .

سادساً : لماذا حَدّدَ الدجال مدة خروجه النهائى الذى يهبط فيه العواصم بأربعين ليلة ؟ وماذا يحدث له بعد هذه الأربعين ؟! ولماذا لم يستطرد فى ذكر ما سيحدث له أو يحدث منه بعد تلك الإربعين ؟!

الإجابة على هذا السؤال هى أنّ هذه الإربعين ليلة هى الأربعين الأخيرة له فى حياته

(١) وقد دللتُ على خطأ هذا القول فى الجزء الأول بأدلة عقلية ونقلية أيضاً .

الطويلة الممتدة عبر القرون التى لا يعلم عددها إلا الله عز وجل ومن ثم لم يذكر ما يحدث له ومنه فى نهاية هذه الأربعين ، لأن أحداً من الأحياء لا يحب أن يتحدث عن يوم موته وكيفية موته وترقب موته ، وهذا هو الذى إمتنع عن ذكره الدجال بالرغم من أنه يعلمه ، ولأن هذا الحدث يكشف للمستمع أو القارئ أنه المسيح الكاذب إذ سيضطر إلى التصريح بأنه سيُقْتل على يد المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ومن ثم سيذكر المسيح الحق مما يكشف أنه المسيح الكاذب لكنه أشار ضمناً إلى أنه المسيح الباطل الكافر عندما صرح بأنّ ملكاً يقف على كل نقب من أنقاب مكة المكرمة والمدينة المنورة أى كل نفق ومدخل من مداخلها وبيده السيف صلتا يمنعه من دخولهما ، فما كانت الملائكة تمنع عن الحرمين الشريفين إلاّ كافراً نجساً ، فهذا اعتراف ضمنى منه بأنه المسيح الكافر النجس ، وإن لم يصرح هو بهذا لقوله عن نفسه (إنى أنا المسيح) ، وهذا هو ما سيزعمه للناس عند خروجه الأخير إذ سيزعم أنه المسيح نزل إليهم من السماء.

سابعاً : أما خبر مقتل الدجال على يد سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فقد ورد فى عدة أحاديث صحيحة مطولة وقصيرة سنتعرض لها فيما بعد ، وإنما نكتفى الآن بذكر ما هو مختصر منها ، وما هو صحيح ليس به ضعف للدلالة على أن نهاية الدجال وموته ستكون فى نهاية الأربعين ليلة بيد المسيح الحق عيسى بن مريم ﷺ بعد نزوله من السماء .

جاء فى الحديث الطويل الذى رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، ورواه الترمذى وقال فيه (هذا حديث غريب حسن صحيح) أقول : جاء ما يلى بعد كلام عن أعمال الدجال خلال الأربعين ليلة (.. فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتيْن [1] ، واضعاً كفيه على

---

(١) أى ردائيْن من نوع خاص فضفاضين

أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم عن درجاتهم فى الجنة) إلى آخر الحديث . وباب لد الذى سيقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عنده الدجال هو مطار اللد فى شمال تل أبيب ، لأن أبواب المدن والدول هى اليوم مطاراتها وموانيها ، والخلاصة أن الدجال حىٌ يرزق منذ قرون عديدة وسيظل حيّاً يرزق إلى أن ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى نهاية الأربعين التى هى نهاية حياته الطويلة ، هذا حق تقرره نصوص الوحى الصحيحة رغم أنه آدمى وليس من أصل جنى أو ملائكى ، وقد أدى هذا بالبعض إلى تكذيب أخبار الدجال ، وبالبعض الآخر إلى التصديق بها ، ولكن بإثبات طبيعة جنيّة شيطانية له من قبل طبيعة إبليس والجن المعمرين لمئات السنين .

وليس الحق مع هؤلاء ولا أولئك ، والذى عليه جمهور علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة هو أن الدجال آدمى معمر وحى يرزق قروناً عديدة بمقتضى مشيئة إلهية حكيمة بإبتلاء الناس به ، ومن ثم ففى حياته جانب غيبى إمتدت حياته بمقتضى هذا الجانب عشرات ، بل ربما ، مئات القرون ، خرقاً بإذن الله لسنن الحياة والموت بالنسبة للبشر ويدل على هذا ما يلى :

١ - جاء فى حديث الآيات العشر أن خروج الدجال وظهوره العلنى الأخير هو إحدى آيات الساعة العشر ، وحيث أن هذه الآيات العشر - حسب شرحنا للحديث فى الجزء الأول والثانى من هذه الموسوعة - هى أحداث خارقة للسنن ، فما هو الخارق للسنن فى خروج الدجال وهو آدمى ، إلا أن يكون هذا الخارق هو حياته الممتدة مئات أو آلاف السنين مختفياً سائراً فى الأرض غير مستقر فيها ، فإذا علم الناس أمره صار عجباً وآية .

٢ - من كانت حياته ممتدة هكذا فهو غير قابل للموت ودواعيه ، كما أنه غير قابل

للقتل من أى آدمى آخر ، إلا على يد الذى أعدّه الله عز وجل لهذه المهمة ، وهو عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، أما بالنسبة لدواعى الموت فهى عوارض الشيخوخة ، وهذه لا يصاب بها ، بدليل ما ورد فى وصف رسول الله ﷺ للدجال يوم خروجه العلنى ، وكان مما وصفه به أنه شاب وهذا فى الحديث الذى رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجه والترمذى وقال هذا حديث غريب حسن صحيح (عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة) فذكر الحديث بطوله ، وجاء فيه (إنه شاب جعد قطط عينه طافيه) ولفظ مسلم (إنه شاب قطط عينه طافية ..) فما دلالة كونه شاباً عند ظهوره للناس ، إلا أنه غير قابل للإصابة بالشيخوخة وظواهرها وأعراضها وأمراضها وضعفها ؟! وكل هذه الخصائص البشرية مقدمات مؤدية للموت ، ومن ثم دل هذا على عدم خضوعه لسنة البشر فى الحياة ، الأمر الذى يفسر أنه آية من الآيات العشر ، ومن ثم وجب على كل مسلم يؤمن بالقرآن والسنة أن يصدق بحياة الدجال الممتدة عشرات وربما مئات القرون .

٣ - وإذا كان الأمر كذلك فهو إذاً غير خاضع للقتل ، وهو حدوث الموت بسبب الإصابة المتلفة لعضو من الأعضاء الرئيسية التى يتوقف استمرار الحياة على سلامتها وأدائها لوظيفتها .

فإذا لم يكن الدجال قابلاً للموت بالشيخوخة ، فهل يجوز موته بالقتل ؟!

الاجابة : نعم يجوز موته بالقتل ، ولكن بيد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وليس بيد غيره .

والدليل على هذا ما رواه الإمام أحمد ومسلم ، واللفظ هنا لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ،

---

(١) عن اتحاف الجماعة للشيخ عبد العزيز التويجرى مجلد ٢ ص ٣٤٩ وقال (رواه الحارث بن أسامة مرسلاً قال البوصيرى : رواته ثقات)

ففر الصبيـان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقـال له النبى ﷺ « تربت يداك ، أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا ، بل تشهد أنى رسول الله ؟ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذرنى يا رسول الله حتى أقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذى ترى فلن تستطيع قتله » وذلك لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى أن ابن صياد هذا هو المسيح الدجال .

(وعن عروة قال : لما سمع رسول الله ﷺ بابن صياد ، قام إليه فى أصحابه فقالت أمه : يلعب مع الصبيان قال : فدُعى فقال له رسول الله ﷺ : « أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنت بالله ورسله » فقال : قد خبأت خبيئاً ، فما هو ؟ قال : دخ . قال : اخسأ . فقال : « انظر ما ترى ؟ قال : أرى إعصاراً وعرشاً على الماء . فقال : « لُبِّس عليه » فقال عمر : ألا أقتله يا رسـول الله ﷺ ؟ قال : « لا ، إن يكن هو الدجال ، فلا تسلط على قتله ، وإن لم يكن الدجال ، فلا يحل قتله) [1] وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان يشك أن ابن صياد هذا الذى كان صبياً يافعاً حينئذ هو الدجال فسأله هذه الأسئلة تحقيقاً لهذا الاحتمال ، فلم يترجح عنده وظل الأمر عنده إحتمالياً ، وكأن هذا الاحتمال قد ترجح بالإيجاب فى نفس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذن رسول الله ﷺ أن يقتله ليريح الأمة والبشرية من شره وفتنته .فلم يأذن له رسول الله ﷺ مبيناً الحكمة من منع قتله ، وهى أنه فى حالة أن يكون هو الدجال فلن يسلط على قتله أحد من الصحابة لا عمر ولا غيرُه ، وفى حالة أنه ليس هو فلا يحل قتله .

بل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجزم بأن ابن صياد هو الدجال الأمر الذى حاول بسببه قتله ، ودليل هذا ما رواه الشيخان وأبو داود (عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحلف بالله أن ابن صائد الدجال ، فقلت : أتحلف بالله ؟ قال : إنى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى ﷺ فلا ينكره النبى ﷺ) ولكن ما منعه النبى ﷺ من قتل ابن صياد إلا لأن الدجال لا ولن يقتله إلا

عيسى عليه الصلاة والسلام وهذا ما رواه الأمام أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث جابر رضى الله عنهما الذى جاء فيه (أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إئذن لى فأقتله يا رسول الله (أى ابن صياد) فقال رسول الله ﷺ « إن يكن هو فلستَ صاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .) كذلك روى أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى بن مريم عليه السلام » وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفاً إلا أن حديث جابر الصحيح يقويه .

والشاهد من هذه الأحاديث الصحيحة أن الدجال غير قابل للموت ، كما أنه غير قابل للموت بالشيخوخة وأمراضها ، اللهم إلا بالقتل بيد عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن ثم يثبت هذا لنا أنه يحيا بسنة مخالفة لحياة عامة البشر .

٤ - وما دام الأمر كذلك بالنسبة لحياته فلا بد أن يكون موته بسنة مخالفة لموت البشر أيضاً ، تطابقاً مع إعتبار خروجه آية من الآيات العشر التى تكون بين يدىْ الساعة ، وذلك لأن هذا الخروج سيتم له بعد عشرات ، بل ربما - كما سنعلم بعد - مئات القرون أى منذ مولده إلى قتله .

فهل موته أيضاً مخالف للسنن التى يموت بحسبها البشر ؟!

نعم بدليل الحديث الذى رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط الشيخين وروْاه الحاكم مختصراً وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى عنه فى تلخيصه : على شرط مسلم ، ولفظ الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم .. » إلى أن يقول « .. فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح ، خرجوا إليه قال : فحين يراه الكذاب ، ينمات كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادى : يا روح الله ، هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله

..) الحديث وفى حديث النواس بن سمعان الذى رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وقد سبق ذكره وهو حديث طويل عن المسيح الدجال جاء فيه قول رسول الله ﷺ عن نزول عيسى عليه السلام (.. إذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَرَ وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلاّ مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ..) الحديث .

وجاء فى حديث أبى رافع الذى رواه ابن ماجه وابن خزيمة (... فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب ، فيفتح ، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود ..) والشاهد الذى نريده من هذه الأحاديث عن مقتل الدجال هو ذوبان الدجال إذا نظر إلى المسيح عليه السلام كذوبان الملح فى الماء ، وموت الكافر إذا أدركه نفس المسيح عليه السلام بهذا النفس الذى يصل مداه إلى منتهى نظر المسيح عليه السلام ، وذوبان الدجال كذوبان الملح فى الماء معناه أن حجم جسده يتضاءل ويصغر وينكمش ، لأن الملح لا يذوب فى الماء دفعة واحدة وإنما يكون باختفائه فى الماء رويداً رويداً ، ومن ثم يتضاءل حجم الملح فى الماء رويداً رويداً حتى يختفى ، ومن ثم يشعر الدجال بقرب نهايته عن طريق هذا التضاؤل التدريجى فيهرب من أمام المسيح عليه الصلاة والسلام لكن المسيح عليه الصلاة والسلام يصر على مطاردته وقتله بحربة بيده ليثبت للناس موته بعد أن يريهم دمه فى حربته كما ورد فى رواية أخرى ، وتنتهى فتنته ويبطل زعمه بأنه الله ، وهذا يثبت أن موت الدجال بسنة مخالفة لسنن موت البشر ، كما أن حياته بسنة مخالفة لسنن حياة البشر وهذه الحقيقة هامة للكشف عن حقيقة الدجال وشخصيته كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى ، وهذه الحياة المخالفة لسنن حياة البشر والموت المخالف لسنن موت البشر

استتبعت أعمالاً للدجال مخالفة أيضاً للسنن الحاكمة لفاعلية الناس .

فمن يا ترى هو هذا الشخص وما هى حقيقة أمره ؟

وإذا كان من الثابت لدينا الآن بنصوص الوحى الصحيحة قطعية الدلالة أنه حيٌ يرزق منذ قرون ، وسيظل كذلك حتى تأتى نهايته على يد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ، فإنه يتحتم علينا الآن نطرح هذه الأسئلة الهامة ، التى بدون العلم بالاجابة عنها ، يصعب بل يستحيل الكشف عن شخصيته وحقيقة أمره ، هذه الاسئلة هى :

متى بدأت حياة الدجال ؟ ، وأين كان مولده ؟ ومَنْ هو أبوه ؟ ومَنْ هى أمه ؟ ومن أى قوم هو ؟ وما سر حياته الطويلة الممتدة ؟ هذه الأسئلة هى موضوع أو مواضيع الفصول التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

الفصل العاشر

قابيل هو المسيح الدجال

الأدلة على أن المسيح الدجال هو قابيل :

الدليل الأول : ما ثبت لنا من أن قابيل : قد صار مطروداً على وجه الأرض شأنه فى هذا شأن إبليس ، خاسراً لآخرته ملعوناً مطروداً من رحمة الله يائساً منها ومن ثم تحول لقيادة الشر فى الناس .

الدليل الثانى : أنه هو الذى صار صوت إبليس وخليفة ونائب للطاغوت فى الصراع التاريخى بين حزبه وحزب الله عز وجل .

الدليل الثالث : أنه صار بالتالى ممهلاً إلى آخر الزمان مثله فى هذا مثل إبليس إذ يشكلان معاً قيادة لحزب الشيطان موحدة الغاية ، وهذه القيادة الموحدة هى الطاغوت كما سنفصّل هذا بعد بإذن الله تعالى وعونه

الدليل الرابع : وجوده فى عصر آدم على رأس قبيلته التى صارت قبيلة قابيل وابتداعهم الموسيقى والغناء والرقص والخمر واستحلال الزنا وحياته معهم حياة أشبه بحياة الغجر المعزولين المنبوذين من آدم وبنى وذريته ، ولعلهم هم أصل الغجر فى الأرض .

الدليل الخامس : وجوده معاصراً وعدواً لكى نبى داعياً للشرك والشر والكفر بدءاً من عصر نوح وفى حياته عليه السلام فكان عدواً لنوح محارباً لدعوة التوحيد التى جاءبها كما نفهم هذا بوضوح من الحديث الذى ورد عن النبى ﷺ مسمياً هذا العدو لنوح ولكل نبى باسم المسيح الدجال فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن الوداك قال قال لى أبو سعيد هل يقر الخوارج بالدجال ؟ فقلت : لا فقال : قال رسول الله ﷺ : إنى خاتم ألف نبى وأكثر ما بُعث نبى يُتّبع ، إلاّ قد حذر أمته الدجال ، وإنى قد بُيّن لى من أمره ما لم يُبيّنْ لأحد ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وعينه اليمنى عوراء جاحظة ولا تخفى كأنها نخامة فى حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب درى ، معه من كل لسان ومعه صورة الجنّة خضراء يجرى فيها الماءوصورة النار سوداء تدخن) [1]

---

(١) إتحاف الجماعة للتجويرى ج ٣ / ص ٤٣

وشاهدنا في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ (إني خاتم ألف نبي وأكثر ما بعث نبي يُتّبع إلا قد حذر أمته الدجال) فقوله « وأكثر » لما ورد في الحديث الصحيح « أن عدة الأنبياءمائة وأربعة وعشرون ألف نبي ونيّف » ، ولكن إقتصر في هذا الحديث على ذكر ألف وأكثر لقوله (ما من نَبِيٍّ يُتّبَع) أي يؤمن به أتباع يخشى عليهم من فتنة الدجال فيحذرهم منه ، أما النبي الذي لم يتبعه أحد فلن يحذر من الدجال أحد بطبيعة الحال لأنه من الذي ورد عن الأنبياء أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد والنبي يأتي ومعه واحد والنبي يأتي ويتبعه اثنان والنبي يأتي ويتبعه رهط أي ثلاثة وهكذا . وهذا دليل على أنه ما من نبي إلاّ حذر قومه الدجال إبتداء من أول الرسل نوح ، ويقوى هذا الحديث ما رواه البزار والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما من نبي إلاّ وقد حذّر أمّته الدجال ، وأنا أحذركم الدجال ، إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) (١)

ويؤكد هذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدّث به نَبي قومه ، إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول أنها الجنة هي النار ، وإني إنذركم به كما أنذر به نوح قومه) (٢) هذا الحديث المتفق عليه الذي جاء في آخره إنباؤه ﷺ بأن نوحاً أنذره قومه . وهذا في حديث يحمل أعلى درجات الصحة لأنه متفق عليه .

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال (ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ قد حذر الدجال أمته ، هو أعور عينه اليسرى ..) إلى آخر الحديث . فتدبر في هذا الحديث الأخير وفي الأحاديث السابقة صيغة الحصر والاستغراق الكلي (لم يكن نبي قبلي إلاّ قد حذّر الدجال أمته) وقوله ﷺ (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال ...) وقوله ﷺ (ما بعث نبي يُتّبع إلاّ وقد حذر أمته الدجال) وقوله ﷺ وإني

---

(١) عن أتحاف الجماعة وقد ذكر الشيخ تعليق الذهبي على هذا الحديث وقوله : وإسناده صحيح ج ٣ / ٤٣

(٢) متفق عليه

أنذركم به كما أنذر به نوح قومه) وكما التشبيهية تقتضى التماثل بين إنذار نوح قومه وإنذار النبى الخاتم ﷺ وهذا يفيد وجوده .

والسؤال الآن هل حذر نوح ومن بعده من الأنبياء حتى سيدنا محمد ﷺ أممهم الدجال من غير أن يكون ثم خطر على أممهم منه ؟

كلا والله فإن الأنبياء لا يحذرون من أوهام بل يحذرون من خطر حقيقى يهدد أممهم ومن ثم لقد كان المسيح الدجال موجوداً إذاً فى عهد نوح . وكان موجوداً فى عهد كل نبى حذّر قومه منه ومن ثم يكون هو المقصود بقوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ إن لم يكن بالدلالة المباشرة الخاصة فالبدلالة العامة وإن لم يكن بالدلالة الصريحة فبالإشارة .

وكان موجوداً فى عهد رسول الله ﷺ منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، وظل موجوداً فى الأرض حتى أيامنا هذه وسيظل حياً يرزق حتى يحين موعد ظهوره العلنى للأعيان مدعياً أنه رب العالمين ، كما أخبر بهذا الصادق المصدوق خاتم الأنبياء صلى الله عليهم جميعاً وسلم بعامة وعليه بخاصة .

لقد أخبر رسول الله ﷺ صحابته فى الحديث المشهور بخبر الجساسة الذى أخبر به تميم الدارى الذى رواه مسلم وأبو داود والطبرانى وغيرهم عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها وملخص هذا الحديث الطويل هو أن تميماً الدارى كان رجلاً من أهل فلسطين ضلت بهم سفينتهم فى البحر متجهة نحو المشرق بعد أن كانت أمام اليمن وبعد سيرها نحو المشرق لمدة شهر رست قرب جزيرة نائية منعزلة فأنزلوا قواربهم إلى الجزيرة طلباً للماء العذب ، فإذا بهم يواجهون على شاطئها كائناً غريباً منتصباً على قدمية يكسو جسمه كله الشعر من أمام وخلف فسألوها ؟ فقالت إنها الجساسة ، وقادتهم إلى مغارة فى الجزيرة فإذا بهم أمام رجل عظيم الخلقة مسلسل بسلاسل من حديد وأجابوه ثم قال لهم (وإنى مخبركم عنى إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة

وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتيْهما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو واحداً) منهما إستقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها ....) إلى آخر الحديث

وشاهدنا على ما نريد أن نقرره من هذا الحديث هو أن تميماً الدارى الصحابى الذى بايع النبى ﷺ رأى الدجال مسلسلاً بأم عينه . وأن النبى ﷺ صدقه وأيده فى هذا حتى أنه ﷺ هو الذى روى للصحابة ما سمعه منه ، وأن الدجال شهد على نفسه بأنه ممنوع من دخول المدينة ومكة ، وأنه على وشك الخروج ليسير فى الأرض ويدخل العواصم عدا مكة والمدينة ، فهل خرج الدجال من هذه المغارة وغادر الجزيرة النائية . ؟

نعم : لقد حدث هذا فى العهد النبوى المدنى حسب ما ورد فى حديث حذيفة عن النبى ﷺ قوله عن الدجال (والذى نفسى بيده هو اليوم أكل وشرب ومشى فى الأسواق) (1) كما أخبر هو – أى الدجال – عن نفسه أنه يوشك أن يخرج ، أى بعْد زمنٍ قصير من رؤية تميم الدارى له ، وقد خرج كما أخبر بذلك النبى ﷺ ليستأنف رحلة الإفساد والتضليل وإثارة الفتن فى أمة رسول الله ﷺ بإعتبارها الأمة الكتابية صاحبة الرسالة الأخيرة التى يتمثل فيها حزب الله ، وهى الأمة التى سيخرج فى آخر عهدها ، معلناً عن شخصه ، بادياً للأعين ، زاعماً أنه رب العالمين ، داخلاً العواصم جميعاً ما عدا مكة والمدينة والقدس التى سيحاصر فيها المؤمنين بقيادة المهدى فاتح أوربا ، حتى ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى يوم الوقت المعلوم ، وكل هذا قد تواترت به الأخبار والآثار والأحاديث النبوية الصحيحة حتى صارت فتنته من المعلوم من الدين بالضرورة ، لا يجحده إلا جاهل قد لا يعذر بجهله أو كافر .

فهل ظهر الدجال لأعين الناس من أصبهان يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم الطيالسة معلناً أنه رب العالمين لتطأ قدمه هو وقواته وأتباعه من اليهود وغيرهم عواصم الدنيا ما عدا المدن المقدمة الثلاث ؟

لا يخفى على أحد أن الإجابة بالنفى . إذ لم يحدث هذا بعد ، وإن كانت أحداث

الدنيا فى نهاية القرن العشرين الميلادى المتميزة بظهور حكومة عالمية ومؤسسات دولية تحكم الدول وتحول حكامها وسلاطينها إلى ما يشبه الموظفين أو الولاة من قبل هذه الحكومة العالمية الخفية ، أقول وإن كانت هذه الأحداث ، لما هو معلوم لكل عاقل اليوم ، تنبئ بقرب خروجه العلنى الذى جاءت أخباره فى أحاديث متواترة ، ومن ثم يمكن القول أنه خرج خروجه الأول الخفى ، هذا الخروج المتمثل فيما يشبه خيال الظل الذى يحرك الأحداث ويديرها من خلف ستار ، حتى صار العقلاء المثقفون من المؤمنين بالله وباليوم الآخر وبكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلم يسلمون بوجوده هذا الخفى ، بعد إن كان كثير منهم ينكرونه .

هو إذاً يعيش حياً يرزق فى الأرض متنقلاً تائهاً شريداً غير مستقر على وجهها منذ قرون كثيرة طويلة ، بعد أن إنفك من سلاسله فى الغار وخرج وأكل وشرب ومشى فى الأسواق ، وماهذا إلاً لأنه الآدمى انتظر الممهل الذى تتدرع النفس الخبيثة لإبليس الجنى بنفسه ، بجسده البشرى فتنتج عن هذا الاتحاد أو الحلول النجس الشريرما ورد ذكره مراراً فى الذكر الحكيم باسم الطاغوت .

فماذا يكون هذا المسمى بالطاغوت ؟

وما الفرق بينه وبين المسمى بالشيطان ؟

وماذا يكون مدلول الجبت ؟

وما هى صلة كل واحد من هذا الثالثوث النجس بالآخرين ؟

الإجابة على هذه الأسئلة الهامة الخطيرة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى وتوفيقه وبحوله وقوته وحده .

الفصل الحادى عشر

الشيطان رأسٌ لعالم شياطين
والطاغوت رأسٌ لعالم طواغيت

تمهيد :

ورد لفظ الطاغوت فى القرآن الكريم ثمان مرات وقد فسر المفسرون هذا اللفظ بالشيطان أحياناً ، وبالكاهن أحياناً ، وسادن الصنم أحياناً ، وكل شرع أو حكم يخالف شرع الله وحكمه أحياناً أخرى .

ومما يزيد الاختلاف حول تفسير الطاغوت أنه ورد فى القرآن الكريم مذكراً ومؤنثاً ومفرداً وجمعاً كما سنرى بعد .

ولكى نصل إلى حقيقة الطاغوت التى تبدو طلسما أو لغزاً مطلسم بسبب ما يكتنفه من الغموض الشديد ، يستلزم هذا منا العلم بمعانى الألفاظ : الشيطان ، إبليس ، الطاغوت لغوياً ثم العلم بمفهوم كل منها باعتبارها مصطلحات قرآنية ذات مدلول شرعى خاص .

وهذا ما سنحاول إدراكه فى هذا الفصل .

دلالة لفظ « الشيطان » وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس فى معجمه (« شطن » الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد : يقال : شَطَنَتْ الدار تَشْطُن شُطُوناً إذا غَرَبَتْ) أى إذا بعدت فاختفت (ويقال بئر شطَون أى بعيدة القعر) ثم يقول ابن فارس (وأما الشيطان فقال قوم : هو من هذا الباب والنون فيه أصلية فَسُمّى بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، وذلك أن كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان) وحسب هذا القول تكون النون فى لفظ الشيطان أصلية ويستشهد ابن فارس على هذا الرأى بقول أُميّة :

أيّما شاطنٍ عَصَاهُ عكَاهُ ... ورَمَاهُ فى القيد والأغْلال

والبيت فى وصف سليمان عليه السلام وتسخيره للجن والشياطين ، قال ابن فارس تعليقاً على هذا البيت (أفلا تراه بناه على فاعل وجعل النون فيه أصلية ؟ فيكون الشيطان على هذا القول بوزن فَيّعال)

والرأى الآخر يقول (أن النون زائدة على فعلان وأنه من شَاطَ) وأصلها (شَطَّ) قال فيه ابن فارس : الشين والطاء أصلان صحيحان : أحدهما البعد ، والآخر يدل على الميل) أما البعد فهو المعنى المشترك بين شطّ وشطن وأما الميل فهو يخص المذهب القائل بأن الشيطان من شط وأن النون زائدة ومن مشتقات هذا الأصل قولهم : (أشّط فلان فى السّوم) أى فى تقدير ثمن سلعته (إذا أبعد وأتى الشّطط ، وهو مجاوزة القدر . قال جل ثناؤه ﴿ ولا تشطط ﴾ وأما الميل فالميل فى الحكم ويجوز أن ينقل إلى هذا الباب الاحتجاج بقوله تعالى (ولا تشطط أى لا تمل . يقال شَطَّ وأَشطّ ، وهو الجور والميل فى الحكم) [1]

ومن ثم فإن لفظ الشيطان يدل على كل من بعد عن رحمة الله تعالى بسبب بعده هو عن الحق ومجاوزته الحد فى المعصية ، ومثل هذا لا يكون عاصياً لله عز وجل بجهالة ، بل يكون إماماً من أئمة الكفر والدعوة إلى الفسوق عن أمر الله عز وجل . فلفظ أو اسم شيطان يصدق على كل داعى للكفر وكل مضلل للناس ومزيّن للشر سواء أكان إنسياً أم جنياً ، لكنه إذا أُطلق بدون تحديد أو تعيين لإنسى أو جنى بعينه ، فإن الذهن ينّصرف عند سماعه إلى إبليس الجنى لأنه أول من كفر ودعى للكفر ولأنه زعيم شياطين الجن .

أما إذا نظرنا إليه باعتباره لفظاً كلياً حسب تعْبير المناطقه أو من ألفاظ العموم حسب تعبير الأصوليين ، وباعتباره اسم جنس عند اللغويين ، فإنه يصدق على كل دعاة الضلالة وكل من يُزيّن الشر بزخرف القول من الجن والإنس على حد سواء قال تعالى **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾** (١١٢ /الانعام) وقال تعالى فى وصف الشيطان : **﴿ الوساس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾** فكل

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتى شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

من يزين الشر مُوَسْوِساً فى ذهن ووعى البشر أو الجن وكل إنسى يزينه بالقول ويدعو إليه بالكتابة وبالإعلام وبالفن ، هذا وذاك شيطان من الجنة والناس .

- مفهوم الطاغوت وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس (« طغى » : الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد : يقال هو طاغٍ وطغى السيل إذا جاء بماء كثير قال الله تعالى **﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ﴾** (**١١ / الحاقة**) يريد ، والله أعلم ، خروجه عن المقدار . وطغى البحر : هاجت أمواجه ، وطغى الدم : تبيَّغَ . قال الخليل : الطغيان والطغوان لغة . والفعل منه طغيتَ وطغوْتَ) [١] .

وقال الفيروز أبادى فى قاموسه (طَغِيَ كَرَضِيَ طَغْياً وطُغْياناً بالضم والكسر : جاوز القدر وارتفع وغلا فى الكفر وأسرف فى المعاصى والظلم . والماء إرتفع ، والدم تَبَيَّغَ ، والبقرة صاحت .. والطاغية الجبار والأحمق المتكبر والصاعقة وملك الروم وطغا يطغو طغواً وطغواناً بضمها كطغى يطغى . والطَّغْوَى الإسم **﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾** (**١١ / الشمس**) والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فلعوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ والجبت حُيَيّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وأطغاه جعله طاغيـاً) [٢] .

الطاغوت ليس هو الشيطان وحده :

والآن بعد التعريف اللغوى للفظىْ الشيطان والطاغوت ، يبرز أمام أذهاننا هذا السؤال : هل اللفظان بمعنى واحد وبمدلول واحد أو بمفهوم واحد وبما صدق واحد أى هل يصدقان على مسمى واحد ؟

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتى شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

(٢) الفيروز أبادى / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦

وبتعبير آخر هل إسم الشيطان يتطابق بالكلية مع إسم الطاغوت فلا يكون ثم فرق بين الإسمين فى « المفهوم » وفى « الماصدق » بحيث يمكن أن يحل أحدهما محل أو فى موضع الآخر ؟!

الإجابة القطعية ولا أقول الراجحة هي : لا والأدلة علي هذا القطع بالنفي هي :

الدليل الأول :

القرآن الكريم وكلماته مصطلحات علمية على أعلى درجة من الدقة المعجزة فليس فيه إسمان مترادفان أو متطابقان بمعنى وبمدلول واحد و « بما صدق » واحد وذلك لتعارض هذا مع البيان والبلاغة والوضوح ، وحاشا لله عز وجل أن يكون فى كتابه هذا الخلو من الدقة وهذه المخالفة لقواعد البلاغة والبيان .

إن المذهب الراجح عند اللغويين أنه لا مرادفات متطابقة تطابقاً تاماً فى اللغة العربية كما برهن على هذا المذهب أبو هلال العسكرى فى كتابه « الفروق اللغوية » فأتى بأكثر المترادفات أو ما يتوهم البعض بأنها مترادفات متطابقة ووضح الفروق التى بينها وأثبت أنها غير متطابقة ، وعلى هذا فالطاغوت ليس لفظاً أو إسماً للشيطان أو مرادفاً له ، وإنما هما إسمان متغايران لكل منهما دلالته الخاصة وما صدقه الخاص ، وإن كان ثَمّ توافق بينهما فى بعض عناصر مفهوم كل منهما .

الدليل الثاني :

ما سبق أن أثبتناه من فرق لغوى بين الأصل شطن والأصل طغى إذ الأول من البعد مع الميل والثانى من مجاوزة الحد وهى تفيد المبالغة الزائدة فى الميل عن الحق والبعد فى الضلال كمّاً وكيّفاً .

فليس الشيطان هو الطاغوت وليس الطاغوت هو الشيطان ، إذ لابد أن يكون الطاغوت أمراً مغايراً للشيطان ، وأن يكون الشيطان أمراً مغايراً للطاغوت ، إذ المغايرة قائمة فى

الماصدق كما أنها قائمة فى المفهوم ، رغم الصلة الوثيقة بينهما فى المفهوم والماصدق كما سنرى بعد بإذن الله تعالى .

الدليل الثالث :

ورد اسم الطاغوت فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم فى حين أن اسم الشيطان بصيغة المفرد قد ورد سبعين مرة وهذا الاختلاف العددى بينهما فى حد ذاته ينفى أنهما لمسمى واحد ويؤكد المغايرة بين مدلولىْ الإسمين .

ونكتفى هنا بذكر موضع واحد ورد فيه ذكر الإسمين وهو قوله تعالى **﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾** « النساء / ٧٦ » فالغاية العليا لجهاد المؤمنين ولقتالهم للذين كفروا هى ابتغاء وجه الله تعالى ولإقامة سبيله أى شريعته فى واقع الحياة والذين كفروا جعلوا لله تعالى نداً يقاتلون فى سبيله وهو الطاغوت الذى له شريعته وله منهجه الذى يرسمه لحياتهم حتى أنهم إرتضوا هذه الشريعة وأحبوا هذا المنهج ومن ثم يقاتلون المؤمنين فى سبيله ، لأن المؤمنين يريدون أن يقيموا شريعة الله ومنهجه والكافرون يريدون أن يحافظوا على منهج الطاغوت وشريعته ، ومن ثم يقاتلون المؤمنين لمنعهم من إقامة شريعة الله عز وجل فالكافرون يقاتلون المؤمنين فى سبيل الطاغوت بهذا المعنى أيضاً .

ولكن جاء الأمر الإلهى فى الآية للمؤمنين تحريضاً لهم على قتال الكافرين الذين عندما ينفذون الأمر الصادر لهم بقتال المؤمنين لا ينفذون أمراً صادراً لهم مباشرة من الطاغوت ، لأنه يكون صادراً إليهم من الشيطان ، أى أنهم لا يتلقون أوامر من الطاغوت ، وإنما يتلقونها من الشيطان ومن ثم فهم وإن كانوا يؤمنون بالطاغوت ويقاتلون فى سبيله ولإقامة ما يشرعه لهم ، إلا أنهم لا يتلقون التشريعات والتعليمات والأنظمة والخطط الإفسادية الكفرية ، وكذلك الأمر بالقتال من الطاغوت مباشرة ، وإنما من الشيطان ومن ثم فهم أولياء الشيطان ، لأن ولى غيره هو الذى ينفذ أمر غيره له ، أو

ينفذ طلب غيره منه ، لأنه هو الذى أمره ، ومن ثم فإن الشيطان هو حلقة الوصل بين الطاغوت وبين الكافرين ، وبتعبير آخر الشيطان هو رسول الطاغوت إليهم المبلغ شريعته وتعليماته وقائد الكافرين التنفيذى لأوامره ، ومن ثم نسب قتال الكافرين لسبيل الطاغوت ونسب طاعتهم المباشرة للشيطان ، فصاروا بها أولياءه .

وهذا يفيد أن الطاغوت هو قمة الهرم الادارى فى مملكة الكفر والظلمات ، وأن الشيطان دونه فى المرتبة والدرجة ، وهذا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسى الأول قابيل أى الدجال فالنتيجة المؤكدة من هذه الادلة الثلاثة أن الطاغوت غير الشيطان ، وأن الطاغوت أعلى من الشيطان رتبة فى البناء الإدارى الهرمى لمملكة الشر ، وإن كان أهل هذه المملكة جميعاً فى أسفل سافلين . ومصير هذا الطاغوت فى جهنم أسفل سافلين تحت أقدام أهلها أجمعين .

الدليل الرابع :

ورود إسم الطاغوت فى القرآن الكريم بالتأنيث قال تعالى ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد** ﴾ « الزمر / ١٧ » وورد أيضاً اسم الطاغوت بالتذكير قال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ « النساء/ ٦٠ » وذلك لأن من معانى الطاغوت حكمه ومنهاج حياته وأنظمته وأمره الذى يتحاكم إليه الكافرون والمقصود بالطاغوت هنا حكمه وأمره فجاء مذكراً .

أما بالنسبة للآية الأولى التى تثبت أن المؤمن هو الذى يتجنب عبادة الطاغوت وحيث أن المعبود فى الشئ ذاته والمطاع أمره والذات مؤنثة والأمر والحكم مذكر فقد جاء الطاغوت فى آية الزمر بالتأنيث وورد فى آية النساء بالتذكير فدل التأنيث على أن المبعود فى الطاغوت ذاته ودل التذكير على أن التحاكم إلى الطاغوت أى إلى حكمه وأمره وشرعه .

أما الشيطان فلم يرد إلا بالتذكير حتى فى موضع ذكر عبادته قال تعالى ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ « يس / ٦٠ » ودليل التذكير فى موضع النهى عن عبادته هناقوله تعالى ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ فالشيطان يأتى بالتذكير حتى فى موضع النهى عن عبادته أما الطاغوت فيأتى بالتأنيث وهذا دليل على أنهما ذاتان متغايرتان وليسا موجوداً واحداً .

أقوال المفسرين فيمن أو فيما يصدق عليه إسم الطاغوت :

لخص لنا الفيروز أبادى أقوالهم فى هؤلاء الذين رأى المفسرون إطلاق اسم الطاغوت عليهم بقوله ﴿ والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فَلَعُوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ والجبت حُيّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف . وأطغاه جعله طاغياً) ونلاحظ هنا إعتبار الشيطان طاغوتاً وبصفة عامة كل رأس ضلال ، وكذلك كعب بن الأشرف ، وهو أحد زعماء اليهود الذين عادوا رسول الله ﷺ وخانوا عهده أما وصف حُيّ بن أخطب اليهودى بأنه جبت فسنعود إليه عند الكلام عن الجبت .

بيد أن الذى سيكشف لنا بعض الحقائق الخفية عن الطاغوت هو إطلاق اسمه على الكاهن واللات والعزى بخاصة ، وعلى سائر الأصنام المعبودة التى لها سَدَنَة وطقوس بعامة ، فلماذا اللات والعزى من الطواغيت ؟ الإجابة لأنها جسم مادى من الحجر تتلبس به شيطانة من الجن ، كتب السيوطى فى تفسير قوله تعالى ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً** ﴾ « النساء/ ١١٧) أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن أبى حاتم عن أبى بن كعب رضى الله عنه ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً** ﴾ قال : مع كل صنم جنية ، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبى مالك فى قوله إن يدعون من دونه إلا إناثاً قال اللات والعزى ومنات كلها مؤنث) [٢]

---

(١) الفيروز أبادى / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦

(٢) السيوطى / الدر المنثور / جـ ٢ ص ٢٤٥

فإذا علمنا أن لكل صنم سادن يخدمه ويدعو إليه ويقرب له القرابين المقدمة من المشركين تأكد لنا أن عبادة الأصنام عمل طاغوتى لأنه مشترك بين شيطانة جنية وبين شيطان إنسى هو الكاهن أو السادن .

وليس الشيطان أو الشيطانة مع اللات والعزى فقط بل مع كل صنم ، قال السيوطى (وأخرج عبد بن حميد عن الكلبى أنَّ ابن عباس كان يقرأ هذا الحرف ﴿ **إن يدعون من دونه إلا أنثى** ، **وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً** ﴾ قال مع كل صنم شيطانة .. وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان ﴿ **إن يدعون من دونه إلا شيطاناً** ﴾ يعنى إبليس .. وأخرج سفيان ﴿ **وإن يدعون إلا شيطاناً** ﴾ قال ليس من صنم إلا فيه شيطان)[1] فوجود الأصنام وكل ما يدور حولها من شركيات إنما هو عمل طاغوتى ، وليس شيطانياً فقط ، لأنه عمل مشترك بين شيطانة الصنم الجنية وبين السادن أو الكاهن القائم على الصنم من البشر ، فيحدثان معاً خوارق يخدعان بها الناس فيصدقوا بربوبيتها وألوهيتها ويدعونها من دون الله عز وجل ، فليس دعاؤهم إذاً للصنم الحجرى وإنما هو للشيطان .

وكذلك الكاهن أو المنجم طاغوت لأن عمله ليس جنّياً فقط وليس إنسياً فقط بل هو عمل مشترك بينهما فالطواغيت هم شياطين الإنس والجن ، فإذا اجتمع شيطان الجن وتلبس أو توحد مع شيطان الإنس فإن شغلهما معاً وآثار هذا الشغل والشر أو الضلال الناتج عنه هو طاغوت من الطواغيت المتعددة ، ومن ثم قالوا عن اللات طاغوت والعزى طاغوت والكاهن الذى يتلقى من الجنى ويتعاون معه على معرفة أخبار الغد من الكلمة التى يستمعها من السماء طاغوت ، والساحر المستخدم للشيطان أو للشياطين فى السحر طاغوت ، أما الطاغوت المعرف بالألف واللام فهو توحد إبليس شيطان الجن الأول مع الدجال قابيل الذى يكون اسمه فى آخر الزمان المسيح الدجال وما تنتجه هذه الأنا الإبليسية الدجالية المستعلية المستكبرة من شرور وضلالات وظلامات ومن قوانين وعادات

---

(١) المصدر السابق الجزء الثانى ص ٢٤٥

وأنظمة وقرارات وبروتوكولات إفسادية كلها طاغوتية نابعة من نبع الشر فى الحياة الدنيا .

أورد السيوطى فى الدر المنثور ما أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن يزيد الرقاشى فى قوله ﴿ شهاب ثاقب ﴾ قال : إن الجنى يجيء فيسترق فإذا سرق السمع فرمى بالشهاب قال للذى يليه كان كذا كذا) وفى الحديث الذى سألوا فيه رسول الله ما بال الكهان قال : كذابون قالوا : ولكن الرجل منهم يقول الكلمة فيصيب قال إنها كلمة حق يخطفها من الجنى ويضيف إليها مائة كذبة) .

ومن ثم أطلقوا على الكاهن من كهنة اليهود أو النصارى طاغوت لأن عمله ليس إنسياً فقط وإنما هو بالإشتراك مع شيطان جنى .

ومن المعلوم تاريخياً أن عمل الكاهن عند اليهود لم يكن يقتصر على الإخبار بالغيب فقط ، بل كان بمثابة حكم يلجأون إليه فى الخصومات ليقضى فيها ، ومن ثم فهو باعتباره حاكماً أو قاضياً بأمر الطاغوت وحكمه وشرعه يصدق عليه اسم الطاغوت .

والذى يهمنا من تعريفه هنا للطاغوت ، ما أورده من أقوال المفسرين بأنه اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال وما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد ، وهذا كله صحيح إذا وردت الكلمة منكرة « طاغوت » وجمعها طواغيت كقولنا شيطان فيكون اسم جنس بمعنى الكثرة والجمع أو اسم عام يصدق على كثرة ، أما إذا قلنا « الشيطان » معرفة بالألف واللام ، فإنه بمقتضى العهد الذهنى ينصرف إلى واحد بعينه هو إبليس لأن ألف ولام التعريف توجب التعيين ، وهو هنا للعهد الذهنى ، ومن ثم سميت عند النحاة بتعريف العهد الذهنى .

لما غلب على الأذهان أن الشيطان المعرف هو إبليس الجنى فى حال إطلاق اللفظ وعدم تخصيصه فى السياق بغيره .

وإذا صح أن الصنم طاغوت والشيطان طاغوت والكاهن طاغوت وفيلسوف الضلالة طاغوت ، وهكذا ما دام اللفظ نكرة ، فإنه لابد أن يكون لاسم (الطاغوت) المعرف

بالألف واللام فى القرآن الكريم مدلول آخر ، إذ يلزم فى حالة التعريف أن يكون له « ما صدق » خاص به ، أى يكون له مسمى غير مسمى طاغوت النكرة كما أن الشيطان المعرف بالألف واللام يصدق على إبليس الجنى بإعتباره الشيطان الجنى الأول كما يصدق على الدجال أوقابيل بإعتباره الشيطان الإنسى الأول .

وفى هذه الحالة يكون مسمى اسم طاغوت بالصياغة المنكّرة غير مسمى لفظ الطاغوت المعرّف

من الذي يحكم الآخر ؟ ومن الذي يخضع الآخر لحكمه ؟! : —

والسؤال بتعبير أكثر صراحة : من فيهما يقبل أن يكون عبداً للآخر ؟

مما لا شك فيه أن تحوّل قابيل من حزب الله إلى حزب الشيطان بعد قتل أخيه وإستحلال توأمته ، ووصوله نفسياً إلى حالة إبليس إذ جمعت بينهما الإبلسة فصار قابيل قريناً لأبليس الجنى وصار إبليس الجنى قريناً له . فتَكَوّنَ منهما معا أول هيئة من الأبالسة فى تاريخ مملكة الشر ، ومع توقع النمو الكمى والكيفى المُطّردَيْن ، ومع الزيادة المطردة فى أعداد البشر والجن ، ومع توحد الغاية العليا لكل منهما فى عالمه وبين بنى نوعه وهى الإضلال ، فقد بدا واضحاً ضرورة التعاون بينهما على الإثم والعدوان وتعميم الشر بين الجن والإنس ، وحيث قد علم إبليس الجنى من الله عز وجل أنه سيكون له صوت فيهم أى ممثل له فى بنى آدم ، وسيكون بإمكانه مع هذا الصوت إستفزاز من يستطيع منهم وسيشكل بهذا الصوت أيضاً جيوشاً راكبة وراجلة يحاربان بها المؤمنين . فإن هذا كله يؤدى إلى بروز حقيقة هامة مؤكدة وهى ضرورة وصولهما إلى صياغة ما لقيادة ثنائية منهما ، بالرغم من أن الكبر الذى فى صدر كل منهما يجعل قيام هذه القيادة أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً . لأن نزعة كل واحد منهما إلى الإستكبار والإستعلاء تلك التى جعلته يرفض الطاعة والخضوع لخالقه سبحانه أولى بأن تمنعه من الخضوع لمخلوق مثله .

إذ كيف تكون الطاعة من إبليس الجنى لهذا الإبليس الإنسى وقد أبى السجـــود لأبيه ؟ وبالمثل كيف تكون الطاعة من إبليس الإنسى للجنى وهو ابن آدم عليه السلام الذى كرمه الله تعالى وأمر الملائكة والجن بالسجود له .

إن هاتّين النّفسيْن النّافرتيْن عن الطاعة للغير بسبب نزعة الإستكبار ، جعلتا من قيام تعاون منظم مستمر بينهما بقيادة واحدة أمراً مستحيلاً ، إذ هى ممكنة فقط فى حالة خضوع وطاعة أحدهما للآخر ، لأن القيادة لأثنين أو أكثر لابد أن تكون قيادة فرْدية فَمَنْ منهما قَبل أن يطيع الآخر ؟! ومَنْ منهما قبل أن يخضع للآخر ؟! لم يحدث هذا ، ولن يحدث على الإطلاق ، للأسباب التى سبق ذكرها . ومن ثم لم يبق أمامهما إلا الوصول إلى شكل من القيادة يصبح لكل منهما بمقتضاه من السلطة والسيادة فيه بقدر سلطة وسيادة الآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما خاضعا لهذه القيادة بنفس قدر خضوع الآخر ، فإذا كان لابد من عنصر الطاعة والإستجابة والخضوع فى هذه الهيئة القيادية المقترحة فلا مناص من أن يكون خضوع كل واحد منهما وطاعته وإستجابته – وإن شئت فقل عبوديته – لهذه الهيئة متساوياً مساواة تامة بل ومطلقة لخضوع الآخر ، ومن ثم تصبح هذه القيادة الموحدة منهما هى الإله المعبود المطاع من كل منهما بنفس القدر من العبودية والطاعة من كل واحد منهما أيضاً ، وبهذه الكيفية يكون كل واحد منهما غيرخاضع أو عابد للآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما مساهماً فى هذه القيادة بنفس قدر مساهمة الآخر . أما عبودية كل واحد منهما لهذه القيادة فهى عبودية لكليهما معاً ، وحيث أنها عبودية وطاعة أو التزام مطلق بطاعة كل واحد منهما للقيادة المتوحدة ، فإن كل واحد منهما فى الحقيقة والواقع لا يكون عابداً إلاّ لنفسه .

فهل يمكن أن تقوم مثل هذه القيادة الموحدة من إثنين ؟ وما ضرورة قيام قيادة مشتركة أو حتى موحدة منهما ؟

إن كل واحد منهما عنده ما ليس عند الآخر من الإمكانيات التى تعتبر ضرورية لقيام

قيادة لمملكة الشر . أما الذى عند الإبليس الإنسى فهو علم الأسماء ، الذى ورثه عن أبيه آدم وهو مقوم الخلافة الأول ، وبه تقوم العلوم والصناعات والحضارات . وأما عند الآخر الجنى فهو ما تتميز به طبيعة الجن من الإختفاء ومن إمكانيات التأثير الخفى فى عقول البشر بالوسوسة وفى نفوسهم بالإيعاز بالشر والمعصية وقلوبهم بالتشكيك والتغرير ومن ثم صار لكل منهما إحتياجه للآخر بنفس القدر .

إن الإنس والجن يشتركان فى عدة خصائص ويختلفان فى أخرى . أما التى يشتركان فيها فهى أن كل واحد منهما كائن مبتلي وممتحن فى هذه الحياة الدنيا ، ومن ثمّ صار لكل واحد منهما قلبا وسمعا وبصرا . ولكل واحد منهما شهوة يستمتع بها ، وينجب أولاده وذريته الذين يخلُفونه من بعده . ولكل واحد منهما طعامه وشرابه الذاتى وملبسه ومسكنه ، وهكذا .

أما الدليل على الأسماع والأبصار والقلوب عند كل نوع منهما فهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الاعراف / ١٧٩) .

أما الدليل على أن لهم شهوة مثل بنى آدم فهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ (الانعام / ١٢٨) .

وأما الدليل على أن الجن كالإنس مريد مختار تحقيقاً للإبتلاء فهو قوله تعالى : حاكيا مقالة الجن عن أنفسهم ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا** ﴾ **(الجن / ١١) وما أصبحوا طرائق إلا بالاختيار .**

ومن ثم صار منهم المؤمنون ومنهم الكافرون أصحاب العقائد والملل المختلفة الضالة

مثلهم فى ذلك مثل الإنسان ، هذه الموافقات بين هذين النوعيْن جعلت إمكانية التوحد بينهما قائمة ، أما الذى جعل هذا التوحد مطلباً حقيقياً واقعياً ممكناً فهو إختلاف كثافة مادة الجن المخلوق من نار عن كثافة مادة الإنس المخلوق من طين ، ومن ثم أمكن للمخلوق الأقل كثافة أن تتخلل خلاياه وأعضاؤه خلايا وأعضاء المخلوق الأكثر كثافة ، فكل منهما من ذكر وأنثى ، وكل منهما يملك نفس الأعضاء التى عند الآخر ، ومن ثم يمكن للجنى منهما أن يتوحد مع الإنسى إذ تتخلل خلايا مخه خلايا مخ الإنسى وخلايا قلبه خلايا قلب الإنسى وخلايا سمعه وبصره خلايا سمع وبصر الإنسى ، فإذا تم هذا صارا كائناً واحداً بعقل واحد وقلب واحد وفقه واحد وسمع واحد وبصر واحد ، وكل جهاز منهما مضاعف ونزعة الإستكبار والشر مضاعفة ، ومن ثم صارا ذاتا واحدة طاغية بل طاغوتية .

ولكن ، أليس تخلل إبليس الجنى قرينه الإنسى وتلبُّيسه به دليلاً على خضوع الإنسى للجنى وسيطرة الجنى على الإنسى ، ومن ثم لا يصير للإنسى نفس سلطة وحقوق الجنى ، ومن ثم يخرق هذا مبدأ المساواة المطلقة بينهما ؟! وهل وافق قابيل ابن آدم الأول على أن يلبسه أو يمسه أو يتخلله أو يسكنه إبليس الجنى ، وفى هذا ما فيه من الخضوع ؟!

لرد هذا الإعتراض نقول : إن تلبس شخص جنى بشخص إنسى بعامة غير توحد هذا الإبليس الجنى بقرينه الإبليسى الإنسى ، إذ يمكن أن يتم بينهما هذا التلبس بسبيليْن .

الأول : أن يكون هذا إغتصاباً أى رغم أنف الشخص الإنسى فيكون هذا عدواناً من الجنى على الإنسى ، ومن ثم يصبح الإنسى فى هذه الحالة خاضعاً للجنى ، عندما يتلبس هذا الأخير بالأول فإن شخصية ووعى الإنسان تنعدمان ، وهذا هو الذى وصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ (البقرة / ٢٧٥)

أما السبيل الثانى فهو أشبه ما يكون بالزواج الذى يتم بين الذكر والأنثى بموافقة وإختيار حر لكل منهما ، ومن ثم تقوم بينهما العلاقة الزوجية على أساس الندّية فى

الحقوق والواجبات الإنسانية وفى حالة توحد الإبليس الجنى بالإبليس الإنسى فهو حالة تتم بموافقة الإثنين ، فلا إغتصاب أو عدوان فيها لأحد الطرفين على الآخر ، ومن ثم فليس فى هذه الحالة خضوع من أحدهما للآخر أو سيطرة أحدهما على الآخر ، لأنها تقوم بينهما بإختيارهما وعلى أساس النديّة المطلقة بينهما .

فحالة التوحد التى بينهما يتم فيها تفامل عقلاهما فيصيرا عقلاً واحداً وفكراً واحداً ، ويندمج فيها قلباهما فيصيرا إرادة واحدة وينتج عنها خططا للشر متفق عليها يرضى بها كل واحد منهما ، بعد الانفصال ، ويعمل بأقصى جهده لتحقيقها . وفى حالة التوحد الطاغوتية هذه يصير السمعان سمعاً واحداً والبصران بصراً واحداً . فهى حالة مخالفة لحال الممسوس من الجن ، إذ تغيب شخصية وإرادة الإنسى المعتدى عليه ، كما لو إحتل مجرم بيت غيره وطرده منه .

لكن الحال الطاغوتية لا نقول أنها تزاوج بين ذاتين إنسية وجنية فحسب ، بل هى حالة توحد إذ تصير الذاتان ذاتا واحدة .

ومن ثم يكون الناتج من الفكر المدمر والتشريع الخبيث والخطط الشريرة طاغوتاً خارجاً من طاغوت فكل إبليس جنى يتحد بإبليس أنسى فهو طاغوت ، والعمل الناتج عن هذه الذات الموحدة طاغوت ، وأول الطواغيت ورأس الطواغيت جميعاً هو الطاغوت المتولد من تَوَحّد الشيطان الإنسى الأول قابيل مع الشيطان الجنى الأول إبليس والذى يوحدهما ويفرقهما أمران ولهذا ما أن يتم توحدهما حتى ينفران ويفترقا ، فالتوحد حالة مؤقتة وليست دائمة فهذان الأمران عيناهما .. يُفرقان كما يوحدان بينهما ، .. يوحدان ويفرقان بينهما .. كيف هذا ؟

هذا يتضح لنا إذا علمنا أن الأمرين هما : وحدة المنطلق والغاية بينهما أولاً ، ثم إختلاف خلقة كل منهما وطبيعته عن الآخر ثانياً .

أما الأول وهو منطلق كل واحد منهما وهو الفسوق عن مقتضيات العبودية إستكباراً

وإستعلاء ، ومن ثم فغاية كل واحد منهما أن يكون معبوداً من غيره . أى أن الغاية هى التأله . وهذا المنطلق وهذه الغاية يُوَحّدان بينهما معا ويفرقان بينهما معا ، أما عن تعليل التباعد والتفريق بينهما ، فلأن الذات المستكبرة المتألهة ترفض الخضوع لغيرها وتأبى طاعة غيرها، لأنه إذا كان كل واحد منهما قد قبل اللعنة الأبدية بسبب هذا الإستكبار فعصى الله عز وجل الذى خلقه ، فكيف يطيع غيره ، وعلى هذا فمن المؤكد بل من المحتم أن تكون هذه الغاية مُنفّرة لكل منهما من الآخر ومباعدة بين كل منهما وبين الآخر ، وبالتالى مُفرّقة بين كل منهما وبين الآخر . وهذا يعنى أن كلاً منهما لابد أن يعيش مستقلاً عن الآخر متخذاً لنفسه من الوسائل ما يتمكن بها من إضلال قبيله أى أفراد نوعه لكى يخرجهم من النور إلى الظلمات ، حتى يعبدوه من دون الله عز وجل .

ولكن كل واحد منهما يحتاج إلى إمكانات الآخر التى ليست عنده لكى يضل قبيل الآخر ، فإبليس الجنى يريد عقلاً إنسانياً بما فيه من كنز علم الأسماء، ولساناً بشرياً يكلم به البشر وأعضاءاً ، بشرية يستفز بها البشر ويحرك بها جيوش البشر ضد المؤمنين منهم ، وقابيل الإبليس البشرى يريد الإستعانة بالنفس الجنية الخفية وبجيوش من الجن لكى يضل بها البشر من خلال الأعمال الخفية لهؤلاء الشياطين من الجن وعلى رأسها السحر والكهانة والعرافة والأصنام ، وعلى هذا ، إذا صح القول بأن وحدة الغاية لكل منهما أى الرغبة فى التأله قد فرقت بينهما ، فإنه يصح القول أيضاً بأن حاجة كل منهما إلى الوسائل التى عند الآخر لتحقيق هذه الغاية قد وحدت بينهما ، ومن ثم لزم من هذا وذاك أن يكون لكل منهما ذاته المستقلة عن الآخر ، ولكن يكون لهما حال يتوحدان فيها . فصار كل واحد منهما : هو الشيطان الأول فى قبيله متألهاً بين أتباعه حالة إفتراقه عن الآخر وإستقلاله بذاته ، وفى نفس الوقت إقتضى تحقيق هذه الغاية نوعاً من وحدة الفكر والتدبير والتخطيط ، وكل هذا لا يتم إلا بتبادل الوسائل والإمكانات والتعاون الوثيق على الإثم والعدوان . هذه الحالة التى يتم من خلالها هذا ، بل العمل المشترك ، هى حالة توحد لهاتين الذاتين الخبيثتين .

أما الأمر الثانى الذى يفرق بينهما ويوحد بينهما معاً أيضاً ، فهو إختلاف نوع كل منهما عن الآخر ، وأن أحدهما مخلوق من نار وهو إبليس الذى هو من الجن ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ « الكهف/ ٥٠ » فإبليس لم يكن من نوع الملائكة لحظة واحدة ، وإنما كان من الجن المخلوقين من نار، أو من مارج من نار ، بيد أنه كان موجوداً بينهم لما صدر لهم الأمر بالسجود لآدم عليه السلام ، وأما آدم فهو مخلوق من طين كما هو معلوم من الدين بالضرورة . ومن ثم فلكل منهما خلقته المختلفة وجِبِلّته المختلفة وطبيعته المختلفة وكثافته المختلفة وجسده المختلف . هذا الإختلاف والتباين بين كل منهما هو فى حد ذاته مُفرِّق بينهما ومباعد بينهما ، لأنه من المعلوم أن اختلاف الطبيعة والطبع ينفر بين المختلفين ، والعكس صحيح ، لقد علل إبليس رفض السجود لآدم بأن أصل خلقته أى النار خير من أصل خلقة آدم عليه الصلاة والسلام ، أى أنه استعلى بناريته على طينية آدم عليه السلام ، فهو مستكبر على آدم مستعلى عليه غير مقر له بهذه الأفضلية ، ومن ثم يكون اختلاف الأصل لكل منهما مفرق بينهما منذ التجربة الإبتلائية الأولى فى عالم الإبتلاء ، وكذا قابيل الذى قتل أخاه وعاش مع أخته زانياً ، ما فعل هذا إلاّ إستكباراً ورغبة فى النِّظرة مع التأله ، فكيف يخضع بعد هذا لإبليس الجنى ؟

وكيف يقبل قابيل إبن آدم الذى كرمه الله تعالى على سائر خلقه وعلى الجن بخمس وهى : (١) سواه بيديه ، (٢) ونفخ فيه من روحه ، (٣) وعلمه الأسماء (٤) وأسجد له الملائكة ، (٥) وأسكنه الجنة ، أقول : كيف يقبل قابيل وهو بلا شك قد علم هذه المكرمات الخمس أن يسجد لإبليس ويطيعه وينضوى تحت قيادته وسلطانـــــه ؟!

وإذا كان قابيل قد استكبر وإستعلى على أخيه هابيل ورفض الزواج من توأم هابيل وأستأثر بتوأمته هو مضحياً بأخرته معرضاً ذاته للخلود فى جهنم والعياذ بالله بحجة أنه خير هو توأمته من هابيل وتوأمته ، لأن قابيل وتوأمته من حمل الجنة ، وهابيل وتوأمته

من حمل الأرض ، مدعياً أنهما إبنا السماء الأمر الذى جعله يستكبر ويستعلى بذاته على أخيه ، ومن ثم يفسق عن مقتضيات العبودية ، فهل يقبل بعد هذا كله أن يخضع لإبليس ؟! بالقطع لا . كما أن إبليس يرفض بالقطع أن يخضع لقابيل ، بعد أن خسر ذاته لرفض السجود لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، إذ كيف يأبى السجود للأب ويقبل السجود لإبنه ؟ أو على الأقل طاعته ؟! وهكذا يثبت لنا أن طبيعة كل واحد منهما هى العامل الثانى القوى للتّفريق بينهما وللتباعد بينهما . ومن ثم فمن المحتم أن يكون كل واحد منهما فى ذاته مستكبراً متألهاً وبالتالى مستقلاً عن الآخر بمقتضى إختلاف أصل وخلقة وجبلة وطبيعة كل واحد منهما عن الآخر ، وبمقتضى نزعة الإستكبار من كل منهما .

ولكن نفس هذا الإختلاف فى أصل الخلقة هو الذى يمكنهما من حالة التوحد بين هاتين الذاتين الخبيثتين المستعليتين ليصيرا ذاتا واحدة لها غاية واحدة تخطط لها من خلال المزج بين وسائل عالم الجن وعالم الإنس ، أى أن حاجة كل منهما للآخر لتحقيق غايته وحدث بينهما ، كما فرقت أيضاً ، فكيف يتم هذا التوحد ؟! وكيف يكون الاختلاف بينهما فى أصل الخلقة هو الذى أتاح لهما التوحد فى ذات واحدة ؟! تماماً كما أن وحدة الغاية فرقت ووحدت بينهما أيضاً ؟!

لما صار من المحال أن يكون أحدهما خاضعاً للآخر مطيعاً له ، لم يكن أمامهما من سبيل لتكوين قيادة موحدة للشر مع رفض خضوع أحدهما للآخر ، إلا بأن يكون لكل منهما نصيب من سلطان هذه القيادة ، يساوى نصيب الآخر تماماً ، أى خمسون فى المائة لكل منهما ، وهذا هو المحال فى تشكيل أى هيئة قيادية جماعية ، فى أى مجال من مجالات الحياة الإنسية أو الجنية ، إذ لابد حسب سنن الله تعالى فى المجتمعات أن تنتهى السلطة فى يد فرد واحد . أما السلطة الجماعية أو الثنائية التى تقوم على الندية التامة أو المطلقة ، فهى من الأمور المحالة التى لا يمكن أن تنجح فى تنفيذ أبسط الأهداف لما هو معلوم وثابت عن حتمية الإختلاف ، ومن ثم يستحيل قيام تعاون وعمل

مشترك لمثل هذه القيادة الثنائية إذا كان كل عضو فى القيادة فى حالة إفتراق واستقلال ذاتى عن الآخر ، إلا إذا قبل أحدهما الخضوع للآخر والتسليم له بحق الطاعة ، وفى هذه الحالة تصبح القيادة فردية ، وليست ثنائية ، فليس من سبيل لقيام قيادة ثنائية على أساس الندية والمساواة المطلقة بينهما إلا فى حالة واحدة فقط وهى حالة توحد الذاتين فى ذات واحدة وهكذا فإن إختلاف أصل الخلقة والجبلة والطبيعة أتاح لهما ، ليس تكوين قيادة ثنائية للشر لأنها مستحيلة ، وإنما أتاح لهما هذا الإختلاف تكوين قيادة واحدة ، إذ يصيرا بالتوحد ذاتا جنية حالة بالذات الإنسية أو متدرعة بها ، أو ذاتاً إنسية ملبوسة بالجنية ومتحدة بها . فذات إبليس الشيطانية الجنية تتخلل وتتحد بالذات الشيطانية الناسوتية فيصيرا ذاتاً واحدة ، بالعقل والقلب والجسد ، وأساس هذا التوحد بينهما هو إرادة الإستكبار ، ونزعة الإستعلاء ، فهو توحد نفسين وإرادتين فى نفس واحدة وإرادة واحدة ، وليس كما قد يتوهم البعض أنه تلبس نفس جنية بجسد إنسان مما يعرف بالمس . لأن هذه الحالة تغيب فيها نفس الآدمى عن جسده ووعيه ويستخدم الجنى جسد الملبوس وعقله ولسانه فيتحدث به ويفصح به عن ذاته هو . أما فى حالة الطاغوت فهو حلول الشيطان الجنى بالشيطان الإنسى أى حلول نفس الأول بنفس الثانى وعقل الأول بعقل الثانى وقلب الأول بقلب الثانى وجسد الأول بجسد الثانى وإمتزاجهما حتى ينتج عنهما نفساً ثالثة لا هى نفس شيطانية جنية ، ولا هى نفس شيطانية إنسية ، وإنما هى نفس ثالثة يتضاعف فيها الشر والخبث ويطغى الكفر وتلك هى النفس الطاغوتية ، فالحلول هنا أو الاتحاد فى حالة الطاغوت هو حلول نفس بنفس وعقل بعقل وقلب بقلب وسمع بسمع وبصر ببصر وجسد بجسد ، وليس حلول نفس بجسد كما هى حالة الملبوس ، ولذلك فهو توحد ذات جنية بذات إنسية وليس حلولاً ، ومن ثم يكون تفسير الحديث الشريف (إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم) أكثر تطابقاً على الدجال قابيل حين يتحد به إبليس فينتج عنهما الطاغوت الرئيس الأسفل ، وإن كان هذا يصدق على طواغيت صغرى كثيرة . ومن ثم قال (ابن آدم)

الذى هو قابيل بخاصة ، وإن كان يصدق بعامة على غيره من أبناء آدم المتوحدين بالشياطين ، الذين هم صغار الطواغيت أو الطواغيت الصغيرة .

ولكى نقرب للذهن تصور هذه الحالة الغيبية الخاصة جداً ، نقول إن تفاعل عنصرين كيماويين مثل الكلور والهيدروجين وإتحادهما ينتج عنه مادة ثالثة مخالفة لكل من العنصرين المكونين ، حيث أن ذرة كلور إذا تفاعلت مع ذرة هيدروجين ينتج عن هذا الإتحاد أو التوحيد ، جزئ من حامض الهيدروكلوريك وهذا معناه أن العنصرين يصيرا عنصرا ثالثاً مخالفاً لكل واحد منهما .

كذلك الذات الإبليسية الجنية حين تتحد بالذات الإبليسية الإنسية ، يصيرا ذاتاً ثالثة مختلفة عن الإثنين الإبليسيتين ، إذ تصيرا ذاتاً واحدة طاغوتية ناتجة أو متولدة عن حلول الصوت الجنى بنظيره الآدمى والعقل الجنى بنظيره الآدمى والجسد الجنى بنظيره الآدمى ، أى حلول كل ما عند الجنى بنظيره عند الآدمى فيتولد عن هذا الحلول وحدة وجود ذاتية هى الطاغوت .

فلا يصح أن تسمى هذه النفس الناتجة عن هذا التوحد نفساً إبليسية ، ولا شيطانية لمغايرتها لكل من النفس الشيطانية أو الإبليسية الجنية والنفس الإبليسية أو الشيطانية الإنسية ، ومن ثم ولأن الناتج عن توحدهما نفسٌ مختلفة مغايرة لكل منهما لزم أن تحمل إسماً مختلفاً مغايراً لاسم الشيطان ، الذى هو مشتق من شطن ، ولإسم إبليس الذى أبلس من الرحمة ، واللذان هما إسمان وصفيان لإبليس وقابيل بمقتضى كفرهما أى بعدهما عن الحق ويأسهما من رحمة الله تعالى ، وحيث النفس الناتجة عن إتحادهما يتضاعف فيها الشر والخبث ، إذ ليس المتولد عن توحدهما مجرد مجموع الذاتين بل زائد عنهما بكثير ، لذا صار الإسم الأنسب لهذه الذات هو الطاغوت ، الذى هو غلو وشطط فى الطغيان ، فالطاغوت إسم يطلق على كل نفس إبليسية جنية تدخل فى وحدة وجودية مع نفس شيطانية إنسية ، بغرض أن تكون معبودة من الإنس والجن

من دون الله تعالى ، ومن ثم تفريخ الشر والضلال والفساد والأذى لكل المؤمنين أى المنتمين لحزب الله عز وجل .

عالم من الطواغيت متميز عن عالم الشياطين جناً وإنساً :

وحيث أن شياطين الجن كثيرون ، وشياطين الإنس كثيرون ، فإنه من الطبيعى أن يحدث مثل هذا الإمتزاج والتوحد بين كثير من أولئك وكثير من هؤلاء ومن ثم ينتج عن هذه الإتحادات طواغيت كثيرة وهذا يفسره قول الله عز وجل ﴿ **ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ « الزخرف / ٣٦ » يجرى منه مجرى الدم وهو قرين لأن القرين يحمل صفة الندية لقرينه ، وهذا هو الذى يتيح التوحد بينهما بنسبة خمسين فى المائة لكل منهما أى دون أن تطغى إحداهما على الأخرى .

يؤكد هذا الذى نقول ما ورد عن تفسير الطاغوت وتعريفه عند السلف بأنه الكاهن لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يتلقى منه الأخبار التى يخطفونُها عن طريق إستراق السمع من السماء وكذلك الساحر الذى يأتى بسحره من خلال (أساليب خاصة يتعامل بها مع الجن أو مع واحد من الجن) يكون قريناً مصاحباً له مدى حياته ، وكذلك العراف وسادن الصنم وغير هؤلاء ممن يستخدمون الشياطين ويعوذُون بهم قال تعال حاكياً لنا مقالة الجن الذين أسلموا لما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن الكريم : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ « الجن / ٦ » وقال تعالى ﴿ **ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً** ﴾ « مريم / ٨٣ » وقال تعالى عن تنازع القرين الكافر مع قرينه يوم الدين ﴿ **وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد منّاع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل أمتلأت وتقول هل من مزيد ؟** ﴾ « ق / ٢٣ - ٣٠ » فقرين الضلال الجنى الذى يحاول أن يتبرأ من قرينه الإنسى العتيد والذى هو أيضاً كفّار

عنيد هو هذا الشيطان الإنسي الذى كانت نفسه تتوحد به ، أى بهذا القرين الشيطانى الجنى ليصيرا طاغوتاً من الطواغيت الكثيرة المفسدة فى الأرض ، ومن الطبيعى أن تكون حالة التوحد مؤقتة ، يعود بعدها كل إلى شيطانيته المستقلة ، أو إبليسيته الخاصة .

وهذا يفسر قول الله عز وجل : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾ « الأنعام / ١١٢ » إذ يفصح لنا قوله تعالى ﴿ **يوحي بعضهم إلى بعض ..** ﴾ عن وجود حلقة وسطى بين هؤلاء وأولئك تنسق بين العالمين ، هى الطاغوت ، تلك الحلقة التى يتحقق بها التعاون وتبادل الأفكار والمذاهب والأخبار والخطط والبرتوكولات والأشعار والأعمال الفنية المزخرفة : نحتاً وتصويراً وتشكيلاً وتأليفاً وتمثيلاً وكله قول مزخرف يغررون به الإنس والجن إفتراءوكذباً لإخراجهم من عبادة الله وحده إلى عبادة الطاغوت ، أى من النور إلى الظلمات . والسؤال الذى يجيب عليه هذا التفسير المقدم للنفس الطاغوتية هو : كيف يوحى شيطان الإنس لشيطان الجن أو شيطان الجن لشيطان الإنس زخرف القول ؟ أو السؤال بصيغة أخرى : كيف يكون الإتصال والتبادل والتعاون والوحى بينهما ؟ إذا علمنا أن الوحى هو إعلام خفى تبيّن لنا أنه لا بد من سبيل أو حالة تتيح لكل منهما أن يوحى إلى الآخر ، وأن يلقن الآخر ويتلقى من الآخر ، وليس من سبيل لذلك إلا النفس الطاغوتية الناتجة عن إتحاد النفسين والعقلين والقلبين ، هذا الإتحاد الذى يتولد عنه التوحد بين الشيطانين اللذين يصيرا طاغوتاً ، لأن اختلاف كثافة الجسدين يتيح تداخلهما الارادى فيتولد عن الإتحاد النفسى العقلى الجسدى ، ذاتاً طاغوتية واحدة فكل شيطان جنى حين يتحد بشيطان إنسى يتولد عن هذا التوحد طاغوت ، لكن كل واحد منهما حين يفترق مستقلاً عن الآخر مرة أخرى يعود شيطاناً كما كان ، وحيث أن الشيطان المعرف بالألف واللام يصدق على إثنين أحدهما إنسى والآخر جنى ، وكلاهما رأس الشياطين فى بنى جنسه أو فى قبيله ، فإن إبليس رأس شياطين الجن يكون قريناً أيضاً لقابيل الذى هو رأس شياطين الإنس ، ويكون

التوحّد بين نفسيهما الشيطانيتين للندية التى بينهما ، ولأن هذه النفس الشيطانية الإنسية هى خليفة الطاغوت فى عالم الإنس الذى يتكلم باسمه فيهم ، وينفذ ما يتولد عنه من مخططات شريرية إنسانية ، وكذلك النفس الشيطانية الجنية إبليس هو خليفة الطاغوت المنفذ لمخططاته فى عالم الجن لذا يصح القول بأن الشيطانين إبليس والدجال يصيرا حالة توّحدهما الطاغوت معرفاً بالألف واللام ، لأنه إذا كان توحد شيطان جنى بشيطان أنسى ينتج عنه طاغوتاً من الطواغيت الصغار ، فإن توحد الشيطان الجنى إبليس بالشيطان الإنسى قابيل أو الدجال ينتج عنه الطاغوت أى رأس الطواغيت كلها ، أما فى حالة إستقلال كل واحد منهما عن قرينه فإنه يعود شيطانا ، هذا الشيطان الإنسى وذاك الشيطان الجنى ، هذه القيادة المتوحدة ليست جنية إبليسية فقط ، وليست بشرية دجالية فقط ، وإنما هى مزيج متفاعل متولد منهما على أثر هذا التفاعل أى الطاغوت ، فهو إذاً خميرة الشر فى الوجود ، فالطاغوت ليست الشيطان الجنى الإبليسى فقط ، وليست الشيطان البشرى الدجالى فقط ، وإنما هى الذات المتولدة عن وحدة وجود بينهما ، ولفظ الطاغوت هو إسم جامع لذاتهما المتوحدة ، وإسم لشغلها الإجرامى المضل للجن وللإنس على حد سواء، واسم للمؤسسات والقوى والجيوش الخاضعة لها المنفذة لأهدافها .

هذا هو مفهوم الطاغوت معرفاً بالألف واللام إذ لا يصدق إلا على الذات الدجالية البشرية حين توحدها مع النفس الإبليسية الجنية ، أو بتعبير آخر حين تتدرع الذات الإبليسية الجنية الخبيثة بالجسد وبالعقل وبالنفس الدجالية القابلية البشرية الشريرة .

فالطاغوت ليس أحدهما منفرداً بذاته فى عالمه ، إذ يكون كل واحد منهما ، حين الاستقلال والتباعد بينهما ، إما الشيطان الجنى إبليس الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الجن ، وإما الشيطان الإنسى قابيل أى الدجال الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فالطاغوت هو الاسم الذى يصدق عليهما معاً حالة توحدهما فى ذات واحدة هى المشرعة لكل الشر والفساد والكفر فى هذه الحياة الدنيا وفى حالة

الافتراق يكون إبليس خليفة الطاغوت فى الجن والدجال خليفته فى الإنس ، والخليفة منفذ فقط ، بدلالة أن الطاغوت صيغة مبالغة فى الطغيان ، وهى أعلى وأقوى من الدلالة على مصدر الشر ونبع الكفر من دلالة اسم الشيطان على هذا المصدر ، لأن كلاً من الشيطانين الجنى والإنسى أى إبليس والدجال ، يستقيان من الطاغوت ، وذلك لأن الشر النابع من كل منهما على حدة أقل من الشر النابع منهما متوحدين فى ذات الطاغوت كما أن الشر الصادر من الشيطان : سواء الإنسى أو الجنى ، هو شر تنفيذى . أما الشر النابع من الطاغوت فهو تشريعى تخطيطى وتنظيمى وتنظيرى عقدى ، فالنفس الطاغوتية هى نبع الشر الأول أو المصدر الأول الأصيل للشر والكفر إذ هى التى تفيض بالكفر والضلال والشرك والإلحاد والخبث والإجرام على شيطانىّ الجن والإنس ، وعن طريقهما وبتنفيذهما كل فى عالمه ، يتحقق الشر ويعم الخبث ، فالطاغوت هو عقل الشر الأول ونبع الكفر الأساسى فى الوجود الإبتلائى . ومن ثم تكون السلطة العيا لمملكة الشر وعالم الظلمات متمثلة فى هذا الثالوث النجس : إبليس الجن والدجال إبليس الإنس ثم الطاغوت الذى يتولد عن تفاعل الطبيعة الجنية النارية بالناسوتية الطينية ، فهم ثلاث ذوات : إثنان فى واحد ،، وواحد متولد من إمتزاج أو تفاعل الإثنين ، أبوين وابن وولادة ، وتلك هى حقيقة وأصل عقائد التثليث فى الأرض على مدار تاريخ البشرية كله ، بل هى أيضاً أصل وحقيقة وتتحقق عقائد الحلول والإتحاد ووحدة الوجود كما سنرى .

وهكذا تحققت وتتحقق بين إبليس والدجال المساواة والندية لأن حاجة كل منهما إلى الآخر متكافئة ومتساوية كحاجة القرين إلى قرينه ، أى أن الموحد بينهما هوالمصلحة ، فالطاغوت متولد من السلوك المصلحى والنفعى ، ومن ثم فأخلاق المصلحة والمنفعة من شريعته ، وحيث أن كلاً من إبليس والدجال خليفة للطاغوت فى عالمه ، والطاغوت ليس إلا هما متوحدين ، فإن كل واحد منهما يكون معبوداً متألهاً فى بنى جنسه وقبيله بالأصالة لنفسه وبالوكالة فيهم عن قرينه أى حاكماً لهم بالنيابة عن الآخر ، فما عبد المشركون الكافرون من دون الله تعالى إلا الشيطان الإنسى والجنى متحدين بل متوحدين

، أى الطاغوت ، سواء أكان هؤلاءالمشركون الكافرون فى الجن أم كانوا من الإنس وبذلك صار الدجال صوت إبليس فى الإنس وإبليس صوت الدجال من الجن ، وهذا تفسير قوله تعالى لإبليس ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** ﴾

أى مَنْ استطعت من بنى آدم فكان هو إبليس البشرى الرئيس أى الدجال قابيل .

فلا معنى للطاغوت سوى هذه الأنا الإبليسية المتلبسة الممتزجة الذائبة بل المتوحدة فى الأنا القابلية البشرية . فهى الذات المستعلية المستكبرة إستعلاء وإستكباراً مضاعفاً طاغياً ففاض منها الإلحاد والشر فيضاناً وشرّعت الرذيلة والجريمة والمنكر وقنّنتها ، وعملت وتعمل على ترسيخها ، حتى تقضى على آخر ذرة خير بين الإنس والجن ، تلك هى الطاغوت أما الشيطان الجنى ونده أو قرينه الشيطان الإنسى فكل واحد منهما مجرد نائب أو خليفة للطاغوت فى عالمه يقتصر دوره على تنفيذ المخططات أو البرتوكولات والتشريعات الصادرة إلى كل منهما من هذه الذات النجسة الخبيثة ، وهذا فارق جوهرى بين مدلول اسم الطاغوت ومدلول اسم الشيطان فى المفهوم والمصادق والوظيفة ، وكذلك فى الرتبة ، إذ يعلو الطاغوت الذى عمله التشريع والأمر على الشيطان الإبليسى جناً وإنساً الذى عمله قاصر على الطاعة للطاغوت وتنفيذ أمره فالطاغوت رب للشيطانين الرئيسين كل واحد منهما عبد له ومكلف منه . وإن كان هذا الطاغوت ليس سوى كلاهما متحدين .

الفصل الثانى عشر

الطاغوت هو الذى يلد ويولد وهو أصل عقائد الحلول والتثليث ووحدة الوجود

حقيقة الطاغوت وصلته بالشيطان :

علمنا أن الدجال أو إبليس الإنسى هو صوت الطاغوت فى عالم البشر كما أن إبليس هو صوت الطاغوت فى عالم الجن ، وهما يسعيان بتنسيق من خلال الطاغوت ليصل إلى إحكام قبضته على هذا العالم ، ومن ثم يخرج مظهراً نفسه للناس زاعماً أنه ربهم وأنه ملكهم وأنه إلههم . ومن ثم يكون الدجال و إبليس صاحبىْ غاية واحدة منطلقة من نفسيهما المستعليتين المستكبرتين نحو التأله ، وتعبيد الإنس والجن لهما من دون الله تعالى ، فصارا منذ بدء الخليقة زعيما مملكة الشر ، ومن ثم يكون من الخطأ قصر اسم الطاغوت على أى واحد منهما دون الآخر ، أو إعتبار الطاغوت أحدهما مستقلاً عن الآخر ، لأن كل واحد منهما تمتلأ ذاته الشيطانية الإبليسية بنفس القدر الذى عند الآخر من الإستعلاء والإستكبار والكفر وبنفس القدر من الشر الذى عند الآخر ، وبنفس قوة نزعة التأله التى فى نفس الآخر .

ولذا فهما متساويان مساواة تامة فى هذه الأمور الشيطانية الإبليسية ، ومن ثم فكل واحد منهما ليس مجرد شيطان من شياطين الإنس والجن ، إذ أن كل واحد منهما رأس لشياطين بنى نوعه وقبيله ، وحيث أن إسم إبليس اسم وصفى ، وليس إسما علميّاً ، لأنه مشتق من أبلس أى يئس أو من الإبلاس أى اليأس ، وهو حال الشيطان الذى استحق بفعله اللعنة الأبدية التى هى طرد ابدى من رحمة الله لا رجاء له بعدها فى التوبة ، أى أنها حكم نهائى للخسران الأبدى ، وحيث أن هذا هو ما آل إليه حال قابيل لقوله تعالى ﴿ ... **فأصبح من الخاسرين** ﴾ « المائدة / ٣٠ » ، وهو حال كثير من السحرة والكهان والطغاة من رؤوس الأديان الشركية والملل الكفرية ، فإن قابيل اللعين يصح أن نطلق عليه الإبليس الإنسى وكذلك كل من يتعامل تعاملاً مباشراً مع شياطين الجن من الإنس وكل رؤوس الكفر والفساد ممن آل حالهم إلى اليأس واستحقوا اللعنة الأبدية التى قطعت عليهم طريق العودة إلى الله عز وجل هم جميعاً أبالسة .

ومن ثم فليس كل الشياطين أبالسة ، وإن كان كل الأبالسة شياطين ، لأن بعض

الشياطين قابل للتوبة وللعودة إلى الحق ، كما هو حال شيطان رسول الله ﷺ الذى دعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام ، فأسلم وصار صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ الجنّيين . ومن ثم نقول أن كل شيطان كافر وليس كل كافر شيطاناً لأن الشيطان جندى أو موّظف فى مملكة الشر ، وليس الكافر هكذا بالضرورة ، وكل إبليس شيطان ، وليس كل شيطان إبليساً ، وكل طاغوت إبليسان متوحدان ، وليس كل إبليسيْن منفرديْن طاغوتاً ، إذ لا يكونان كذلك إلا بالتوحد فالمؤمنون بالله الكافرون بالطاغوت هم خلفاء الرحمن فى الأرض وهم نوعان : مؤمنو الإنس ومؤمنو الجن ، والكافرون بالله تعالى المؤمنون بالطاغوت ، هم جمهور مملكة الشر للأرض وهم نوعان أيضاً : كفرة الإنس وكفرة الجن .

والشياطين هم الجنود والموظفون فى دولة مملكة الشر وهم نوعان : شياطين الإنس وشياطين الجن ، وأبالسة هم رجال الدولة والأعوان المخلصون لمملكة الشر الموكولة إليهم الأعمال والوظائف الطاغوتية ، وهم أيضاً بالضرورة نوعان : أبالسة الجن وأبالسة الإنس والطواغيت هم حلقات الإتصال بين شياطين الجن وشياطين الإنس ، ومن خلالهم يتم الوحى من هؤلاء لأولئك ومن أولئك لهؤلاء ، فينتقل الشر بين الجانبين ويتم التعاون بينهما على الإثم والعدوان لإخراج الجن والإنس من النور إلى الظلمات ، وعلى قمة مملكة الشر الطاغوت الرئيس الأسفل ، وهو الذى يتولد من لحظات التوحد بين الإبليس الجنى الرئيس الذى أبى السجود لآدم عليه السلام ، والابليس الانسى الرئيس الذى قتل أخاه واستحل أخته المحرمة عليه ، ثم إذا إفترقا مرة أخرى ، عاد كل واحد منهما رسولا إلى بنى نوعه الأبالسة من قبل الطاغوت الرئيس بما تم الاتفاق عليه من خطط إفسادية لتقوم مجامع الأبالسة بوضع القوانين والقرارات والآليات التى يصدرونها إلى الشياطين لتنفيذها .

هذا هو الهرم الإدارى لمملكة الشر الذى تنتهى قمته بالإبليسين الرئيسين ينبثق منهما الطاغوت الرئيس ، فالسلطة النهائية لمملكة الشر هى لهذا الثالوث ، ومن ثم نجد

أن المعبود فى أكثر الملل الإلحادية والكفرية والشركية والوثنية والكتابية المحرفة ثلاثة يزعمون أنهم فى واحد ، أو واحد يقولون أنه ثلاثة .

وهى عقيدة قديمة قد ظهرت فى عقيدة أوزوريس وإيزيس والهندوكية التى ينتهى هرم الآلهة عندهم إلى ثلاثة ثم فى النصرانية بمذاهبها المختلفة.

وحتى عقيدة الحلول المنحرفة عند الصوفية ما هى إلا حلول النفس الإبليسية الجنية فى النفس الإبليسية الإنسية أى أنها عبادة للطاغوت . فمن قول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنـا   نحن روحان حللنا بدنـا

فإن أبصرتنـى أبصرتـه   وإن أبصرتـه أبصرتنـا

فالروحان هما النفسان الابليسيتان الجنية والانسية أى نفسه هو فى بدنه هو ثم نفس شيطانه فى نفسه وبدنه ، فهذا ثالوث ، والبيت الثانى يثبت ما أطلقت عليه حالة التوحد لأنهما ذاتاً واحدة ، فإذا رأيت الواحد منهما رأيت الكل .

وكذلك قلنا أن الطاغوت هو المشرع ، فهو رب إذاً ، ومن ثم يكون كل إبليس منفصل عنها ملزم بتنفيذ ما تم تشريعه فى عالمه ، فهو عبد حين يكون منفرداً بذاته مستقلاً ، وهو رب حين يكون متوحداً فى الطاغوت ، وهما حالتا الجمع الطاغوتية والفرق الإبليسية ، وهذا هو بعينه مذهب ابن عربى صاحب وحدة الوجود ، فبإعتبار الطاغوت هو المشرع فهو رب ، وبإعتبار كل إبليس منهما بعد التفرق ملزماً بطاعة وتنفيذ ما تم الإتفاق عليه وتشريعه ، فكل منهما عبد ، فالعبد هو الإبليس حالة الانفصال أو التفرق ، والرب هو هو بعينه فى الحلول ووحدة الذات ، أى فى حالة الجمع والتوحد وهذا هو البيت المنسوب لابن عربى

الـرب عبد والعبد رب   يا ليت شعرى مَنْ المكلّف ؟

إن قلتَ عبد فذاك رب   وإن قلت رب فأنّى يُكلَّـف

وهذا هو التفسير الوحيد المقبول لغة وعقلاً لهذين البيتين ، إذ يصعب إن لم يكن من المستحيل تفسيرها بغير ما هدانا الله تعالى إليه من تفسير لسر الطاغوت المتوحد أو المتولد عن الإبليسين ، والإبليسان المنفلتان أو المتولدان عن الطاغوت ، وكذا يستحيل تفسير عقائد الحلول الصوفية والحلول النصرانية والتثليث ووحدة الوجود الإلحادية عند البوذية والكونفوشيوسية والهندوكية وعند أصحابها ممن يتتسبون للتصوف الإسلامى إلا من خلال الحقيقة الطاغوتية الإبليسية توحدا بالجمع واستقلالا بالانفلاق ، إذ هذا كله ليس إلا وصفاً وشرحا لحالتى الطاغوت والإبليسين جمعا وانفلاقاً مع نسبة هذا كذباً وزوراً وبهتاناً إلى الله عز وجل وتنزه وتقدس وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً .

وبهذا يخدع الطاغوت الناس ويجعلهم يعبدونه بالوصف مستتراً تحت اسم الحق واسم الله عز وجل ، وإن كان قد حل شئ فى شئ فهو القرين الجنى بقرينه الانسى مع الايهام بأنه الأله عز وجل خداعا وتضليلا ، هذا إن لم يكن هو عالماً بهذا شريكاً معه فى الإضلال . وهذا كله من قبيل توعد الشيطان بنى آدم بقوله لله عز وجل : ﴿ **قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ « ص / ٨٢ – ٨٣ » وبقوله ﴿ **فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ « الأعراف / ١٦ – ١٧ »

والسؤال : كيف يأتى الأبالسة الناس عن أيمانهم إلا أن يكون هذا باسم الدين والإيمان بالله تعالى ، فى حين أنه لا يأتى إلا بالكفر فيخدع من يريد الإيمان بأن يجعله يعبد الطاغوت وهو يحسب أنه يعبد الله تعالى ، فمذاهب الحلول ووحدة الوجود فى التصوف الإسلامى التى لها نظير عند صوفية الهنود والبوذية والنصارى ، ما هى إلا مذاهب طاغوتية تلك التى تجعل العبد هو الرب جمعاً بالتوحد والحلول ، والرب هو الرب استقلالاً بالتفرق والانفلاق فليس من نبع للشر أسبق من الفلق الذى هو شر ما خلق .

أما رب العالمين خالق كل شئ سبحانه فهو أجل وأعظم وأكبر من أن يحل بذاته فى شئ من خلقه حتى ولا فى سماواته فالله أكبر ، كما أنه سبحانه أجل وأقدس من أن يحل فيه شئ من خلقه ، كيف ؟ **﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾** « الزمر / ٦٧ » ؟ فالله أكبر ، ويطويها كطى الكتاب **﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾** الأنبياء / ١٠٤ » كيف ؟ و **﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾** « يونس / ٤ » ؟؟ فالله أكبر ، كيف ؟ وهو القائل سبحانه **﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** « غافر / ٥٧ » وكيف يحل سبحانه بعبد مخلوق له من الناس حتى ولو كان نبياً طاهراً مثل عيسى بن مريم عليهما السلام ، والسماوات والأرض وهن بعض خلقه مطويات بيمينه وهن أكبر من خلق الناس جميعاً ؟ الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ..

لا حلول ولا توحد وجود إلا بين مخلوق ومخلوق ، ولا يصح هذا ولا يتم إلا بين جنى من نار يتخلل إنسياً من طين ، لأن الجنى أقل كثافة من الإنسى ، ولا يكون هذا إلا بين إبليسين يلدان بتوحدهما طاغوتاً . فسبحان الله عما يقولون ، وتعالى الله عما يشركون علواً كبيراً .

كيف يحل الخالق سبحانه بالمخلوق ، وهو الذى لما تجّلى للجبل أقل من قيد أنملة جعله دكّاً وخرَّ موسى صعقاً ، ولم يكن هذا من تجّلى الخالق سبحانه على موسى عليه السلام ، ولكن مما أصاب الجبل ؟ ثم يخرج على الدنيا من يقول : إن الله ثالث ثلاثة . كفر والله كفراً بواحاً ، ومن يقول : إن الله يحل فيه ، وما فى جبته غير الله ، أو من يقول : سبحانى ما أعظم شأنى ، كفر والله كفرا بواحاً . وثالثة الأثافى هى قول القائل : الرب عبد والعبد رب . كفر والله كفرا بواحا ، ولو أولوا هذه الأقوال بأى تأويل من التأويلات ، لأنها جميعاً ليست إلا أحوالا للطاغوت ينسبونها لله عز وجل .

وليس بموحد من لم يكفر بالطاغوت ، فما بال الذى يؤمن به وصفاً ويطلق عليه

يؤكد هذا التفسير للطاغوت وينبت سبة صفات الطاغوت لله تعالى كذباً وزوراً وبهتاناً قوله تعالى **﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ﴾** « الأعام / ١١٠ - ١٠١ »

لأن وصف الإله بأنه يلد كذباً وبهتاناً ونسبة الولد إليه ، إنما هو وصف بأحوال وبصفات الطاغوت ، ومن ثم فإن من يعبد إلهاً بهذا الوصف لا يعبد فى الواقع إلا الطاغـــــوت **﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العاملين ﴾** « الصافات / ١٨٠ » وقال تعالى **﴿ وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجِنّة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون ﴾** « الصافات / ١٥٩ »

الطاغـوت يلـد ويولـــد :

لقد علمنا أن الشيطان إما أن يكون إنسياً وإما أن يكون جنياً ، ومن ثم فإنه يكون من الخطأ تأويل إسم الشيطان فى بعض الآيات الوارد فيها بالشيطان الجنى فحسب ، ما دام قد ثبت وجود عالم من شياطين الإنس لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، بجانب عالم من شياطين الجن لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، وعلى هذا يكون من الخطأ قصر اسم الشيطان على الجنى منهما فقط ، وهو الخطأ الشائع الذى يقع فيه كثير من الناس وكثير من المفسرين ، إذ ينصرف الذهن بمجرد سماع لفظ الشيطان إلى الجنى ، بالرغم من أن القرآن الكريم قد نصّ صراحة فى أكثر من موضع على وجود عالمْين للشياطين ، وليس عالماً واحداً هما شياطين الجن والانس . منها قوله تعالـــى **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾** « الأنعام / ١١٢ » ومنها قوله تعالى **﴿ قل أعـوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسـاس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾** « سورة الناس » فالوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس

إما أن يكون من الجنة أى جنياً ، وإما أن يكون من الناس أى إنسياً ، فهما إذن عالمان من الشياطين الموسوسين الخناسين فى صدور الآدميين فلكل عالم رئيس يتخذونه ملكاً وإلهاً ورباً . وهما عالمان متآزران متعاونان على الإثم والعدوان ومحاربان للمتعاونين على البر والتقوى ، بدليل قوله تعالى فى الآية الأولى ﴿ **يوحى بعضهم إلى بعض** ﴾ وبدليل قوله تعالى أيضاً ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ « الأنعام / ١٢١ » وأيضاً بدليل قوله تعالى ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ « الزخرف / ٣٦ » .

وبين العالمين حلقات إتصال كثيرة يتم من خلالها تبادل التعليمات والخطط والأفكار والتنسيق بينهم فى التنفيذ ، وكل هذا يتم من خلال وحى بعضهم إلى بعض

هذه الحلقات الوسطى اسم الواحد منها « طاغوت » وجمعها « طواغيت » وكل طاغوت من عالم الطواغيت هو متولد عن توحد ذات شيطانية إبليسية جنية بذات شيطانية إبليسية إنسية توحداً يتم على فترات مؤقتة ، هى المدة الزمنية لحالة الإتصال بينهما ، والتى تنمحى وتنعدم فيها الذات الفردية لكل منهما فى المتوحدة ، فالمتوحدة أى الذات الطاغوتية مولودة من الإثنين ، والإثنتان والدتان لها . فإذا ما إنتهت فترة التوحد وعاد كل واحد إلى فرديته ذاتا شيطانية إبليسية كما كان ، وهكذا ، ومن ثمّ تصبحان بالتالى متولدتان من الطاغوت بطفح من الشر يتمثل فيما تحمله كل ذات إبليسية كل منهما من خطط وتشريعات وأعمال طاغوتية تلقته من الذات الطاغوتية ، فالذات الطاغوتية أشبه ببئر المجارى وكل ذات إبليسية أشبه بمجرى يخرج منه ، وتولد ماء المجارى النجس من بئر المجارى سواءالجنية أو الإنسية أشبه ما تكون بطفح من هذا البئر من جهة يسير فى مجرى من ناحية والآخر يسير فى الناحية الأخرى ، بقصد إفساد الحياة ، فتكون كل ذات منها مولودة من الذات الطاغوتية ، فالطاغوت ابن مولود من الشيطانين الابليسين بعملية الإمتزاج والجمع ، وهما ابنان مولودان منه بالانفلاق ، ومن ثم يكون هذا الثالوث حين توحده مركب من إثنين ، أتاح له إختلاف طبيعة أصل

مادتى تكوين كل منهما أى النار والطين ، أتاح إمتزاجهما وتوحدهما ، كما ذكرنا من قبل ، ومن ثم أصبح للمخلوق المبتلى أى الانس والجن ستة أحوال :

الحال الأول : وهو حال الفطرة الموحدة التى يولد عليها أبناء الإنس والجن ، وهذه تستمر مع المولود منهما حتى سن الرشد والتكليف والاختيار وبعد هذا إما أن يثبت قلبه على فطرته وإما أن ينحرف عنها .

الحال الثانى : أما الحال الثانى فهو حال المؤمنين بالله واحداً لا شريك له الكافرين بالآلهة المزيفة الباطلة وهؤلاءهم حزب الله عز وجل .

الحال الثالث : وهو حال الذين تحولوا عن فطرتهم فأشركوا وكفروا بالله تعالى واتخذوا إلهاً غيره . وربما سواه . وهؤلاء هم حزب الشيطان المعادى والمتصارع مع حزب الله ، لكن منه أتباع مضللون عليهم جنود وحراس من الشياطين ، هؤلاء الأتباع الكافرون قابلون للعودة إلى التوحيد والإيمان والإسلام بالتوبة ، وقابليتهم للعودة أقوى من قابلية الشياطين الذين هم أهل الحال الرابع .

الحال الرابع : ينقسم حزب الشيطان إلى أتباع مضللين وجنود من الشياطين الداعين إلى الكفر ، لأن مجتمع الكفر ليس كل أعضائه شياطين ، إذ الجمهور والعامة المضللون منهم كفار ومشركون مضللون مخدوعون بفعل الشياطين الذين يحجبون عنهم الحق ويموهون الحقيقة . ومن ثم فالشيطنة هى الحالة الرابعة فى هذا التقسيم لأن الشيطان هو الجندى فى جيش دولة الشيطنة ، ومن ثم فكثير منهم مخدوعون مضللون ، وبالتالى فبعضهم قابل للإيمان والعودة لفطرته ، إذا ظهرت له الحقيقة مثل ما حدث من الشيطان المسلط على رسول الله ﷺ الذى أسلم وآمن وصار صحابياً ، وعلى هذا تكون هذه الدولة مكونة من هؤلاء الجنود الشياطين على اختلاف رتبهم ، والذين هم خاضعون ومحكومون بالزعماء أصحاب السلطات فيها والذين ليسوا شياطين عاديين ، إذ هم الأبالسة .

الحال الخامس : الأبالسة وهم الملأ الأعلى فى الدولة الشيطانية الحكام والقضاة والمنفذون من القيادات العليا والوزراء وجميعهم من الأبالسة ، وإختلاف الأبالسة عن الشياطين ليس فى مرتبة السلطة فقط وإنما فى أن الحال النفسى الخاص للأبالسة هو أنهم ليسوا قابلين للتوبة أو للرجوع إلى الحق والإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت ، لأن الإبليس هو الشيطان الذى بعد كثيراً جداً عن الحق حتى صار يائساً قانطاً من رحمة الله ، شأنه فى هذا شأن إبليس الأول ، فليس إبليس هو الشيطان الأول فقط الذى أبى أن يسجد لآدم لأن هذا الاســـم : « إبليس » وصفىٌ وليس عَلَمياً لأن الفعل أَبْلَسَ أى يئس من رحمة الله وقَنَطَ من عفوه ، هذا الفعل المشتق منه إسم إبليس يجعل هذا الاسم وصفاً صحيحاً لكل من يئس من رحمة الله وعفوه ، ومن ثم فكل من يصل إلى هذه الحال القلبية الخامسة للكائنات الإبتلائية المغالية فى الكفر والمسرفة فى الشر فهو إبليس ، ليس الجنى منها فقط بل الإنسى كذلك : أقول من يصل إلى هذه الحال يصبح إبليسا ، ومن ثم يمكن القول بأن الجن ينقسمون إلى مؤمنين وكفرة وينقسم البشر إلى مؤمنين وكفرة ، وكما ينبثق من كفرة الجن شياطين ، كذلك ينبثق من كفرة الانس شياطين ، هم دعاة الكفر وجنود الضلالة ، وكما ينبثق من شياطين الجن أبالسة ، ينبثق من شياطين الانس أبالسة أيضاً ، هم زعماء وقادة ومشرعو ومخططو حزب الشيطان ، وهم القيادة العليا لهذا الحزب ، وهم الذين غير قابلين للعودة إلى فطرتهم الموحدة ، بعد أن تدمرت تماماً ، فصاروا غير قابلين للتوبة اليائسين من رحمة الله تعالى ، هؤلاء الأبالسة الجنييّن هم قادة حزب الشيطان الجنى ، والأبالسة البشريّين هم قادة حزب الشيطان الإنسى الذين يحاربون حزب الله فى عالمى الجن والانس على حد سواء.

الحالة السادسة : وعلى هذا فلا بد أن يقوم التنسيق بين أبالسة كل من العالمين الجنى والانسى فى حربهم ضد حزب الله فى عالمى الجن والانس ، هذا التنسيق يفترض بالضرورة حلقات وسطى على جميع درجات السلم الادارى الهرمى لمملكة الشر ، هذه الحلقات الوسطى هى المتمثلة فى عالم من الطواغيت على رأسهم الطاغوت الأول ،

فكل إبليس جنى يتوحد بقرينه الإبليس الإنسى ينتج عنهما طاغوتٌ فى عالم الطواغيت ، ويتوحد الإبليس الجنى الأول الذى أبى السجود لآدم عليه السلام الذى هو رب الأبالسة والشياطين وملكهم ، بإبليس الإنس الأول الذى قتل أخاه واستحل أخته وهو رب أبالسة الانس وملكهم والههم ، هذا التوحد النجس بينهما هو الذى يتولد منه الطاغوت الأول رب عالم الطواغيت وملكهم وإلههم ، فهو ربهم لأنه المشرع لهم ، وهو ملكهم لأنه المصرف لأمورهم والمخطط لتنفيذ الأهداف والتشريعات المحققة لها ، وهو إلههم لأن الذين دونه من الطواغيت والأبالسة والشياطين والكفرة والمشركين يعبدونه من دون الله عز وجل .

وكما سبق أن وضحنا ، فإن الإبليس الإنسى الأول والإبليس الجنى الأول حين يتوحدان يلدان الطاغوت الرئيس الأول ، فهو ثالثهم ، فإذا إنفلقا إلى إبليسين مرة أخرى صارا كمن ولدهم الطاغوت ، فكل منهما مولود منه بالإنفلاق أو الانفصام ، ومن ثم فهو يلد ، وهو مولود منهما أيضاً ، وما تم هذا التوحد ، إلا لأنه الشكل الوحيد الذى يمكن أن تقوم به بينهما قيادة ثنائية تكون السلطة فيها متساوية مساواة تامة بينهما ، لأن كل واحد منهما كفؤ للآخر وند له ، كما أن الطاغوت كفؤ لهما متوحدين ، ومن ثم ما عبد المثلثون إبتداء من عبادة أزوريس فى التاريخ المصرى القديم ثم البوذية والهندوسية ومن ثم الصورة الأخيرة للتثليث الكاثوليكى إلا هذا الطاغوت الذى يلد ويولد ، وكل واحد من الإبليسين كفؤ للآخر ، ومن ثم أمر الله عز وجل نبيه الكريم قائلاً له ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ « سورة الصمد » لأن هذه السورة المعادلة لثلث القرآن ، المتضمنة للتوحيد الإسلامى كله ، تثبت ضلال جميع الذين يعبدون الطاغوت فى صورة ثالوث يلد ويولد ، وله ما يكافئه ، وينفلق أى ينفصم إلى اثنين متكافئين ، فالسورة إذاً تنزه وتقدس الله عز وجل عن هذه الخصائص الطاغوتية ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد** ﴾ فهو أَحَدِىٌّ الذات سبحانه ليس فى ذاته عز وجل تركيب كما هو الحال بالنسبة للطاغوت ، وهو عز وجل صمد فلا يحل فيه شئ

من خلقه ، ولا يتحد هو عز وجل بشئ من مخلوقاته ، لأنه عز وجل الخالق وكل ما سواه مخلوق وعبد له ، ومن ثم فهو سبحانه لم يلد ، ولم يولد ، كما هو الحال بالنسبة للثالوث الطاغوتى ، وكما هو الحال بالنسبة لكل حى يتولد من إثنين أو يلد غيره ، واحداً أو أكثر ، وما تقرره هذه السورة هو البراءة من الإيمان بالطاغوت إذ أنه لا يوجد فى الكون كله كفؤ له سبحانه ، لأن كل ما سواه فى الوجود من خلقه سبحانه ، فلا ند ولا شبيه ولا كفؤ له عز وجل ، بخلاف شأن هذا الثالوث الطاغوتى المعبود بالباطل من دون الله ، إذ هو يكافئ الإبليسين ، والإبليسان يكافئانه ، كما يكافئ كل واحد منهما الآخر ، ومن يعبد الذى له كفؤ فهو مشرك والذى يعبد ثلاثة هو مشرك ، ومن ثم لا نجاة من هذا الوقوع فى عبادة هذا الطاغوت الذى هو وحده المتأله بالباطل ، إلا بالتوحيد الذى شعاره لا إله إلا الله ، وعقيدته قل هو الله أحد ، وغايته الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله عز وجل وحده .

ومن ثم تتضمن سورة الصمدية الكفر بالطاغوت الذى يلد ويولد وله كفؤ ، وليس أحدى الذات بالإضافة إلى ما تتضمنه من تصريح بالإيمان بالله تعالى وحده . وحيث قد علمنا الطاغوت إثنان يتوحدان فى ذات واحدة هى نبع الشرفى العالم ثم تنفلق إلى إثنين مرة أخرى ، ليعود كل إبليس منهما إلى عالمه حاملاً خطط الشر والفساد والإضلال ، فإن هذا التوحد والانفلاق يتم بأمر الله تعالى ومشيئته الكونية لإبتلاء الإنس والجن ومن ثم فهو سبحانه رب كل شئ الذى بعزّته وإذنه سبحانه يتم هذا كله .

ومن ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يستعيذ بالله تعالى رب هذه الذات المتوحدة والمنفلقة على التوالى الطافحة بالشر والفساد ، فقال له ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ « سورة الفلق » وسميت السورة باسم الفلق لأن هذا هو أخطر فلق فى العالم يعقبه طفح الشر والفساد والضلال ، والأمر بالاستعاذة بالله تعالى الذى هو خالق الإبليسين وربهما فى حالة إنفصالهما وربهما فى حالة توحدهما فى الطاغوت الذى

عندما ينفلق ويعود كل إبليس إلى عالمه ، فإنه يعود حاملاً لخطط الشر وعلى رأسها السحر ، ومن أخطر أساليب الشر النابع من الطاغوت المحمولة بالإبليس المنفلق عنه الغاسق إذا وقب وهو الذى يحل فى الموضع ليلاً فجأة ، ويغيب نهاراً وهم الأبالسة والشياطين حين يحلون بعالم الإنس فيعيثون فساداً بالنظرة الأرضية والمس الشيطانى واللبس الجنى وغير ذلك مما يؤذى به الشياطين الإنس وكذلك من أخطر أساليب الطاغوت المنفلق النَّفّاثات فى العقد ، وهو من أخطر أساليب السحر الذى يتم بالتعاون بين إبليس إنسى وإبليس جنى .

والاستعاذة به إستعاذة من كل أساليب السحر وأنواعها لأن الإستعاذة من الأخطر إستعاذة مما هو دونه ، وهو من عمل الطاغوت كما علمنا ، لأن الإبليس الجنى هو الذى يلقنه ، ويعلمه للإبليس الإنسى ثم يتعاونان فى إتمام تأثيره الشرير .

﴿ **ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ لأن الحاسد ليس هو الذى يصيب بالعين فقط ، بل هو الذى يحقد ويتمنى زوال النعمة ، ثم هو يسعى بالكيد لأزالتها عن المحسود بجميع الأساليب ، ومنها عين العائن التى تضر المصاب بشكل غيبى ، وهذا كله من فعل الطواغيت والأبالسة فى بنى البشر ، فسورة الفلق إستعاذة بالله تعالى لكى لا يُصاب المستعيذ من شرور الطاغوت .

وكذلك لا يتم التوحيد الإسلامى إلا بالاستعاذة بالله عز وجل الذى هو رب الناس ملك الناس إله الناس الواحد الذى لا شريك له فى ربوبيته ولا فى ملكه ولا فى ألوهية .

الاستعاذة به سبحانه تكون من الطاغوت الذى يدعو الناس إلى أن يتخذوه ربا وملكاً وإلهاً لهم ، ومن ثم يوسوس له هذا الوساس الخناس الإنسى منهم والجنى لتحويلهم عن عبادة الله تعالى وحده إلى عبادة الطاغوت الذى عندما سيخرج فى خرجته الأخيرة من أصفهان سيزعم أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس ، ومن ثم أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ بأن يستعيذ بالله من هذا الطاغوت الإبليسى الجنى الإنسى مكذباً زعمه الربوبية ورافضاً إدعائه الألوهية ومتحدياً ملكيته الباطلة الوهمية للعالم ، والتى لن تدوم

أكثر من أربعين يوماً يصبح بعدها هباءاً منثوراً فى الدنيا وتحت أقدام أهل الجحيم أى فى أسفل سافلين فى الآخرة .

الفصـــل الثالث عشر

مواضع ذكر الطاغوت في القـرآن الكريم

تدبر آيات القرآن الوارد فيها ذكر الطاغوت :

بعد أن عرضنا لأقوال اللغويين والمفسرين فى الطاغوت ، وبعد أن عرضنا حقيقته ، نأتى إلى السياقات القرآنية الوارد فيها ذكره لتدبرها كما أمرنا ربنا عز وجل آملين فى عونه ومدده سبحانه وتعالى استكمالاً لفضح أمره الخفى وكشف سره الدفين ، لقد ورد إسم : الطاغوت فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم نستعرضها تباعاً :

الموضع الأول : وهو قوله تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ، والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٧ » الآية الأولى تعرف الذين آمنوا بأنهم الذين يكفرون بالطاغوت أولاً ، ومن ثم لا يؤمنون إلا بالله تعالى رباً وإلهاً واحداً . فجاء الكفر بالطاغوت عنصراً أولاً سابقاً فى فعل الإيمان بالله واحداً لا شريك له . تماماً كما جاء نفى الألوهية عن كل ما سوى الله سابقاً على إثباتها له وحده فى شهادة الإسلام : « لا إله إلا الله » فكان النفى فى الشهادة منصباً على الآلهة الباطلة الذين يعبدهم المشركون أى على المتألهين من البشر والكواكب والكهان وكل معبود من دون الله عز وجل .

لكن هذه المعبودات كثيرة متعددة ، فهى طواغيت جمع طاغوت بالنكرة ، والمذكور فى الآية الطاغوت معرفا ، كما أنها جميعاً ليست معبودة عند المشركين لذاتها ، إذ يوجد دائماً مَنْ يختفى خلفها وتكون الطاعة له ، ومن ثم يكون هو المعبود المطاع واقعياً من دون الله تعالى بالباطل ، أى هو المطاع وليس الشمس أو البقر أو الصنم ، وهذا المعبود بالباطل فى الواقع هو الذى تَطلّع إلى أن يعبده الناس ويؤلهونه ، وعلمنا أنه أول كفرة الجن إبليس ، وهو أيضاً نظيره البشرى أول كفرة الإنس قابيل الذى هو الدجال ، وعلمنا أن المشركين فى النار سيخاطبون من عبدوهم من دون الله تعالى قائلين ﴿ **تالله إن كنا لفى ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين / ٩٨ / الشعراء** ﴾ وشهد الله

عليهم بأنهم يعدلون بربهم غيره من خلقه فقال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ « الأنعام /١ » أى يعدلون به غيره من مخلوقاته ، وقال تعالى عن الكفار أيضاً ﴿ **.. ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بأياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** ﴾ « الأنعام / ١٥٠ » يتخذون بعض خلقه آلهة يعدلونها بربهم أى يسوونها بربهم .

وعلمنا من سورة « يس » قول الله عز وجل يوم القيامة لكل الكفرة والمشركين الذين عبدوا الأصنام والعجول والبقر والشمس وفرعون والكاهن والبرلمان المشرع لغير ما أنزل الله عز وجل ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ « يس / ٥٩ - ٦٢ » فالمعبود بالباطل فى الواقع هذا الذى يعدلونه ويسوّونه برب العالمين سبحانه هو الشيطان . فهل معنى قوله تعالى﴿ **فمن يكفر بالطاغوت** ....) وقوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت** .. هو نفس معنى العبارة **والذين كفروا أولياؤهم الشيطان** ؟ بالقطع لا ، بدليل أن آية سورة « يس » تثبت أن الكافرين لم يعبدوا إلا الشيطان فى حين أن آيات أخرى تثبت عبادتهم للشمس والكواكب والحكام المتألهين والأصنام والعجل وغير ذلك مما يثبته الواقع البشرى أيضاً ، وهذه كلها معبودات باطلة مختلفة ومتغايرة وليسوا معبوداً واحداً ، ومن ثم يكون الشيطان مغايراً للطاغوت أى أن عين الطاغوت ليست هى عين الشيطان ، وإن كانت عبادة العجل وفرعون والصنم هى عبادة للشيطان، لأنه طاعة له ، كذلك عبادة الطاغوت طاعة للشيطان لأنه هو الذى أمر بها ، وإن كانا ذاتيْن مختلفتين ، وفى آية سورة البقرة بيان لعقيدة الذين كفروا بعامة ، إذ يجمعهم على اختلاف مللهم ونحلهم إتخاذهم نداً لله تعالى يساوونه به عز وجل فيؤمنون به بدلاً من الإيمان بالله تعالى ، وحيث أن الإيمان لا ينصرف إلا على التصديق بأمر غيبى فإن شأن الطاغوت لابد أن يكون غيبياً أيضاً ليس على الإنس وحدهم ، ولكن على الجن أيضاً ، ومن ثم فليس

الطاغوت هو شيطان الجن الأول إبليس ، كما أنه ليس شيطان الإنس الأول الدجال . ، لأن الشيطان الجنى أى إبليس ليس غيباً على الجن ، كما أن قابيل شيطان الإنس الأول لم يكن عيباً بالنسبة لأبنائه وقبيلته وشعبه لأنه آدمى . **﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾** يصدق على كفار الجن والإنس معاً ، وهؤلاء لا يكفرون بالطاغوت مثل المؤمنين ، ومن ثم فهم يؤمنون به ، أى يصدقون به بالغيب من غير أن يروه أو يسمعوه أو يحسونه أو يثبت لهم وجوده على الأرض ولو بأثر تاريخى .

أما الشيطان سواء الجنى أم والإنسى ، فكل منهما ليس موجوداً غيبياً فى عالمه ، ولهذا لم يرد فى الذكر الحكيم عن الذين كفروا ، أنهم يؤمنون بالشيطان ، كما لم يرد عن الذين آمنوا أنهم يكفرون بالشيطان ، كما ورد بالنسبة للطاغوت فى آية سورة البقرة .

ولقد أثبتت هذه الآية الكريمة أيضاً أن الكفار يساوون بين رب العالمين خالقهم سبحانه وبين الطاغوت - ليس فى التصديق بالطاغوت بالغيب فقط - ولكن أيضاً فى اتخاذ الطاغوت ولياً ، كما أن المؤمنين يتخذون الله وحده ولياً لهم فيخرجهم الله من الظلمات إلى النور ، فى حين أن الذين كفروا يخرجونهم أولياؤهم الطاغوت من النور إلى الظلمات ، وهذا الفعل أيضاً لم ينسب إلى الشيطان وإن كانت آيات أخرى نسبت ولاية الشيطان للذين كفروا واستعباد الشيطان لهم . وفى هذا دلالة على أن الطاغوت فوق الشيطان فى مملكة الشر .

الموضع الثانى : فى قوله تعالى **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾** « النساء / ٦٠ » ونأخذ من هذه الآية الكريمة إثبات المغايرة والتباين بين الطاغوت والشيطان ، إذ أراد بعض المحسوبين من المؤمنين أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، أما الذى يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً فهو الشيطان . وذلك لأن الطاغوت فى هذه الآية ، حسب أقوال المفسرين ، يصدق على الكاهن اليهودى الذى لجأ إليه بعض الذين أسلموا للحكم فى خصومة ، وهو عمل

يتعارض مع مقتضى الإيمان بالله الواحد إذ يلزم أن يبدأ بالكفر بالطاغوت (اخرج ابن أبى حاتم والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس قال : كان أبو برزة الاسلمى كاهناً يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا .... إلى قوله إحساناً وتوفيقاً** ﴾) وكذلك (أخرج ابن جرير وابن المنذر عن الشعبى قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فى لفظ : ورجل ممن زعم أنه مسلم فجعل اليهودى يدعوه إلى النبى ﷺ ، لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة فى الحكم وجعل الآخر يدعوه إلى اليهود ، لأنه قد علم أنهم يأخذون الرشوة فى الحكم ثم اتفقا على أن يتحاكما إلى كاهن فى جهينة فنزلت ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا** ﴾ الآية إلى قوله ﴿ **ويسلموا تسليماً** ﴾) [1] فالتحاكم إلى كاهن تحاكم إلى طاغوت من الطواغيت لأنه لا يعمل بقواه البشرية فقط ، وإنما بالتعاون مع شيطان من الجن ، بيد أن هذا الكاهن إنما يصدر فى حكمه عن تشريع طاغوتى صادر إليه من الطاغوت الرئيسى ، لذا جاء فى الآية ذكر الطاغوت معرفاً بالألف واللام .

لأن الذى وعى وعلم ونشر هذا التعاون الجنى الإنسى على الإثم والعدوان والدعوة إلى الكفر والضلال بخداع الناس فهو الطاغوت الأول أو الرئيسى المكون من إبليس والدجال والذى تعتبر سائر الطواغيت الصغيرة جنود له تسير على منهاجه .

ومن ثم قال تعالى ﴿ **ويريد الشيطان أن يضلهم ..** ﴾ ولم يقل ﴿ **ويريد الطاغوت أن يضلهم** ﴾ لماذا ؟ لأن المشرع المخطط لإضلال عالمى الجن والانس هو الطاغوت ، أما المنفذ لإرادة الطاغوت فى عالم الجن فهو الشيطان ، وهو اسم كما علمنا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسى الأول قابيل أو الدجال فقوله تعالى : ﴿ **يريد الشيطان** ﴾ أى بإرادة تنفيذية ، وهو على ما سبق أن ذكرناه وأشرنا إليه ، وهو وحدة الهدف والغاية الإستراتيجية المرسومة من الطاغوت للشيطان الجنى فى عالمه ،

---

[1] السيوطى / الدر المنثور / جـ ٢ / ص ١٩٧

وللشيطان الانسى في عالمه كل منهما يريد أن يكون إلهاً معبوداً من قبيله أو من نوعه ، وهذا ما لا يتم لكل منهما إلا بإضلالهم ضلالاً بعيداً . وهذا يؤكد ما ذكرناه من فرق دقيق بين الشيطان وبين الطاغوت .

وهذه النزعة الطاغوتية فى التأله التى لا تتحقق إلا بالإضلال البعيد هى التى رسم الدجال الشيطان الانسى الأول خطوات تنفيذها لبطانته وملئه فى خطط انكشف للناس بعضها بما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون ، وهم كفرة اليهود من شياطين الانس ، أو بتعبير أدق هذه البروتوكولات هى إرادة من إرادات الشيطان الانسى لخدمة غاية الطاغوت

الموضع الثالث : ورد اسم الطاغوت أيضاً فى قوله تعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فورود ذكر الطاغوت والشيطان فى آية واحدة وموضوع واحد يدل على أن كل واحد منهما ليس سوى إسماً لموجود أو لحال أو شئ مباين عن الآخر . فالذين كفروا من الجن يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل الطاغوت لأن الاستراتيجيات التى يقاتلون من أجلها هى من وضع القيادة المتوحدة فى الذات الطاغوتية ، وكذلك الذين كفروا من الانس يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل نفس الاستراتيجيات الافسادية الاضلالية الطاغوتية ، فقتالهم أيضاً فى سبيل الطاغوت ، أما الذين آمنوا من الجن ومن الانس فيقاتلون – كل نوع فى عالمه – فى سبيل الله أى لنشر هديه ودينه وترسيخ نجد الخير وسبيل العدل والسلام ضد جنود الشيطان .

فالطاغوت هو الأهداف أو الغايات أو الاستراتيجيات النابعة من الذات الإبليسية الدجالية المتوحدة أى من الذات الطاغوتية . فمن يقاتل فى سبيل هذه الاستراتيجيات فهو يقاتل فى سبيل الطاغوت . وبعد أن قررت الآية هذه الحقيقة التاريخية الهامة من حقائق الصراع التاريخى بين البشر ، أمر الله عز وجل المؤمنين بقوله ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء/ ٦٧ » فما الحكمة من قوله ﴿

أولياء الشيطان ﴾ وماالحكمة إذ لم يقل ﴿ أولياء الطاغوت ﴾ ؟!

لأن الكفرة من الجن عند قتالهم لمؤمنى الجن والكفرة من الانس عند قتالهم لمؤمنى الإنس ، كل فى عالمه ، يقاتلون جميعاً فى سبيل غاية واحدة مشتركة بين إبليس والدجال وهى تعميم الشرك وعبادة غير الله عز وجل أى الطاغوت الذى تطاول ليكون معبوداً من الإنس والجن من دون الله عز وجل وهو حلم إبليس الجنى وحلم إبليس الإنسى (الدجال) فهما حلمان فى ذات واحدة هى الطاغوت ، وذاتان شيطانيتان يوحدهما غاية قصوى واحدة هى التأله ، أما قوله تعالى ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان** ﴾ لأن الولاية تقتضى الدخول فى طاعة الولى ، والتعامل المباشر معه من خلال الخضوع له والسمع والطاعة ، وتعامل كفرة الانس المباشر مع شيطان الإنس الأول الدجال فهو وليهم المباشر ، وتعامل كفرة الجن المباشر لا يكون إلا مع إبليس الذى هو زعيم شياطين الجن ، ومن ثم تكون الآية موجهة لمؤمنى الجن بقتال أولياء إبليس ولمؤمنى الإنس بقتال جيوش الدجال وأعوانه الذين هم أولياؤه فلما انفصلت الولاية بسبب اختلاف النوع، وذِكرَ الشيطان ، لكن لما توحد عدو المؤمنين فى القتال هدفاً وتخطيطاً وغاية علياً من القتال ، فليس إلا الطاغوت .

أما قوله تعالى ﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فلأن هذا الكيد قائم على الخداع والكذب والتغرير أى الدجل من خلال السيطرة على أكثر أجهزة الإعلام فى كل عصر يتم لهم فيه العلو بالإفساد مثل عصرنا ، فإذا ما تصدى المؤمنون [illegible] فإنهم يقاتلون أولياء الشيطان ، ولم يقل قاتلوا أولياء الطاغوت ، لأن ولى الكافرين من الجن إبليس الشيطان الجنى وولى الكافرين من الإنس الدجال أى الشيطان الإنسى ولكل منهما أولياء أى قادة وجنود .

الموضع الرابع : وقد جاء فى قوله تعالى ﴿ **قل يا أهل الكتاب : هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير**

وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ « المائدة / ٥٩ - ٦٠ »

والآية تثبت صلة خاصة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الطاغوت وهذه الصلة مذكورة فى قوله تعالى : **﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾** فما معنى **﴿ عَبَدَ الطاغوت ﴾** قال السيوطى (وأخرج ابن جرير عن بريدة أنه كان يقرؤها **﴿ وعابد الطاغوت ﴾** وهذه القراءة تفسر لنا معنى « عَبَدَ » فى الآية (واخرج بن جرير عن طريق عبد الرحمن بن أبى حماد قال حدثنى الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه قرأ « وعبد الطاغوت » يقول « خدم » قال عبد الرحمن وكان حمزة رحمه الله يقرؤها كذلك) وهذه القراءة وسابقتها تفسران قوله تعالى **﴿ وعبد الطاغوت ﴾** بمعنى أن من بنى إسرائيل فئة طغت فى الكفر حتى صاروا عباداً وخداماً وبطانة للطاغوت وهذا لا يكون إلا بالتلقى عن الطاغوت وطاعته وتنفيذ أوامره لهم ، وليس من معنى للعبادة والخدمة إلا هذا ، أى منهم فئة تؤمن بالطاغوت وتتلقى منه .

ويطرح الذهن هذا السؤال : لماذا خص بعض الكفرة من اليهود وأهل الكتاب بعبادة الطاغوت بقوله **﴿ وجعل منهم ﴾** ؟ أى ليس كل كفرة بنى إسرائيل وإنما فئة منهم صارت خدام الطاغوت ، كما أن فئة منهم صارت قردة وفئة صارت خنازير ؟

لأنه ليس من الواقعى أن يتصل الطاغوت وهو الذات الإبليسية المتلبسة بالذات الدجالية حال تلبسها بجميع كفرة اليهود ، ولا حتى لهذه الفئة ، وإنما الميسور هو إتصاله عن طريق الدجال الإبليسى الإنس بعدد قليل منهم فيتلقون منه الأوامر والتعليمات والبروتوكولات ، فهم البطانة القريبة أو الحلقة الوسطى بين الطاغوت من خلال الطاغوت وبين القيادات الإفسادية المحلية اليهودية أو الإسرائيلية المنتشرة فى الأرض وليس أدل على هذا من قراءة « خدام » الطاغوت الواردة عن يحيى بن وثاب وحمزة . وسنعود إلى تفصيل هذا الموضوع فى مبحث لاحق بإذن الله تعالى ، وإنما نكتفى هنا بالتنويه إلى ما سبق ذكره بأنه يتم إتصال بين الطاغوت وبين الناس لإضلالهم ، ومن الطبيعى أن يكون هذا الإتصال من خلال فئة هى أشد الناس طغياناً وكفراً فى عصرهم .

ولنا أن نسأل أيضاً لماذا كانت العبادة من هذه الفئة للطاغوت ، وليست للشيطان مثل ما ورد فى الآيات الأخرى التى تثبت عبادة الوثنيّن والمشركين للشيطان ؟ لأن كل الكافرين والوثنيّين والمشركين يعبدون الشيطان **﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾** « يس / ٦٠ » لكن هذه الفئة الخاصة جداً من كفرة بنى إسرائيل هم عباد وخدام الطاغوت ، والخدام هم المتصلون إتصالاً مباشراً بمن يخدمونه ، وعى هذا فهذه الفئة هى القيادة الكفرية الإفسادية التنفيذية التى تتلقى الأوامر الطاغوتية تلقياً مباشراً عن الدجال الذى هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت .

ونكتفى هنا للإجابة على هذا السؤال بأن ننقل فصلاً صغيراً من كتاب « وليسم كار » بشرح وتعليق خير الله الطلفاح بعنوان « اليهود وراء كل جريمة » والفصل بعنوان : « النورانيون الرؤوس المدبرة اليهودية العالمية » ، وهو ما يلى :

من المعروف أن حاخامى اليهود يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة فى تفسير ما يسمونه بالمعانى الخفية السرية لكتابات الكتب المقدسة ، وذلك بواسطة إلهام الهى خاص ، !! وليس لهذا الإدعاء أهمية تذكر بحد ذاته .. بيد أن الأمر يختلف إذا أنشئت منظمة خاضعة للحاخاميّين التى يزعمون أنها وحى إلهى ! وهكذا إئتمر عدد من كبار حاخامى الكنيس اليهودى وكبار المرابين ورؤس اليهودية العالمية وقرروا تأسيس مجمع سرى يعمل على تحقيق أغراضهم أسموه « المحْفل النورانى » .. وقد أشتقت كلمة النورانى من الميثولوچيا اليهودية وبصوره أدق من كلمة « لوسيفر » وهى إسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور)

تعنى كلمة النورانى إذن الشخص الملهم الذى يتلقى النور .. أو بتعبير آخر الشخص ذو الإلهام غير العادى .. ومهمة المجمع النورانى كما نرى هى تنفيذ مشيئة كبار أحبار الكنيس اليهودى هذه المشيئة التى يزعمون أنها وحى نورانى ، وقد حدد عدد أعضائه بثلاثة عشر عضواً يعتبرهم الكنيس اليهودى الهيئة التنفيذية للمجلس الأعلى : مجلس الثلاثة والثلاثين أما هذا المجلس الأخير فإن أستاراً كثيفة من الغموض والصمت تُخيّم

عليه .

لم يكن تحديد عدد أعضاء المجمع اليهودى بثلاثة عشر عضواً عبثاً دون طائل ، بل كان أمراً ذا دلالة عميقة .. فلقد أختار المجمع هذا العدد حتى يُذكّر أعضاءه دوماً وأبداً أن هدفهم تدمير الديانة المسيحية .. الديانة التى أتى بها السيد المسيح والحواريون الأثنا عشر . وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأول ، وهو أن عدد أسباط بنى إسرائيل ثلاثة عشر .. ربما كان الهدف تمثيل كل الأسباط فى المحْفل النورانى .

تبَنّى النورانيُّون طقوساً خاصة تضمن لهم الحفاظ على سريتهم وتقضى على إحتمال أى خيانة من نوع خيانة يهوذا للسيد المسيح وتكفل هذه الطقوس تعهد كل من يضمه النورانيون إلى صفوفهم بالخضوع المطلق الاشمل لرئيس مجلس الثلاثة والثلاثين والاعتراف بمشيئته العليا التى لا تفوقها أى مشيئة أخرى على الأرض كائنة ما كانت أليس صاحب هذه المشيئة هو ربهم الأعلى ، وأليس خضوعهم الشامل المطلق له هى العبودية له . ؟؟

فَمَنْ يكون رئيس هذا المجلس صاحب المشيئة العليا سوى الدجال أو الشيطان البشرى الأول ، حلقة الوصل بين هذا المجلس وبين الطاغوت أى بينه وبين القيادة الإبليسية الدجالية الموحدة أما الدليل على أن النورانيّين الثلاثة والثلاثين يتلقون من الطاغوت أى من خلال الذات الموحدة بين الدجال وإبليس فهو ماجاء فى هذا النص عن (المحْفل النورانى) والاسم المشتق من كلمة (لوسيفر) وهى اسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور) وتعنى هذه العبارة أن الدجال هو الحامل البشرى لما يتلقاه من الطاغوت أى الذات الموحدة منهما وليس كما يفهم البعض ما يتلقاه الدجال من إبليس ، ولعل الترجمة الدقيقة لاسم لوسيفر هى الطاغوت وليس الشيطان « لأنه من المعلوم أن ترجمة لفظ الشيطان هى غير هذا » ، ولما كان العمل الدجالى قائم على الكذب فقد أطلقوا على إنتاج الطاغوت الظلامى نوراً كذباً وبهتاناً ، وإلا فماذا يطلقون على ثمرة هذا التوحد الشيطانى الخبيث ؟!

هذا المجلس الذى صار أعضاؤه بطانة من كفرة بنى إسرائيل للطاغوت ، كما أخبرنا بهذا رب العالمين سبحانه ، كان له - أى لهذا المجلس - نظير يقوم بوظيفته فى كل عصر منذ نوح ، إلى عهد الإفساد الأخير فى تاريخ البشرية من كفرة بنى إسرائيل بنص القرآن الكريم فهم الذين علا بهم الطاغوت بالافساد فى الأرض علواً كبيراً ، هذا هو الطاغوت وهؤلاء هم عبدته وخدامه كنيس الشيطان .

وإذا تتبعنا تاريخ البشرية من خلال تاريخ الأنبياء لوجدنا فى عصر كل نبى مجلساً مثل هذا المجلس المعاصر هو بطانة وعباد وخدام الطاغوت أو هو حسب تسمية المسيح بن مريم عليهما السلام له كنيس الشيطان وهذا ما ستقرأ الدليل عليه فى الموضع الخامس الذى ورد فيه ذكر الطاغوت .

الموضع الخامس :

قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ « النحل / ٣٦ » وهذه الآية الكريمة هى الأصل القرآنى لكل الأحاديث التى أخبر فيها النبى ﷺ أنه ما من نبى إلا وقد أنذر قومه الدجال ، فإذا علمنا أنه ما من نبى إلا وقد حذر قومه أيضاً من الشيطان ، فإن حصيلة هذا التحذير للإثنين يكون تحذيراً من الطاغوت الذى هو الحالة الجامعة بين الدجال وإبليس الجنى ، ومن ثم أخبر تعالى فى هذه الآية أنه ما من أمة وإلا قد بعث فيها رسولاً يأمرهم أن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا عبادة الطاغوت فافترقوا فريقين : الأول وهم الذين آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت وهم الذين هداهم الله عز وجل ، والفريق الآخر الذين حقت عليهم الضلالة فكذبوا فكان مصيرهم الدمار والاستئصال ومن ثم أمر رب العالمين فى آخر الآية الناس بالسير فى الأرض لدراسة آثار الغابرين وليعلموا كيف كانت عاقبتهم بعذاب الاستئصال ، فأتباع الطاغوت وخدامه وسدنته المتعاملون معه مباشرة ، همْ والذين يطيعونهم دائماً مصيرهم الإستئصال من الأرض فى الحياة الدنيا والخلود فى جهنم فى الآخرة .

والمستنبط من هذه الآية الكريمة ما يلى : -

١ - ثبت أن كل رسول حذر أمته الطاغوت وهذا .. يتضمن التحذير من الشيطان الجنى والشيطان الإنسى الذى هو الدجال لأن التحذير منهما متحدّين يتضمن التحذير من كل واحد منهما على حدة .

٢ - تثبت هذه الآية أيضاً أن الطاغوت معاصرة لكل رسول منذ نوح إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم جميعاً ، ومن ثم يكون هذا دليلاً على أن الدجال معاصر لكل رسول منذ نوح ، ومن ثم تصبح هذه الآية دليلاً جديداً على أن الدجال الذى حذر كل نبى قومه منه هو قابيل .

٣ - تثبت هذه الآية أيضاً أن أثر الطاغوت مستمر عبر العصور الإنسانية كلها منذ البدء إلى آخر الزمان لأن كل رسول قد أمر أمته اجتناب الطاغوت ، وهذا يفيد أثره المستمر خلال عصور الأنبياء جميعاً وهذه العصور ليست سوى عصور التاريخ البشرى كله ، وحيث لا يعقل عاقل أن يأمر الرسل أممهم بإجتناب خطر غير موجود دل هذا على وجود الطاغوت منذ بدء الدنيا إلى نهايتها . وأكّد (هذا ما هدانا الله تعالى إليه من تفسير للطاغوت) بالنفس تفسير الطاغوت بالنفس الجنية الإبليسية الممتزجة بالنفس البشرية الدجالية وإثبات هذا الفرق بين دلالة اسم الطاغوت ودلالة اسم الشيطان من حيث أن هذا الأخير يصدق على النفس الخبيثة لكل منهما حالة كونها منفصلة عن الأخرى ، وأن الطاغوت اسم يصدق على حالة امتزاج هاتين الخبيثتين فى ذات واحدة تضاعف فيها وتزاوج الشر والخبث والافساد والإجرام فطغى فاستحقت إسم المبالغة الطاغوت .

٤ - يؤكد هذا التفسير للطاغوت أيضاً أمران :

أنها تملأ الدنيا بشرورها فى شكل عقائد الحادية وشركية ووثنية متمثلة فى أصنام وأوثان ومذاهب وفلسفات وأفكار ودعوات حاقدة هدامة لكل ما هو خير وحق وسلام فى

الأرض . ومتمثلة أيضاً فى شهوات وأطماع وأهواء مباحة ومتمثلة فى كل رذيلة من السلوك وفى جميع أشكال وأنواع وكيفيات الفساد ومتمثلة بعد هذا كله فى منظمات سرية وعلنية ومؤسسات علمية ودينية وعسكرية وسياسية وإقتصادية ومالية وإعلامية وإجتماعية وقضائية تنشر الكفر والفساد وترسخه وتحميه بآليات قانونية ترسخه حتى تجعل الظلام نوراً والنور ظلاماً وتجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً والشر خيراً والخير شراً والباطل حقاً والحق باطلاً والفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة والمنكر معروفاً والمعروف منكراً . وهذا هو إخراج الناس من النور إلى الظلمات الذى هو الغاية الاستراتيجية للطاغوت فى كل تاريخ الإنسانية

هذه الأحوال الطاغوتية تشكل منهج حياة بشرية كامل متكامل من الظلام والشر والمنكر فى جميع المناحى المعيشية الجاهلية التى هى من صنع الطاغوت . والمسلم الموحد عليه لكى يتم نوره ويكمل إيمانه أن يجتنب الطاغوت فى كل منحى من مناحى حياته ويبتعد عنها فى كل جانب من جوانب المعيشة بتقوى الله تعالى وتوخى ما يرضيه سبحانه بإتباع أوامره وإجتناب نواهيه لأن أوامر الله عز وجل هى بالضبط نواهى الطاغوت ونواهى الطاغوت هى أو أمر الله عز وجل ، ومن ثم فإجتناب الطاغوت يعنى إجتناب شريعته ومنهاج حياته ، وإجتناب عبادته يعنى إجتناب طاعته فى معصية الله .

فالقسم الأول الرئيسى من التوحيد القلبى الإعتقادى هو نفى الألوهية عن غير الله عز وجل ، وهو هو الكفر بالطاغوت ، أما القسم الرئيسى الثانى من التوحيد فهو إثبات الألوهية لله تعالى وحده وهو هو الإيمان به رباً وإلهاً واحداً ، وهذا الثانى لا يتم إلا بعد تمام الأول وهو الكفر بالطاغوت لذلك قال ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ...** ﴾ ولم يقل « فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغـــوت » فلأن هذا فى مجال الاعتقاد القلبى وجب طرد الطاغوت من قلب الموحد وتنظيف وتطهير لبه وفؤاده من آثاره النجسة حتى يتم له الإيمان بالله وحده قلـبياً أيضاً .

أما قوله تعالى ﴿ .. **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فهو يخص الأمر بالتوحيد

العملى السلوكى والقسم الأول منه هو عبادة الله وحده ، أما القسم الثانى منه فهو المتمثل فى إجتناب عبادة الطاغوت ، والأمر باجتناب الطاغوت غير الأمر بالكفر بالطاغوت ، وهو دليل على أنها تقعد للعبد طريق الله المستقيم ، ولا يتم للعبد التوحيد العملى السلوكى إلا باجتناب الطريق الذى تقعد له فيه بالميل عنه إلى الطريق الذى لا وجود لها فيه ، وليس ثمّ طريق ليس للطاغوت وجود فيه إلا الصراط المستقيم ، ومن ثم يلزم لتمام إسلام العبد أن يكفر بها ويؤمن بالله إعتقاداً أولاً ، ثم يعبد الله تعالى وحده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بالميل عن طريقها ثانياً . ومن ثم تقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وحده فى آية البقرة ، وتقدم ذكر عبادة الله تعالى على تجنب عبادة الطاغوت فى آية النمل وهذا ما كان من سيدنا إبراهيم ﷺ إذ حَنَفَ عنها جميعاً أى مال عن طريقها إلى صراط الله المستقيم بعد أن نظر فى جميع الطرق والأديان والعبادات والعقائد الموجودة فى الأرض فى عصره فوجد الطاغوت تقعد فيها جميعاً حاجبة لصراط الله المستقيم فقال مائلاً عنها ﴿ **إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ « الأنعام / ٧٩ »

فالحنيفية هى الميل ومعناها فى هذه الآية وغيرها من الآيات التى وردت فيها هو الميل عن الطاغوت وإجتناب طرقها إلى طريق الله المستقيم ولم يكن هذا من سيدنا وأبينا إبراهيم ﷺ فقط ، بل كان هذا منهج كل نبى ورسول بدءاً من نوح إلى خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ ، إذ ما بعث الله من نبى أو رسول إلا وتكون الطاغوت قد عم شرها الأرض حتى يمكن القول أنه لم يُبعث رسول من الرسل فى أى عصر من عصور البشرية إلا وقد أفسدت الطاغوت فى الحياة الإنسانية كل ما يحمل الخير من دين أو ملة أو عقيدة أو خلق أو نظام أو سلوك أو عادة أو عرف ومن ثم يلزم الكفر بهذا كله أولاً لذا قال تعالى ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ « محمد / ١٩» وقال تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله** ﴾ « البقرة / ٢٥٦ » ، وقال تعالى ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** ﴾ « الكافرون / ١ ، ٢ » فنفى الألوهية عن كل ما سوى

الله نفى لها عن الطاغوت والكفر بالطاغوت سبق الإيمان بالله تعالى والإعلان عن ترك عبادة ما يعبد الكافرون هو تبرؤ وإعلان عن رفض عبادة الطاغوت فلا يصح توحيد العبد ولا يكمل إسلامه إلا باجتناب الطاغوت لقوله تعالى ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...** ﴾ الذى يدل على إن كل إنسان لابد أن يبتلى بالطاغوت التى تقعد له صراط الله المستقيم كما توعد إبليس الناس فيما قصه الله تعالى عنه فى القرآن بقوله سبحانه تعالى ﴿ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾ « الأعراف / ١١ - ١٨ » والشاهد الذى نريده فى هذا السياق هو قول إبليس لربه عز وجل متوعداً الناس ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ أى سيكون فى طريقهم كلما توجهوا إلى الله بالطاعة ليحرفهم عنها إلى المعصية وهذا هو تفسير الأمر باجتناب الطاغوت التى هى دائماً العقبة أمام العبد فى الطريق إلى الله عز وجل . ومن ثم لا يتحقق التوحيد فى قلب المسلم إلا إذا كفر بالطاغوت إعتقاداً وتجنّبها فى طريقه إلى الله عز وجل سلوكاً وفعلاً وهذا هو موضوع الآية السادسة التى ورد فيها ذكر الطاغوت .

الموضع السادس :

قال تعالى ﴿ **قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ، ومن تحتهم ظلل ، ذلك يُخوّف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين إتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها**

الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ « الزمر / ١١ – ٢٠ »

فانظر إلى أمر الله عز وجل لرسوله ﷺ ومن ثم لسائر المؤمنين بعبادة الله تعالى مخلصين له الدين ، أى مفردين إياه بالخضوع والطاعة ، وأمره للرسول ﷺ أن يكون أول المسلمين ، فالإسلام لله إفراده بالخضوع والطاعة ، فإن لم يكن هذا ميسُوراً لعامة الناس بالكلية بإعتبار أن كل بنى آدم خطاء ، فإن أقل ما يوجبه الإسلام على العبد لكى يكون مسلماً أن يقر بوجوب إفراد الله بالطاعة وبوجوب الكفر بالطاغوت وبوجوب معصيته وتجنب عبادته أى رفض طاعته والإمتناع عن السير فى سبله الضالة وهو أمر ميسور لكل إنسان ، لأن الاعتقاد بوجوب معصية الطاغوت ووجوب طاعة الله أمر قلبى فى وسع كل نفس ومن ثم أمر الله نبيه أن يخبر الناس جميعاً بأنه يخاف عذاب يوم عظيم أى يخاف عذابه إن هو عصى ربه عز وجل ، ويخبرهم بأنه لم ولن يعبد إلا الله مخلصاً له الخضوع والطاعة فلا يطيع غيره فى معصيته سبحانه وتعالى ، أما أنتم أيها الكافرون : فاعبدوا ما شئتم من دون الله عز وجل لأن الله تعالى قد خيَّركم فى هذه الحياة الدنيا لإبتلائكم **﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾** فما عبد مشركٌ مع الله عز وجل شريكا – فى واقع الحال إلا الطاغوت الذى هو نفس خبيثة مزيج من الشيطان الإبليسى ومن الشيطان الدّجالى .

أما المعبود المادى أو المعنوى المعلن الظاهرى شمساً كان أم قمراً ، ونجماً كان أم شجراً ونهراً كان أم صنماً وعجلاً كان أم بقراً وكاهناً كان أم ساحراً وأميراً كان أم ملكاً وجناً كان أم بشراً فهذا وذاك كله ليس سوى القناع الذى تخفى الطاغوت وجهها خلفه ، وهؤلاءالمشركون هم حزب الشيطان وهم الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة لأتباعهم سبل الطاغوت أما حزب الله فهم الذين **﴿ اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله ﴾** فهم الفائزون يوم القيامة بدار النعيم والسلام ، فالصلة بين قوله تعالى **﴿ اعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ وبين قوله تعالى بعد ذلك ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾** شرط أول للمؤمنين الفائزين بالجنة ، هذه الصلة واضحة جلية إذ أن كل

ما يعبده المشركون من معبودات زائفة باطلة ما هى إلا أقنعة للطاغوت ، فكأن المعنـــى : ﴿ **اعبدوا ما شئتم من دونه** ﴾ فأى معبود باطل عبدتم هو عبادة للطاغوت الذى آمركم بالكفر به .

والهاء تعود على الطاغوت إذ الطاغوت فى هذه الآية اسم مؤنث وليس مذكراً وهو ما يؤكد تفسيرى للطاغوت بأنه النفس الجنية الإبليسية حالة امتزاجها وتوحدها وتلبسها بالنفس البشرية الدجالية ، وكلاهما ذات خبيثة نجسة مستعلية عن عبادة الله عز وجل مشرأبة بعنقها نحو التأله ، وحيث أن النفس أو الذات لفظ مؤنث ، فمن ثم قال تعالى ﴿ أن يعبدوها ﴾ ولم يقل « أن يعبدوه » فلو كان الطاغوت هو إبليس الشيطان الجنى وحده بدلالة المطابقة لقال « أن يعبدوه » ولو كان يدل بدلالة المطابقة على الدجال الشيطان الأنسى وحده لقال أيضاً « أن يعبدوه » لأن لفظ الشيطان مذكر ولفظ الدجال مذكر ومن ثم فذكر الطاغوت بالتأنيث دليل لغوى جديد على أن الطاغوت هو الذات الجامعة بينهما وهى الآثار الناجمة عن هذه القيادة المتوحدة والتخطيط المشترك للغاية الإفسادية الواحدة ومن ثم جاء الطاغوت مؤنثاً بإعتبار المقدر المحذوف وهو نفس أو ذات الطاغوت .

وهذا لا يتعارض مع ورود لفظ الطاغوت مذكراً فى موضع سابق ، إذ يكون بمعنى الحكم والنظام والقانون والأمر ، كما فى قوله ﴿ .. **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ « النساء / ٦٠ » فقال ﴿ **أن يكفروا به** ﴾ ولم يقل « أن يكفروا بها » .

ومن ثم يكون لفظ الطاغوت قد ورد فى القرآن بصيغة المذكر وبصيغة المؤنث ، وكذلك ورد بصيغة المفرد فى قوله تعالى ﴿ **أن يكفروا به** .. ﴾ وورد بصيغة الجمع فى قوله تعالى ﴿ .. **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** .. ﴾ « البقرة / ٢٥٧ » فقوله ﴿ **يخرجونهم** ﴾ يدل على أن الطاغوت جمع ، وليس لهذا من تفسير إلا أنه يكون مفرداً حالة توحده ، ويكون جمعاً حالة تفرقه حسب تفسيرى للطاغوت إذ يكونوا ثلاثة هذا التفسير الذى بدونه لا تجد حلاً لهذا اللغز

المطلسم باسم الطاغوت الذى ورد فى الكتاب العزيز والذكر الحكيم للدلالة على مصدر الشر والظلمات فى الأرض ، هذا الذى من خصائصه أنه جمع ومفرد وأنه مذكر ومؤنث ، وليس هذا لكائن إلا للطاغوت .

الفصل الرابع عشر

الجبت وصلته بالطاغوت

الجبت ثالث الثالوث النجس :

علمنا أن شيطان الجن الأول إبليس لعنه الله هو الجانب الباطنى الخفى الخبيث للطاغوت فى عالم الإنس ، وأن شيطان الإنس الأول قابيل لعنه الله هو الجانب الظاهر المرئى للطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فإن للطاغوت فى كل عصر بطانة هى خلاصة شر البرية ، وأن بطانة الفساد والإفساد هذه إتخذها الطاغوت فى العصور الأخيرة من بنى إسرائيل .

وحيث قد علمنا أن الشر والإفساد متبادل بين شيطان الجن الأول وشيطان الإنس الأول مجتمعين من خلال هذه الذات المستكبرة المتألهة النجسة التى هى ذات الطاغوت ، فإن الشر الوارد من شيطان الإنس إلى عالم الجن عبر الطاغوت ربما يكون أعظم من الشر والإفساد الواردين من شيطان الجن إبليس إلى عالم الإنس عبر الطاغوت .

كيف وإبليس هو أول كافر فى الوجود ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول للتذكرة ما سبق قوله من أن إبليس هو الشيطان الجنى معرفاً بالألف واللام والدجال أو قابيل هو الشيطان الإنسى معرفاً بالألف واللام . وقد وصف الله عز وجل كيد الشيطان بأنه ضعيف بقوله ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فلم يقل سبحانه إن كيد الطاغوت كان ضعيفاً لإنه إجتماع الشيطانين . أما كيد الشيطان الواحد منهما منفصلاً عن الآخر فهو ضعيف ، وهذا يفسر لنا كيف أن إبليس وحده هو وجميع جنوده من شياطين الجن لا يمكنهم أن يشنوا حرباً بجيش على فئة قليلة من المؤمنين فيقتلون منهم ، وإنما يكون الاستفزاز والجلب على المؤمنين بالجيوش الجرارة مشاة وركباناً من خلال صوت إبليس البشرى فى عالم الانس ألا وهو المسيح الدجال الشيطان الانسى .

كذلك للشيطان الانسى هذا تأثير إفسادى خطير فى عالم الجن من خلال الطاغوت لأنه نبع الإضلال العقدى الفكرى ، وذلك لأن عالم الجن ، كما دلت على هذا

النصوص والآثار يأخذ العقيدة والدين والفكر من عالم الانس وليس العكس ، فكما أن الرسل المبعوثين للجن هم رسل الإنس ، وليس العكس ، فإن فلاسفة الضلالة ومنظرى الكفر والشركيات هم أيضاً من عالم الإنس ، فالجن تابع للإنس فى الهدى أو الضلال ولذلك أثبت القرآن الكريم على لسان الجن ، أن منهم اليهود الذين يعرفون التوراة وموسى ومنهم الذين أسلموا لما سمعوا القرآن الكريم حسب ماجاء فى سورة الجن وكفروا بديانه التثليث النصرانية بقوله تعالى ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً** ﴾ « الجن / ١ – ٥ » فتدبر قولهم لما سمعوا القرآن الكريم مسلّمين بأن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، لتعلم أنهم كانوا نصارى أو أن فيهم نصارى ثم تدبر قولهم ﴿ **وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً** ﴾ « الجن / » بتقديم الانس على الجن فى القول على الله الكذب ليتأكد لنا أن الجن يأخذون عقائدهم من الانس الذين يضعون هذه العقائد لهم أولاً ، ثم تتبعهم الجن فيما يدينون به من أديان الضلال ، كما أن الهدى يأتى للانس أولاً عن طريق الرسل فيتبعهم مهتدو الجن أيضاً ، والدليل على أن فى الجن يهودا واسلم منهم من أسلم قوله تعالى ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديْه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم** ﴾ « الأحقاف / ٢٩ – ٣٠ » فالانس هم موردو عقائد الهدى إلى الجن ، وهم أيضاً بالتالى موردو عقائد الضلال ، وهذا من مقتضيات ولوازم تكريم الله تعالى الإنس على الجن بالخلافة ، ولأنه من الثابت تاريخياً أن عقيدة التثليث التى تنسب لله عز وجل الصاحبة والولد هى من نتاج التاريخ أو الفكر الإنسانى ، ومن ثم فوجودها فى عالم الجن مصدرها عالم الإنس من خلال الطاغوت .

أما ما يصدره عالم الجن إلى عالم الإنس عبر الطاغوت فهو يدور حول محور إختفاء الجن عن أعين الإنس فيضلونهم بالتأثير على مخيلتهم ، إذ يتمكن الجن من التغلغل فى الأجهزة السمعية والبصرية والعصبية للإنس فى المنام بأضغاث الأحلام وفى اليقظة بالسحر حتى استطاعوا أن يجعلوا آلاف الناس يخيل إليهم من سحرهم أن الحبال والعصىّ تسعى كأنها حيات وثعابين ، ومن خلال الانتقال السريع للجن بخلاف الانس قبل صناعة وسائل النقل المعاصرة خَدَعَ الطواغيت الإنس بالجن ، بأن أوهموهم بخوارق عادات جعلوها من قبيل معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، فأعمال الكهان والسحرة والمنجمين كلها تتم من خلال الوجه الإنسى للطاغوت الذى عن طريقه تم نشر السحر والكهانة وتعليم الكثير من كفرة الإنس وسائل وأساليب وأدوات الاتصال بالجن والشياطين وإستخدامهم والاستعانة بهم والاستفادة بهم ﴿ **وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ (الجن /) .

هذا كله هو ما يصدره عالم الجن والشّياطين إلى عالم الانس من خلال الوجه الإنسى للطاغوت ، فماذا يكون اسم هذا الوجه منفرداً ؟ إنه الجبت ، فالجبت هو ثالث الثلاثة الأشرار : الشيطان إذا ما أطلق ينصرف لإبليس الجنى ، ثم الجبت وهو اسم للشيْطان الانسى قابيل ولكل ما نشره وعلمه وعممه من وسائل السحر والكهانة والتنجيم الطاغوت فهو الذات الجامعة بين إبليس والجبت .

وهذا الثالوث غالباً هو مصدر عقائد التثليث فى الأرض متحدثاً عن نفسه بإعتباره إلهاً ذا ثلاثة أحوال الأول : الحال الإبليسية الجنية الخفية ، والثانى : الحال الجبتية البشرية الظاهرة والناتج عن تدرع الذات الشيطانية الخفية الباطنية بجسد بشرى ظاهر مرئى جبتى يتولد من إجتماعهما معاً .

الحال الثالث وهو الطاغوت التى هى النبع الأول للإلحاد وهى الطاغوت الأول أو الرئيس لكل الطواغيت والمصدر الأساسى لوجودها فى الأرض بأمر الله وقدره سبحانه وتعالى .

وليس هذا مجرد استنباط شخصى بل تدعمه الآثار الواردة عن المفسرين فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتو نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ « النساء/ ٥١ » ما رواه السيوطى فى الدر المنثور (عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الجبت الساحر والطاغوت الشيطان) قلت : نعم الطاغوت الشيطان الانسى والجنى متحدين ، أما الجبت فهو همزة الوصل بين شياطين الجن وشياطين الإنس وتسخيرهما لبعضهم البعض بالسحر .

وأخرج بن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم (عن ابن عباس قال الجبت : الأصنام والطاغوت الذى يكون بين يدىْ الأصنام) قلت : لأن لكل صنم شيطان جنى يتعامل بالسحر مع شيطان إنسى هو السادن ، وكلاهما معاً طاغوت وأخرج بن حميد (عن عكرمة قال : الجبت الشيطان بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يمده بالغيبيات وأحكام الطاغوت ، فهو وشيطانه طاغوت ، وعمله من الجبت . وأخرج ابن جرير (عن سعيد بن جبير قال : الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) .

قلت السحر عنصر رئيسى فى مفهوم الجبت ، ولكن ثَمَّ فرق بين السحر والجبت ، إذ كل جبت سحر ، وليس كل سحر جبت ، كما سنرى هذا بعد .

وأخرج (عن قتادة قال كنا نحدث أن الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن) قلت : أن السحر عمل الجن فى عالم البشر ، ورأس هذا العمل ومنبعه الشيطان الجنى من خلال الشيطان الانسى وهما جبت من هذا الوجه ، وأخرج عبد الرازق وغيره عن قبيصه بن مخارق أنه سمع النبى ﷺ يقول : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) أى للجبت أعمال مضلة أخرى فى عالم البشر كلها تقوم على محور واحد وهو استخدام الجن بالسحر ووسائل غيبية أخرى للإفساد فى حياة الناس ، هذا ما قاله المفسرون عن الجبت والطاغوت مختلفين حولهما فى أمور ومتفقين فى أمور . لكن إذا علمنا أنه ليس من لفظ قرآنى يحل محل الآخر ، فلا بد من أن يكون الجبت غير السحر وغير الكهانة وغير

الطاغوت وغير الشيطان وغير إبليس .

فأما الذين فسروا الجبت بالسحر والكهانة والشيطان فقد قربوا المعنى ولم يحددوه التحديد العلمى الدقيق الذى يتضمن بيان الفروق بينه وبين الشيطان من جهة وبينه وبين الطاغوت من جهة ثانية وبينه وبين الدجال من جهة ثالثة .

يدل على هذا أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ، وليست كلها أو إحداها الجبت كما يدل على هذا الحديث الشريف ، ومن ثم يصح القول أن للجبت أعمال فى حياة الناس أو مناهج تضليل سلوكية عملية منها هذه الثلاثة وهى من أعمال الكهان وبناء على ما سبق نقول إن أعمال الكهان والسحرة والعرافين والمنجمين والسدنة وكل ما هو طاغوتى من الجبت .. ومن ثم يلزمنا بيان الفرق بين الجبت والطاغوت .

ولبيان هذا الفرق وبناء على ما سبق نقول : إن اسم إبليس يدل على المخلوق الجنى الذى إستحق أول لعنة من الثقلين فى الوجود ، والشيطان هو الاسم الوصفى الذى إستحقه هذا المخلوق ، بعد أن كفر وأصر على الكفر وتحول إلى أول داعى جنى للكفر والضلالة فى عالم الابتلاء ، ومن ثم صار إبليس الجنى حلقة الوصل بين الطاغوت وشياطين الجن .

وقابيل هو أول مخلوق آدمى كفر مع الإصرار على الكفر فاستحق اللعنة الأبدية فكان الإبليس الأول فى الوجود البشرى وصار هو الشيطان الانسى وقرينه هو الشيطان الجنى إبليس ، ومن ثم صار قابيل اللعين حلقة الوصل بين الطاغوت وعالم شياطين الانس الذين هم جنوده وأتباعه ، فعلمهم السحر ونشره بينهم إذ ليس السحر إلا استخدام الجن لتحقيق أهداف خبيثة فى عالم الانس ، بناء على تشريعات طاغوتية نافذة فى عالم الأبالسة والشياطين إنساً وجناً .

فقابيل اللعين الخاسر هو الشيطان الانسى وهذا هو الاسم الوصفى له أما اسمه العَلَمِى الذى يعرف به بين الناس فهو مختلف من عصر إلى عصر ومن عهد نبى إلى

عهد نبى آخر واسمه الوصفى فى إنجيل سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهماالصلاة والسلام المسيح الكاذب وأطلق عليه خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ اسم « المسيح الدجال » لكن اسمه الدائم الذى حمله منذ القدم وأطلقه الله تعالى عليه فى القرآن الكريم هو الجبت .. لكن الجبت ليس علّماً عليه فقط ، بل ايضا على أسلوب عمله ومنهج حياته الذى يمزج فيه بين استخدام العلم والسحر وأعمال الطاغوت .

فالجبت اسم للنصف البشرى للطاغوت تميزاً له عن إبليس النصف الجنى منه ، لأن فى هذا الاسم بياناً لأسلوبه ومنهجه فى الاضلال الذى يعتمد على استخدام خوارق السنن الطبيعية والحياتية والانسانية ليناهض بها معجزات الرسل وكرامات الانبياء والأولياء ليلبس الحق بالباطل إضلالاً للناس حتى يخرجهم من النور إلى الظلمات مستغلاً فى هذا ميّزة الإختفاء عند الجن والظهور فى صور مختلفة عن صورته التى خلقه الله تعالى عليها لاحداث أفعال شبيهة بمعجزات الانبياء فى الظاهر دون الحقيقة ، وهذا هو السحر والكهانة والعيافة والتنجيم والطيرة التى يتلقاها من الطاغوت ويصدرها إلى عالم الانس .

هذا التخطيط الطاغوتى أنتج آلية شيطانية جنية إنسية من تعاون وتآزر صغار الطواغيت للعمل بحسب قوانين وأنظمة وضعها الطاغوت لاضلال البشر من خلال ما يظهره هؤلاء الطواغيت باعتباره معجزات وكرامات يلبسون بها على الناس باعتبارها أحداث وظواهر وآثار ليس لها علل طبيعية أو أسباب ظاهرة .فيزعمون للناس أنهم أنبياء أو أولياء ومبعوثون من عند الله تعالى ويلبسون عليهم دينهم فيضلونهم ويوقعونهم فى الشرك

هذه الأعمال يقوم بتنفيذها هؤلاء الطواغيت الصغار تنفيذ الأمر الطاغوت الرئيسى وبقيادة تنفيذية للشيطان الانسى أى الدجال الذى حين يزاول هذا العمل بالذات وفق أنظمته الطاغوتية يكون اسمه الجبت ، كما أن هذه الأعمال وما يناظرها هى من الجبت فالجبت ابن الطاغوت ذاتا وأفعالاً . لأن الطاغوت هو إبليس والجبت متحدين والثالوث النجس هذا مكون من اثنين ، كل واحد منهما منفرداً مستقلاً عن الآخر : ابليس والجبت وثالث الثالوث هو الطاغوت المتولد من اتحادهما فى ذات واحدة ، هى أكثر من

كونها مجموع الذاتين الشيطانيتين ، تماماً مثل تفاعل مادة الكلور ومادة الهيدروجين إذ ينتج عنهما مادة حامض الهيدروكلوريك ، وهو شئ جديد تماماً فى خصائصه ومختلف عن مجموع خصائص المادتين وزائد عليهما .

ومن ثم يجوز على سبيل الكناية والتشبيه القول بأن إبليس والجبت يلدا الطاغوت حين يتوحدا ، فهو مولود لهما معا باعتباره ذاتا مختلفة عن ذات كل منهما ، وإلا لمااستحق أن يطلق عليه رب العالمين سبحانه اسماً ثالثاً مغايراً لاسم كل منهما ، فإذا ما انتهت حالة التوحد بينهما ، ولدهما الطاغوت مرة أخرى ذاتين مستقلتين بالإنفلاق مختفيا هو من الوجود كما هو حال الخلية الواحدة التى تتوالد بالإنفلاق حين تصير خليتين فتنعدم على أثر هذه الصيرورة الخلية الأصلية وتختفى من الوجود ، وهكذا كرة بعد كرة كلما توحد إبليس والجبت صارا الذات الطاغوتية الكبرى ، ثم بالإنفلاق يتولد منها الإبليسان : الجنى والإنسى أى إبليس والجبت .

ولكن عند تفرقهما يعود كل منهما بما تولد عن توحدهما الطاغوتى بمخططات الشر التى يحملها إبليس إلى بطانته من الجن ، ويحملها الجبت الدجال إلى بطانته من الانس ، ومن ثم يمكن القول تحديداً بأن ابليس هو خليفة الطاغوت فى الجن ورسوله اليهم الجبت هو خليفة الطاغوت فى الانس ورسوله اليهم .

ولذا نقول أن الله تعالى خلق الانسان خليفة فمن آمن بالله وحده وعبده وحده واجتهد فى طاعته وحده ، وسلم بوجوب إقامة شرعه وحده ، فقد جعل نفسه خليفة لله عز وجل ولا يتحقق له هذا إلا بالكفر بالطاغوت .

أما من كفر بالله وآمن بالطاغوت وأطاعه وأقام مخططاته الافسادية ، وآمن بوجوب إقامتها ، وجاهد فى سبيل إقامتها بهدم دين الله وشرعه ومحاربته فقد جعل نفسه خليفة للجبت الذى هو خليفة للطاغوت ، ومن ثم يكون خليفة للطاغوت عابداً له .

ولما كان عمل الشيطان الانسى أى الدجال تنفيذاً لمخططات الطاغوت قائماً على

التقدم العلمى وعلى استخدام الأمور والأحوال والأسباب الخفية الجنية معا صار اسمه الجبت وصار عمله ومشتقات عمله كلها سحرا وكهانة وغير ذلك من الجبت .

فإبليس يعود بعد انقسام الطاغوت إلى عالمه الجنى بعقائد وأديان وملل وأفكار ومذاهب الشر الطاغوتية ، والجبت يعود إلى عالمه الانسى بمخططات وبرتوكولات وتشريعات وأنظمة وعادات الافساد والشر الطاغوتية ، لأن هذه العقائد والتشريعات الطاغوتية قد تولدت من تفاعل الخبث الإبليسى بالخبث الجبتى . فصار كل شيطان فى ذاته حين عودته إلى عالمه بمخططات شريرة جديدة يواجه بهذا المرحلة الزمنية فى صراعهم ضد حزب الله بعد كل حالة توحد طاغوتية ، أقول يكون كل شيطان فى ذاته بما يحمله من تعليمات طاغوتية جديدة بمثابة الابن للطاغوت فهو ثالوث : أب وابنان وولاده ، انه الثالوث النجس . وما فى الكون من ثالوث معبود إلا هذا الثالوث النجس .

ثم إذا عادا وامتزجا وتوحدا فى ذات شريرة واحدة طاغوتية فى الاستكبار والشر صار الطاغوت مولوداً لهذا التوحد باعتباره فى هذه الحالة ذاتاً ثالثة متولدة عنهما معا .

فالطاغوت باعتباره ذاتاً طاغية فى الشر متولدة عن توحيد الشيطانين ، والطاغوت باعتباره عقائد وملل وأنظمة شريرة غايتها العليا تعبيد الانس والجن له هو الأب الذى يصدر عنه الذات الابليسية والذات الجنية وكلاهما حامل لهذه العقائد الالحادية والأنظمة الإفسادية إلى بنى جنسه .

لذلك اختلط الامر عند المفسرين ، ففسروا الجبت بالشيطان ، والشيطان بالجبت والطاغوت بالشيطان ، والشيطان بالطاغوت ، وفسروا السحر بالجبت ، والجبت بالسحر وهكذا غاب عن تفسيرهم بيان الفروق الدقيقة بين هذه الأسماء والفروق بين مدلول كل منهما وما يصدق على كل واحد منها والصلات القائمة بين كل واحد منها وبين الأخريات ، وما هذا الخلط إلا لعدم التميز بين حالة التوحد وحالة الانفصام الطاغوتيتين ولعدم التمييز من ناحية أخرى بين الشيطان الجنى إبليس والشيطان الانسى قابيل أو الدجال ولعدم التمييز من ناحية ثالثة بين عمل هذا الأخير من خلال السنن والقوانين

الطبيعية أى العمل بالعلم والتكنولوجيا وبين عمله من خلال قوى الجن الخفية أى العمل بالسحر والكهانة والتنجيم وغير ذلك ؛ لأنه لا يعمل لتحقيق المخططات الطاغوتية الافسادية بالعلم والتقنيات والأسباب الطبيعية والصناعية فقط ، بل يضيف إليها ويخلط معها ويمزج بها العمل بالقوى الجنية الخفية ملبساً هذا بذاك إمعاناً فى إضلال البشر لاخراجهم من النور إلى الظلمات .

هذا الخلط بين العمل بمقتضى العلم والتكنولوجيا والتقدم الصناعى وتسخير قوى الطبيعة بهما مخلوطاً وممتزجاً بالعمل بقوى الجن الخفية وبصفة خاصة السحر حتى يصعب على المرء التفريق بينهما هو الذى جاء التعبير عنه - والله تعالى أعلى وأعلم - باسم « الجبت » .

ومن ثم استحق شيطان الانس القائم على المؤسسة الناشرة لهذا الاسلوب الحضارى الخبيث اسم الجبت ، كما إستحقت هذه الصبغة الحضارية التى سادت فى بعض الفترات الفرعونية من تاريخ مصر القديمة أن تسمى أيضاً بالقبط ولعلها الاصل فى اسم مصر فى القديم الذى صار فى اللغة اللاتينية التى هى أصل اللغات الأوربية إيجيبت .

يؤكد هذا ما ثبت عن الفراعنة فى القرآن الكريم وبما اشتهر عن علم الآثار المصرية القديمة أن الحضارة الفرعونية قامت فى كثير من فتراتها على السحر وقول المفسرين بأن الجبت هو السحر يشير بل يصلح قرينة قوية للقول بأن لفظ القبط أصله لفظ الجبت وأن إيمان بعض بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت يفيد تصديقهم بربوبية الطاغوت الذى هو بمثابة الأب وتلقيهم أمره من خلال الجبت الذى هو بمثابة الابن وإيمانهم من ثم بألوهيته التى يعملون على نشرها من خلال الجبت لكى يصبح معبوداً يزعم فى أول خروجه بأنه المسيح بن الإله ثم يزعم أنه الأله وإلهاً بين البشر كما ورد هذا فى الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ مخبراً به .

يؤكد هذا أن إسم مصر باللاتينية إيجبت يدل على صلة لفظ الجبت بالحضارة الفرعونية القديمة القائمة على السحر الذى كان ولا زال الدجال هو المصدّر له من عالم

شياطين الجن إلى عالم الانس بإعتباره الحلقة الوسطى بين الطاغوت وأتباعه من سحرة الإنس .

ومن ثم صار بمقتضى هذه الوظيفة حاملاً لاسم الجبت .

كما جاء فى سياقين من السياقات التى ورد فيها ذكر الجبت والطاغوت إثبات العلاقة الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الجبت والطاغوت .

لقد جاء فى سياقين من السياقات القرآنية التى ورد فيها ذكر الطاغوت وذكر الجبت والطاغوت إثبات العلاقة الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبينهما وهذا هو الأساس القرآنى الذى تقوم عليه العلاقة بين المسيح الدجال واليهود بطانته الذين يعينونه ويطيعون أمره من خلال فئة هى وبينه وبين بطانته من بنى إسرائيل خدام وعبد الطاغوت بخاصة .

إن الطاغوت الذى حذر كل رسول أمته أن يعبدوها هو الذى أفسد قوم نوح حتى إستحقوا الاستئصال بالطوفان ، وتلك هى إفسادة الطاغوت الأولى فى تاريخ البشرية فى أول عهدها وحيث أن للدنيا إنتهاء ، فإن نهاية الطاغوت التى هى آتية لا محالة ستكون فى يوم الوقت المعلوم بمقتل المسيح الدجال الذى هو الجبت وذلك عندما يتحقق وعيد الله بإستئصال الإفسادة الأخيرة فى تاريخ البشرية إذ يكون إستئصال إفسادة الآخرة بمقتل الدجال .

فما هى قصة الإفسادة الأولى التى حققت الجاهلية الاولى فى تاريخ البشرية فى عهد سيدنا نوح عليه السلام ، وما قصة الإفسادة الأخيرة أى إفسادة الآخرة التى يأتى استئصالها على يد جنود محمد ﷺ بقيادة سيدنا عيسى المسيح بن مريم عليهما السـلام ؟

وما هى قصص الإفسادات المتعددة بينهما ؟

ومن الذين يتخذهم الطاغوت فى كل إفسادة بعامة أعواناً وجنداً وبطانة له لتحقيقها ؟

ومن هم الذين اتخذهم الجبت والطاغوت بطانة للإفسادة الأخيرة المعاصرة ؟

وكيف سيتحقق وعد الآخرة هذا بمقتل الدجال أو الجبت وتدمير الطاغوت ؟

الإجابة على كل هذه الأسئلة هى ما سنعلمه خلال الفصول والمباحث التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده .

الفصل الخامس عشر

الجبت ومخاريقه بين الصدق والكذب

ما هو الجبت ؟ وما الفرق بينه وبين الطاغوت ؟ وما الصلّة بينه وبين الدجال ؟

إذا أردنا أن نستوعب معنى الجبت : المفهوم والماصدق والتفسير الذى يبين الصلة بينه وبين الطاغوت من جهة وبينه وبين الشيطان من جهة أخرى ، ثم بيان الفروق التى بينه وبين كل منهما أيضاً ، فعلينا أن نبدأ بالتفسير اللغوى .

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (جبت : الجيم والباء والتاء كلمة واحدة . الجبت : الساحر ، ويقال الكاهن) [1] وقوله (كلمة واحدة) أى ليس لها أصل فى العربية وإنما هى وافدة ، ومن ثم ليس لها مشتقات أو تصريفات أخرى ، وتفسير الجبت بالساحر أو الكاهن هو من تأويل المفسرين لكلمة الجبت فى القرآن الكريم وليس من قول العرب .

ويؤكد أنها ليست من العربية ما كتبه ابن منظور فى لسان العرب تحت مادة « جبت » قال (الجبت : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : ، هى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ، ونحو ذلك . الشعبى فى قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ قال : الجبت السحر والطاغوت الشيطان ، وعن ابن عباس : الطاغوت كعب بن الأشرف ، والجبت حى بن أخطب . وفى الحديث (الطِّيرة والعيافة والطرق من الجبت)

(وفى التهذيب عن ابن الأعرابى : الجبت رئيس اليهود والطاغوت رئيس النصارى) .

(قال الجوهرى : وهذا ليس من محض العربية ، لاجتماع الجيم والتاء فى كلمة من غير حرفٍ ذَوْلقى) [1] أى ليست هذه الكلمة عربية .

---

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والخلاصة أن لفظ (الجبت ليس عربياً) وأما ما قيل فيه أنه السحر أو الساحر الكاهن أو رئيس اليهود إنما هو إجتهاد المجتهدين وهو ما يدور حول دلالته وليس هو دلالة المطابقة ، أى أنها من صفات الجبت وخصائصه ، وليس واحداً منها هو الجبت ، وليس شخصاً بعينه هو الجبت ، وإنما هو ممّن يتصفون ببعض صفاته ، أو يقومون ويزاولون بعض أعماله ، كما أن العيافة والطيرة والطرق من أعماله ، وليست هى الجبت كما جاء فى الحديث الشريف .

ويعتبر قول الجوهرى بأن لفظ الجبت ليس من العربية دليل على أنه وافد من خارج الجزيرة العربية ، ويؤكده قول القائل بأنه رئيس اليهود إذ يشير إلى أنه وفد إلى الجزيرة مع هجرة اليهود إليها ويثبت هذا برهانان :

الأول : أن الآية الكريمة تثبت إيمان بعض الذين كفروا من بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت .

الثانى : تفسير بعض السلف الجبت بأنه حُيَّ بن أخطب أحد زعماء اليهود وأشدهم كفراً وعداء لله ولرسوله ﷺ ، هذا علاوة على من فسروه بأنه رئيس اليهود .

لكن بالاضافة إلى إثبات هذه الصلة بين الجبت وبين كفرة اليهود أو رؤسائهم ، يجب أن نضيف إلى معنى الجبت أقوال بعض السلف بأن الجبت هو السحر وهو الساحـــر .

ولقد عرف بنو إسرائيل السحر والسحرة منذ كانوا فى مصر الفرعونية ، وشهدوا أحداث منازلة كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام لسحرة مصر آنئذ ، هؤلاء السحرة الذين لم يعرف فى تاريخ الأمم البائدة أو المعاصرة شعباً فشا فيه السحر وكثر فيه السحرة مثل كثرتهم ومثل شيوعه فى حياة هذا الشعب المصرى القديم فى ظل حكم الفراعنة .

لكن المصريين القدماء لم يعتمدوا فى حياتهم على السحر فحسب ، وإلا لما قامت لهم حضارة لا زالت آثارها المعمارية والعلمية والفنية الباقية ، شاهدة على تقدمهم فى

الفلك والمساحة والكيمياء والطب والهندسة وغير ذلك من مظاهر التقدم العلمى والتقنى فى شتى مناحى الحياة .

وشتان بين التقدم المدنى القائم على أسس علمّية تقنية صناعية وبين المظاهر الحضارية الخادعة التى تقوم على السحر . فماذا كانت صبغة الحضارة الفرعونية القديمة ، وما هو أساس التقدم المدنى والازدهار العمرانى فيها ؟ العلم أم السحر ؟!

الحقيقة أن حياة العلم وتقدمه وازدهاره فى أى حضارة تكمن فى نشره وتعميمه وعدم كتمانه . ومن ثم حذّر رسول الله ﷺ من كتمان العلم حتى ولو كان من العلوم الكونية التجريبية فتوعد كاتم العلم بلجام من نار يوم القيامة بقوله ﷺ « من سئل علماً يعلمه فكتمه أُلجِمَ بلجام من نار يوم القيامة »[1] .

ولما كان العلم فى الحضارة الفرعونية سِرًا لدى الكهان فى المعابد ، مستأثرين إياه لأنفسهم ولأبنائهم ، إذ جعلوا هذه الوظائف والمناصب حكراً عليهم وعلى ذرياتهم بالوراثة ، فقد تحولت العلوم وتطبيقاتها فى نظر العامة نتيجة لهذا إلى أسرار وألفاظ لا يعلمون لها تفسيراً . ومن ثم استخدمها الكهان لتمكين سلطة الفراعنة من ناحية ، ولجمع المغانم الدنيوية وأكل أموال الناس بالباطل من ناحية أخرى ، وحيث أن السحر ليس سوى أحداث هى عبارة عن نتائج تقع أمام المشاهد بغير أسبابها الطبيعية ، فإن العلم المكتوم يمكن أن يحدث نفس الأثر ، لأن أبسط الاختراعات العلمية والتطبيقات التقنية الصناعية تصير أمام نظر المشاهد المحجوب عنه هذه القوانين كالسحر سواء بسواء . مثال هذا الذى يستخدم حجراً مغناطيسياً لتحريك بعض قطع الحديد من خلف حاجز يحجبه عن عين المشاهد فيرى قطع الحديد تسير ذهاباً وإياباً بإشارة من يد هذا المخادع عن بعد ، فيظن المشاهدون أنه يملك قوة غيبية يتحكم بها فى هذه المعادن من غير لمسها ، ومن ثم ليس أمام المشاهدين من تفسير لهذه الظاهرة إلا كلمة السحر . وهذا ليس من السحر ، وإنما هو من العلم ، وما صار فى نظرهم من السحر إلا لجهلهم بهذه

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه

الحقيقة العلمية لخصائص المغناطيس ، فإذا كانت الحضارة الفرعونية قد تقدمت فى كثيرٍ من العلوم ، واكتشفت بعض القوانين الطبيعية والكيماوية والفسيولوجية والفلكية والكونية ، ثم رتّبت على هذه الاكتشافات إختراعات وتقنيات صناعية ، وفى نفس الوقت شددوا على سرية هذه العلوم وعملوا بقوة لكى يظل كل هذا محجوباً عن العامة ومكتوماً باعتباره من أسرار المعبد من خلال نظام مغلق على طبقة الكهنة والفراعنة ومُصانٌ بنظام قانونى صارم قاسى . فإن العلم ونتائجه وتقنياته تصير فى نظر الناس سحراً . كما أن السحر الحقيقى الذى هو تأثير على مخيلة الناظرين حتى يخيل إليهم أنهم يرون العصى والحبال كأنها حيّات تسعى ، يكون فى نظر العامة علماً وتقنية وفناً وبراعة ، لأن الكهنة والحكام لن يعترفوا بأنهم يفعلون ما يفعلون أمام الناس لتصريف شئون حياتهم وعلاجهم وغير ذلك من قبيل السحر ، بل سيزعمون أنهم علماء ، وأن السحر علم ليس فيه خداع أو تضليل أو تخييل .

ومن ثم يمكن القول أن مزاولة السحر إختلطت بتطبيقات العلم ، كما أن تقنيات العلم وتطبيقاته إختلطت بأعمال السحر ، كما تلبس السحر بالعلم ، حتى صار من الصعب ، بل ربما من المستحيل ، التميز بينهما ، كما أن الساحر صار عندهم هو العالم والعالم هو الساحر .

ولا شك أن أعمال الكهنة وما يقدمونه للناس من أمور نافعة أو خادعة فى العلاج أو خلافه كانت مزيجاً من هذا وذاك ، لأن كل ما يراه الناس منهم هو نتائج تظهر بدون أسبابها الطبيعية ، وهذا ما كان يحدثونه بالسحر وبالعلم على حد سواء ، والكهنة يطلقون عليه العلم ، وأعداؤهم يطلقون عليه السحر ، وهو مزيج منهما معاً .

ودليل على ما أقول عن خلط السحر بالعلم هو قول المصريين ، حكاماً ومحكومين ، لموسى عليه الصلاة والسلام متضرعين على أن يرفع الرجس عنهم ، بعد أنزل عليهم الآيات التسع ، وكلها معجزات نبوية شريفة ، لا تتم إلا على يد رسول من عند الله عز وجل ، ولكن حيث أن المعجزات هى أيضاً نتائج تحدث فى عالم البشر الحسى بدون

أسبابها الطبيعية ، ومن ثم فهى من هذا الوجه تبدو أمام الناس كالسحر كما أن السحرة يزاولون هذه الأمور أمام الناس زاعمين أنها معجزات أنبياء أو كرامات أولياء ، لذا فإن المصريين لما خاطبوا موسى عليه الصلاة والسلام لرفع الرجز عنهم خاطبوه بالساحر وليس النبى أو العالم ، وهذا ما أنبأنا الله عز وجل به بقوله تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر أدع لناربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون** ﴾ « الزخرف / ٤٦ - ٥٠ » فانظر إلى قولهم لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون** ﴾ أى أدع لنا ربك أن يرفع عنا العذاب وما قصدوا بطبيعة الحال وهم يرجونه أن يسيئوا إليه بقولهم له ﴿ **يا أيه الساحر** ﴾ بل أرادوا نداءه ودعوته بما هو فى إعتقادهم ثناء عليه ومدح له ، لأن الساحر كانت تعنى العليم ، يؤكد هذا قول أعوان فرعون عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟ قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم** ﴾ « الاعراف / ١٠٩ - ١١٢ » وهكذا وصفوا موسى عليه الصلاة والسلام بأنه ساحر وعليم معاً ، ومن ثم طلبوا أن يجمعوا له من مدن مصر من يجمع بين السحر والعلم أيضاً ، وهذا دليل آخر يدل على أن السحر والعلم كانا ممتزجين فى هذه الحضارة .

وليس هذا إستنباطاً من الآية وإنما هو فهم السلف إذا فسّروا قوله تعالى ﴿ **وقالوا يا أيه الساحر ..** ﴾ بمعنى يا أيها العالم .

إن إمتزاج العلم بالسحر قد بدأ مع بدء الكينونة الطاغوتية التى هى مزج وتفاعل خبيث بين علم الاسماء الانسانى الذى ورثه قابيل اللعين الإبليس الإنسى من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، وبين أساليب الجن الخفية التى مصدرها الإبليس الجنى ، فهما

معاً : السحر والعلم ممتزجان ، وهذا هو الجبت متمثلاً فى أعمال الدجال الامتزاجية العلمية والسحرية الخبيثة فأكثر ما يكون الجبت تمثلاً وظهوراً فى الأسلوب الحضارى والمنحى الحياتى والصبغة الثقافية ، وأهم ما يميز هذا كله اضفاء الشرعية على السحر ، وإعلاءقدره نتيجة مزجه وتلبسه بالعلم بالخلط بينهما ، حتى يصعب أو يستحيل التمييز بينهما ، وهذا كله ما تميزت به بعض عصور الحضارة الفرعونية القديمة وإصطبغت بها ثقافتهم ولنتذكر أن التقنيات العلمية الصناعية فى نظر الجاهلين بها ليست سوى سحراً ، وأن السحر فى نظر الجاهلين بأسراره قد يعتبره البعض فى عصر مثل عصرنا تطبيقات علمية تقنية متقدمة ، وما ذلك إلا لاشتراك المخترعات العلمية التقنية مع الأعمال السحرية فى أن كل منهما يقدم نتائج مجهولة الأسباب للمشاهدين الذين يجهلون أسرار العلم من ناحية وأسرار السحر من ناحية أخرى .

ومن ثم يمكن القول أن الفرق بين الطاغوت والجبت هو أن الطاغوت هو مصدر الجبت ونبعه ، لأن العقل البشرى الدجالى حالة توحده بالعقل الإبليسى الجنى يكون جبتياً ، إذ تمتزج وتتفاعل القوتان العقليتان العلمية والسحرية ، فحالة التوحد حالة طاغوتية ، فإذا ما حدث الانغلاق ، وعاد كل واحد من الشيطانين إلى عالمه لم يرجع إليه بقوته الذاتية فحسب ، بل بقوته وبقوة ما إمتزج معها من قوة الشيطان الآخر ، والمخططات تعتمد على القوتين معاً ، قوة الجن الخفية وقوة علم الأسماء الذى هو أساس العلوم الكونية والتجريبية والطبيعية والتقنية ، فيكون الإبليس الجنى جبتياً فى عالمه مرسلاً من قبل الطاغوت منفذاً لمخططاته وأوامره ، ويكون الإبليس البشرى الدجال جبتياً فى عالمه الانسى مرسلاً أيضاً من قبل الطاغوت .

ذلك أن هذا الأخير يحمل ما يعود به إلى بطانته من الانس الذين علمنا أنهم مجلس مكون من ثلاثة عشر عضواً من كفرة بنى إسرائيل الذين يطلقون على أنفسهم «النوارانيِّين» ويسمونه « لوسيفر » بمعنى « حامل النور » حسب زعمهم ، وهو فى الحقيقة حامل الظلمات ، حسب أسلوبهم فى تسمية المسميات بنقائض أسمائها ، فهى

المخططات والبروتوكولات والتشريعات والمشاريع المقررة عن الحالة الطاغوتية التى تهدف إلى إخراج الناس من النور إلى الظلمات مثل « برتوكولات صهيون » ، وعلى هذا فهم عندما يجتمعون به ليتلقوا منه الأوامر يكونوا مؤمنين به أولاً باعتبار أنه هو الذى يتلقون منه ، ومن ثم جاءت الآية (يؤمنون بالجبت) أى قبل الطاغوت ، ثم هم يطيعونه ولا يعصونه ويعتقدون أن طاعته واجبة ولازمة ، فهم عبدته وخدامه ، وحيث أنهم يصدقون بأنه حامل لما يأتى به من مصدر أعلى منه ، فهم إذن يؤمنون به ، وبما هو أعلى منه أى الطاغوت ، فهما إثنان إذاً الجبت والطاغوت معاً ، فالذى يجتمعون به ويتلقون منه هو الجبت لأنه يأتى لهم بمخططات وتعليمات الطاغوت ، التى تقوم وتتأسس على كل الأساليب الممكنة التى يهدفون بها تحقيق علوهم فى الأرض بالإفساد .

وعماد هذه الأساليب والوسائل العلم والسحر معاً ، فالجبت إذاً رسول الطاغوت إليهم ، الحامل للظلمات إليهم من قبله بقصد تعميمها فى الأرض ، وكذا الحال بالنسبة لإبليس الجنى ، عندما يرجع إلى مجلسه الجنى فى عالمه فإنه يكون جبتياً لأنه يكون بمثابة رسول الطاغوت وخليفته فيهم وهو يعمل بهم على تنفيذ مخططات الطاغوت العلمية السحرية فى عالم الجن ، ومن ثم فهو جبتى أيضاً من هذا الوجه .

لكن ما ورد فى القرآن الكريم عن الجبت والطاغوت ورد مقروناً بذكر بطانته من كفرة بنى إسرائيل الذين يعبدونهما ، والذين يؤمنون بهما ، ويخدمون مخططاتهما للعلو فى الأرض بالافساد بكل الوسائل والأساليب والكيفيات السحرية والعلمية التقنية ، وهذا هو ما نشاهده اليوم إذ عم الفساد الأرض وعلا اليهود وساعدهم على هذا التقنيات العلمية المدنية والعسكرية وكذلك أساليبهم الطاغوتية الخفية .

وكل ما وصل اليهود إليه من علو بالإفساد إنما هو خطوات فى طريق تنصيب الدّجال الإبليس الانسى ربا على عالم الانس بمفهوم الرب الابن المسيح وباسمه أيضاً وتنصيب الابليس الجنى ربا على عالم الجن بمفهوم الابن الرب الروح القدس توطئة لتنصيب الطاغوت إلاهاً للجِنّة والناس بمفهوم وبمثابة الآب الإله وهذا هو الذى يمكن

أن تتلمسه من النصوص المخبرة عن أعمال المسيح الدّجال قبل خروجه العلنى وأثناء خروجه وما يصاحب هذا الخروج من خوارق للسنن الطبيعية ، إذ سنجد أن بعضها علمى تقنى صناعى ، وبعضها الآخر جنى سحرى خفى ، وحيث سيكون لديه بعض التقنيات الخفية التى لم تصل إليها البشرية بعد ، ربما لأن عنده من التقدم العلمى والتقنى والصناعى السرى ما سبق به ما هو معلوم ومنشور على الناس من تقنيات علمية صناعية فى شتى مناحى الحياة ، فإن هذه وتلك ربما تبدو للناس على أنها خوارق حقيقية ، وسيقدمها هو للعامة ليدلل بها على دعواه بأنه رب الناس .

لقد حيّرت هذه الأحاديث الصحيحة الواردة عن الدجال كثيراً من العلماء إذ قالوا : كيف يؤيد الله تعالى الدجال بهذه الخوارق التى هى من قبيل معجزات الأنبياء وهو أشد أعدائهم على الإطلاق ؟

فقال بعضهم : أرادها الله تعالى وينفذها له تحقيقاً للإبتلاء وقال البعض الآخر : لا ليست هذه معجزات حقيقية لأن الله تعالى لا يؤيد أشد أعدائه بما أيّد به أنبياءه ورسله المقربين .

لكننا ونحن فى عصر العلم والتقدم التقنى المذهل نُدْرك الآن أنها ليست معجزات سماوية وإنما هى أعمال جبتية إختلط فيها العلم بالسحر كما سنرى بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده للحق والصواب .

- جبتيات الدجال الإضلالية :

الطاغوت الذى هو الإبليسان فى حالة الجمع هو الذى يتطاول ليكون معبوداً مؤلهاً من الثّقلين : الجن والانس ، ومن ثم دعى الله تعالى فى كتابه إلى الكفر بالطاغوت قبل الإيمان به سبحانه وتعالى ، لأن الإيمان بالله تعالى لا يصح إلا إذا كان إيماناً به وحده لا شريك له سبحانه ، ومن ثم وجب الكفر بربوبية وألوهية كل ما سواه سبحانه ، وحيث إستلزم الإيمان بالله تعالى وحده الكفر بالطاغوت ودعت الرسل جميعاً إلى الكفر

به أيضاً وأمروا بترك وإجتناب عبادته ، ولم ترد هذه الدعوة بالكفر لغير الطاغوت مما هو معبود بالباطل فى الأرض ، فلم ترد فى القرآن الكريم الدعوة إلى الكفر بالشيطان ولا بالشمس أو بالقمر أو بالكوكب أو بالصنم أو بالعجل وهكذا ، وإن كانت الدعوة قدْ وردت بالنهى عن عبادة الشيطان وغيره بمعنى ترك طاعته ، والتحذير من السير على نهجه فالعبادة تتمثل فى طاعة المعبود أو على الأقل التسليم بوجوب طاعته ، أما الإيمان فهو التصديق بالغيب بالمعبود غير المشاهد ، وحيث أن الطاغوت الذى هو الإبليسان فى حالة الجمع كائن غيبى عن الجن لأنه ليس جناً خالصاً وغيبى عن الانس أيضا ، لأنه ليس إنساً خالصاً ، فإن التصديق بوجوده وبوجوب طاعة أمره وشرعته ومنهاجه إنما هو تأليه له ، أى أن من يصدق به بالغيب ، فقد اتخذه إلهاً من دون الله تعالى .

وحيث أن الطاغوت جاء بصيغة المفرد المؤنث تعبيراً عن هذه الذات المتألهة ، كما جاء بصيغة المفرد المذكر تعبيراً عن الأمر والحكم والشرع الصادر عنه ، وجاء بصيغة الجمع تعبيراً عن المؤسسات والمنظمات السرية والعلنية والآليات والجيوش المجيشة من الأبالسة والشياطين المكونين لملئه ، ثم الجيوش العسكرية التى يجلبها على المؤمنين بخيله ورجله والقرارات السياسية والإقتصادية التى يشارك الناس بها فى أولادهم وأموالهم ، وكل هذا ينفذ فى عالم الانس بالجبت الانسى ، وفى عالم الجن بالجبت الجنى ، فليس الجبت إلا بمثابة الوالى أو الوكيل أو السلطة التنفيذية للطاغوت الذى هو السلطة التشريعية . وحيث أن التشريع لا يكون إلا للرب الإله ، فإن الطاغوت يكون فى مملكة الشر بمثابة الرب الإله عندهم ، وهو حسب تفرده بالأمر له حق التصريف والتصرف فيكون هو الملك أيضاً ، وليس المسيح الدجال أو الجبت الانسى إلا المنفذ لأمر الطاغوت ، وهو الذى يتخذ فى كل عصر بطانة من شر البرية يجتمع بهم حاملاً لهم شرعة ومنهاج ومخططات وأوامر الطاغوت ».

أما الشرعة والمنهاج فهى شبه ثابتة على مدار التاريخ البشرى لأنها ليست إلا الضد والنفى لما ينزل على نبى العصر ورسول الزمان من شرعة الله ومنهاجه ، وأما المخططات

والأوامر أو ما اطلقوا عليه البروتوكولات فهى المراحل والخطوات التنفيذية التكتيكية لنشر الباطل وترسيخ الضلال الطاغوتى ، ومن ثم يكون إجتماع الإبليس الانسى الدجالى ببطانته السوداء الشريرة من أجل وضع هذه البروتوكولات موضع التنفيذ لتوزيع المهام والواجبات فى كل مرحلة من المراحل التى ترمى جميعاً إلى إعلان الطاغوت ربا وملكاً وإلهاً واحداً للجنة والناس .

والسؤال الآن : كيف ينقل الطاغوت الناس من إيمانهم الفطرى بالله تعالى وحده هذا الذى جلبهم الله عز وجل عليه وغرسه فيهم فى عالم الذر حين أشهدهم بأنه سبحانه ربهم الواحد فشهدوا .

أقول : كيف ينقلهم إلى ظلمات الشرك والكفر وكهوف الجاهليات فإذا هم يؤمنون بالطاغوت ويسيرون فى ركابه وينفذون شرعه ومنهاجه ويعيشون بأساليب العيش الظالمة الشريرة النجسة تلك التى علمنا أن الطاغوت رسموها لهم وشرعوها ؟ ، بصيغة الجمع ، ولا أقول : رسمها وشرعها لهم الطاغوت بصيغة المفرد) ؟ الإجابة : هى أنه تمكن من ذلك بوصفه الطاغوت الجمع وليس الطاغوت المفرد والطاغوت الجمع هم الذين يخرجون الناس من النور الفطرى إلى الظلمات ، فهم أولياء الناس ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٨ » فالطاغوت الذين هم أولياء الذين كفروا هم الأنظمة الحاكمة الخاضعة له وهم المنظمات والمؤسسات العالمية السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والتنظيمات السرية والقوى والأحلاف العسكرية التى علت فى الأرض بالإفساد فى جميع مجالات الحياة الخلقية والإقتصادية والسياسية والثقافية وهذه كلها الطاغوت – متمثلة وظاهرة فيما أطلقوا عليه الشرعية الدولية التى إذا ما تفحصنا قراراتها وأهدافها وأعمالها لوجدناها على طرف نقيض مع شرع الله عز وجل ومنهاجه المنزل بوحيه الأخير على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وعليهم وسلم . فمن آمن بالشرعية الدولية ورحب بها وأحبها ودافع عنها وسار فى ركابها وتمنى دوامها فقد آمن بالطاغوت

وكفر بالله عز وجل وبكلمة واحدة وقع فى فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى مباشرة ، ومن كرهها ورفضها وكفر بها وتمنى زوالها إيثاراً لشرع الله كفر بالطاغوت وآمن بالله ونجا من فتنة الدجال السابقة مباشرة على فتنة خروجه العلنى .

وأيهما يا ترى أشد فى الخطر ، فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى أم فتنته المصاحبة لخروجه العلنى زاعماً أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ؟

الحقيقة أن فتنته السابقة على خروجه العلنى المتمثلة فى علوه بالإفساد اليهودى من خلال المنظمات والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاحلاف العسكرية أى ما أطلقوا عليه النظام الدولى الجديد والشرعية الدولية تلك التى هى الموقدة فى الحقيقة سراً للحروب ضد كل من يخالفها والتى تزعم أنها تسعى لأطفائها علناً بعد أن تحقق الأهداف التى أوقدوها من أجلها ، هذه الفتنة التى تُعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً من فتنته المصاحبة لخروجه ، وذلك لأن ما يطلقون عليه إعلامياً اليوم الشرعية الدولية ما هو إلا أمر الطاغوت وشرعه وصناعته ، ومن ثم فالإيمان بها ليس سوى إعتقاداً وتسليماً من كل من يؤمن بها بأن الطاغوت رب الناس ملك الناس إله الناس ، فهو إذن الإيمان بالطاغوت والكفر بالله العزيز الحكيم من غير أن يكون ثمّ تصريح بهذا .

أما خروج الدجال الطاغوتى العلنى فسيكون مع إعلانه أنه رب الناس ملك الناس إله الناس إذ سيزعم أنه الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً كما ورد فى الحديث الصحيح ، ومن ثم تكون حالة خروج الطاغوت أو خروج نائبه الدجال الأول أى المعاصر نفاقاً ، وحالة خروجه الأخير العلنية كفراً ، وفتنة المؤمنين بالنفاق والمنافقين أشد من فتنتهم بالكفر والكافرين لأن المنافقين يُلبّسون ويُموّهُون ويخدعون ويخفون حقيقتهم الطاغوتية فى حين أن الكفار يعلنونها . فالدجال حالة خروجه نفاقاً ، وهى الحالة التى تعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً منه حالة خروجه كفراً ، وهى التى سيصير إليها بخروجه العلنى .

ولا يقولن أحد أن هذا إستنباط من عندى قابل للصواب أو الخطأ ، إذ ليس هو

إستنباطاً فحسب لأنه وإن كان إستنباطاً صحيحاً فيما أرى ، إلا أن له أيضاً مصدره فى الوحى الذى لا يأتى إلا بالحق الخالص .

أما عن زعمه حين يعلن عن نفسه النبوة ثم الربوبية فيدل عليه ما رواه الطبرانى والحاكم وعبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب السنة بسنده (عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : خطبنا روسول الله ﷺ ، فكان أكثر خطبته ما يحذرنا الدجال ، قال : « إنه يبدأ فيقول : أنا نبى ، ثم يثنى فيقول : أنا ربكم ، ولن تروا ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، من لقيه فليتفل فى وجه) قال الحاكم » صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه .

أما الدليل من الوحى على أن فتنة الدجال التى تسبق خروجه العلنى أشد خطراً على المسلمين من فتنته المصاحبة لخروجه العلنى التى يزعم فيها أولاً أنه نبى ثم يزعم أنه رب الناس ، فهو ما رواه الإمام أحمد والبزار بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : ذُكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال : لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ، ولن ينجو أحد مما قبلها ، إلا نجا منها ، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلاّ لفتنة الدجال)

فقوله ﷺ (ولن ينجوا أحد مما قبلها إلا نجا منها) دليل على أن ما قبلها أى ما قبل خروجه العلنى أشد خطراً من فتنة خروجه العلنى ، لأن من ينجو من الأخطر يسهل عليه أن ينجو من الخطير وهذا يثبت ما قررته ، كذلك يدل قوله ﷺ (وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال) أى ليس كل ما صنعه الابالسة والشياطين من فتن فى الأرض منذ عهد البشرية الأول إلاّ إعداداً لفتنة الدجال العلنية التى لن تمكث فى الأرض سوى أربعين ليلة .

وهذا معناه أن الدجال منذ عهد نوح وهو يصنع الفتن كماعلمنا من قبل ، ومن ثم حذر منه نوح قومه ، وحذر كل رسول أمته من عبادة الطاغوت حتى نوح وكل هذه الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة تدل على أن ما وصل إليه الأبالسة والشياطين بقيادة

الطاغوت والجبت ما هو إلا إعداد لفتنة الدجال التى سيعلن فيها عن نفسه للناس أنه نبى أى المسيح ، ثم مستخدماً الأساليب والوسائل والأحداث والأعمال الجبتية لاثبات ربوبيته الباطلة لهم بما يتضمنه الجبت من التلبيس والخداع . فهو يستخدم كل وسائل الاضلال الخفية السحرية فى محاولة منه لاضلال الناس بما هو من جنس المعجزات لعلمه أن مثل هذه الأعمال أقصر الطرق إلى إيمان الناس بصحة دعوى من تجرى على يديه .

وحيث أن جنوده من الأبالسة والشياطين لا يملكون ولا يستطيعون أن يأتوا بمعجزات حقيقية ولا حتى خوارق من قبيل كرامات الأولياء ، وإنما يملكون أن يحدثوا أعمالاً وأفعالاً وأحداثاً تبدو للناس أنها من جنس المعجزات بعضها من قبيل السحر ، وبعضها تقنى صناعى ، وكثير منها يجمع بين الصبغتين ، ومن ثم فهو بكلمة واحدة جبتى ، وهذا هو ما تدل عليه النصوص الحديثية الصحيحة التى تحمل أخباراً عن أعمال وأحداث وأشياء يملكها الدجال عند خروجه السافر هذه الاعمال يختلط فيها السحر بالتقنيات الصناعية العلمية أى نفس صبغة الحضارة القبطية (الجبتية القديمة التى تلبس فيها السحر بالعلم ، واختلط فيها العلم بالسحر) .

ومن ثم يدل وصف الدجال بالجبتية وإيمان بطانته من بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت ، يدل هذا وذاك على أن خروجه السافر سيكون بعد حدوث التقدم العلمى التقنى وظهور المخترعات والمعدات العظيمة التى تغير أسلوب الحياة ، أى أن هذا التقدم العلمى الصناعى التقنى ، لابد أن يسبق ظهوره الأخير ، ومن ثم فقد قرب وقت هذا الخروج .

يدل على هذا من السنة ما رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو بكر الأجرى فى كتاب الشريعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرنّ الصليب وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليُدْعَوَنّ إلى المال ، فلا يقبله أحد)

فقوله ﷺ (ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها) أى لتتركن الأبل فلا يسافر عليها أحد وستتوقف قوافل السفر على الأبل عبر الصحراء والبلاد . وما هذا - كما شرحنا هذا من قبل فى الجزء الثالث - إلا لتوصل الإنسان إلى وسائل نقل أسرع وأكثر راحة ومتعة من الإبل . وقد حدث هذا ومن ثم قرب نزول المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام الذى لن يكون إلا بعد خروج الدجال السافر .

فوسائل النقل الحديثة أو المعاصرة هى بعض الأمور العظام التى تسبق خروج الدجال ، وتسبق بالتالى هلاكه وجنوده بعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، هذه الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفس الناس كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته بعد صلاة الكسوف « وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال .. (فذكر الحديث فى شأن الدجال ونزول عيسى وإهلاك الدجال وجنوده ثم قال :) ولن يكون ذلك كذلك حتى تروْا أموراً عظاماً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ؟ حتى تزول جبال عن مراتبها) وزوال الجبال عن قواعدها هو قائم بمعدات الهدم والبناء والنقل الحديثة والمعاصرة .

وروى الطبرانى والبزار عن سمرة رضى الله عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظاماً ، تقولون : هل كنا حدثنا بهذا ؟! فإذا رأيتم ذلك ، فاذكروا الله تعالى ، واعلموا أنها أوائل الساعة) .

قال الشيخ عبد العزيز التويجرى رحمه الله تعليقاً على هذه الأحاديث (وفى هذه الأحاديث إشارة إلى ما حدث فى هذه الأزمان من المراكب الجوية والبرية والبحرية ، والآلات الكهربائية التى تنقل الأصوات .. وغير ذلك من المخترعات العجيبة التى لم تكن

تخطر ببال أحد فيما مضى ، وقد تفاقم شأن هذه المخترعات حيث رأوها وكثر تساؤلهم : هل كان النبي ﷺ ذكرها أو أشار إليها ؟!) [1] .

وهذا من قبيل التقدم العلمي التقني الصناعي الذي يسبق عصر الدجال ونزول المسيح عليه السلام . هذه المخترعات التي أثبتت الأحاديث ملكية الدجال لها ، ففهمها أسلافنا رحمهم الله بأنها من خوارق السنن الدجالية التي خص الله بها الدجال وحده لفتنة الناس ، بينما هي من نتائج العلم والتقدم التقني ، ويكون القول دقيقاً صحيحاً إذا قلنا أنها تخص عصر الآيات والسنين التي تسبق الآيات أي ما أطلقنا عليه من مصطلحات هذا العلم : أمارات الساعة ؛ لكن علماءنا السابقين رحمهم الله ظنوا أنها خوارق تجرى على يديه هو بعينه ، إذ هي بالنسبة لهم مجهولة التعليل وهو ظن غير صحيح ، كما نعلم نحن أهل هذا العصر .

ومن هذه النصوص التي تنسب بعض هذه المخترعات العلمية إلى الدجال ففهم العلماء منها أنها خوارق تخصه دون غيره ما رواه في المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في تعقبه للحاكم بأنه صحيح على شرط مسلم ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن جابر عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال في خفقة من الدين وادبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم كالسنة واليوم كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً) فماذا يكون حمار الدجال الذي بين أذنيه أربعون ذراعاً سوى مركبة من المركبات الحديثة أو المعاصرة أو مركبة ستصنع له سواء أكانت برية أو جوية أو غير ذلك ، هذا بالرغم من أنه ليس بمستبعد أن يكون حماراً حياً حقيقياً بهذه الضخامة ويركب الدجال على ظهره بالرغم من أنه قد ثبت أنه حين يخرج مُسفراً يكون بحجم البشر المعاصرين ويميل إلى القصر نسبياً ؟! أما قوله ﷺ أنه يخرج (في خفقة من الدين وإدبار من العلم) أي العلم الديني الشرعي وليس العلم التجريبي

---

(١) إتحاف الجماعة للشيخ التويجري / المجلد الثاني / ص ٢٠٠

التقنى .

وكما يحق لنا أن نتصور أن هذا الحمار وسيلة نقل برية بحرية جوية أى حوّامة وهذه الوسيلة سبق صناعتها لكنها لم تُعمم ربما لقلة الجدوى الاقتصادية من تعميمها لكن هذا لا يمنع أن تصنع لمن يسعى أن يمتلك الدنيا خصيصاً .. فإذا وصلت هذه الوسيلة إلى جزيرة العرب أى بلاد وموطن الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذه الأحاديث ، فإن هذه الحوّامة ستسير به ببطئ نسبى فتكون دابة بطيئة على الأرض عرض ما بين جانبيها أربعون ذراعاً ، أو ما بين طرفين لها يخرجان من الجنبيْن طويليْن مثل أذن الحمار وربما تكون مهمتها إلتقاط الأصوات التى حولها كالأذنيْن . والذى يدل عليه اسم (حمار الدجال) أى دابة الدجال التى يركبها ويتنقل بها برا على الأرض ، وليس بالضرورة حماراً من لحم وعظام ، وإلاَّ فما هو الاسم الذى كان من الممكن أن يخبر به رسول الله ﷺ الصحابة عن وسيلة الانتقال التى سيطوف الدجال بها الأرض خلال أربعين ليلة ؟ هل يقول لهم طائرة الدجال، أم يقول لهم صاروخ الدجال أم حوّامة الدجال أم حافلة الدجال أم عوّامة الدجال أم عبّارة الدجال أم قطار الدجال ؟ أليست كل هذه الأسماء غير مفهومة للصحابة ولا تحمل لهم أى دلالة واضحة ؟! ومن ثم لن يترتب على ذكر هذه الأسماء لهم سوى أنها ستفتن أهل عصرهم وتبلبل نفوسهم وتحيّر عقولهم ؟!

وهل جاء النبى ﷺ هادياً ومعلماً أم جاءمُحيّراً ومشككاً ؟ حاشا لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فمن الحكمة أن يخاطبهم بالأسماء التى يتعاملون بها ويفهمونها ، فإذا كان فى معرض وسيلة الانتقال ذكر لهم وسائلهم فى الانتقال وأضفى بعض وصف وسيلة إنتقال عصر الدجال فيفهمها أهل هذا العصر ، يدل على ما أقول ما رواه الحاكم فى المستدرك ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى على شرط البخارى ومسلم ، (عن أبى الطفيل رضى الله عنه عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال الدجال يخرج فى بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بيْن فَيَرِدُ كل منهلٍ ، فتطوى له

الأرض هنا فى هذا النص الشريف هى ما يقع عليه عين الراكب فى وسيلة انتقال سريعة جداً أو عاصفة ، إذ لا يلبث أن تقع عين الراكب للقطار أو الاتوبيس على موضع من الأرض ، مهما اتسعت مساحته ، إلا وصار خلفه ، بعد أن كان يراه أمامه تماماً فى زمن طى فروة الكبش ، أى ثانية واحدة أو أقل ، فإذا كانت سرعة السيارة أو القطار مائة وعشرين كيلو متراً فى الساعة – وهذه سرعة متوسطة أو عادية – فإن هذا المركوب يقطع ٣٣ متراً فى الثانية الواحدة ، وهذا معناه أن الناظر إلى الأرض من هذا المركوب إذا امتد بصره هذه المسافة لا يلبث قبل أن يرتد طرفه إليه أن تطوى تحته ، هذا هو معنى طى الأرض ، أى ما يرى منها للراكب مَطْوِّياً طى فروة الكبش ، أى فى زمن طى فروة الكبش باليد ، هذا بالنسبة للسرعة العادية فما بالنا بالسرعات التى وصلت إلى أكثر من خمسمائة كيلو متر للقطار اليابانى الذى يطلقون عليه « الرصاصة » وما بالك بسرعة الطائرة والصاروخ والقمر الصناعى الذى يدور دورة كاملة حول الكرة الأرضية فى ساعتين بل وأقل من ذلك ، ألا يدل هذا على أن حمار الدجال هو وسيلة إنتقال ذات تقنيات متقدمة ؟! بلى وهذا التصوير النبوى للسرعات المتباينة لوسائل الركوب الحديثة فى أعلى درجات البلاغة وقمة البيان ، لأن الراكب لأى وسيلة يرى الأرض تحته تطوى طى فروة الكبش فى جزء من الثانية سواءاً كانت الوسيلة قطاراً أم طائرة والفارق ليس فى الزمن وإنما فى مساحة الأرض المرئية ، لأن راكب الطائرة يرى المطوى من الأرض مئات الأمتار وراكب القمر الصناعى يراه مئات الأميال فى الثانية تطوى كطى فروة الكبش فما يصدق على لفظ الأرض فى الحديث هو البقعة الممتدة أمام نظر المسافر الذى يطل من نافذة الوسيلة أيا كانت إذ لا تلبث فى أقل من ثانية أن تصبح خلفه كما تُصبح فروة الكبش خلف طاويها بيده .

لكن ثم يوجد اليوم الذين يصرون على المدلول اللغوى الحرفى للآية أو لفظ الحديث فيقولون : إذا كان الحديث قد ذكر حمارا عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيجب أن

تثبته ولا نؤوله بمدلول مخالف ، لأن الحمار فى اللغة هو هذا الكائن الحى ذو الأذْنين الطويلتين المستخدم فى الركوب ، ومن ثم لا مناص أن نثبت للدجال حماراً حقيقياً من لحم وعظم ولكن بهذا الحجم الكبير .

أقول لأصحاب هذا الفهم : ليس ما يمنع أن يكون فهمكم صحيحاً كما أنه ليس ما يمنع أن يكون الفهم السابق عرضه عن حمار الدجال بمركبة انتقال تقنية صناعية صحيحاً أيضاً .

كيف إذاً يكون كل منهما صحيحاً رغم الاختلاف الواضح بينهما ؟ يكمن التوفيق بين المدلولين فى فهم حقيقة الجبت التى هى علم وسحر ممتزجان .

فما الذى يمنع أن يكون لدى الدجال من أساليب العمل الجبتي ما يجعله يظهر أمام الناس راكباً حماراً عظيماً بهذا الحجم . وإذا علمنا – كما سنثبت هذا بعد – أنه السامرى الذى ألقى فأخرج عجلاً جسداً حياً له خوار ، بما إلتقطه من أثر جبريل عليه السلام ، فما الذى يمنع أن يخرج على الناس بهذا الحمار الكبير الحجم إذ يزعم لهم أنه المسيح الذى كان على الأرض منذ أكثر من الفى عام راكباً حماراً مدعياً أنه ابن الإله خداعاً لمن يؤمنون بهذه العقيدة من الصليبيّين ، ثم يثنّى بعد هذا بأنه الإله حين يخرج متوحداً مع إبليس الجنى أى فى الحالة الطاغوتية ؟! ليس ما يمنع من تصور حدوث هذا منه بالقوى الجبتية التى يخفيها ، والتى هى مزيج من السحر والتقنية ، وعلى هذا فالاحتمالان قائمان وقابلان للحدوث ، ولن يصير إحتمال أن يكون حمار الدجال مركوباً تقنياً صناعياً متقدماً أرجح من إحتمال كونه حماراً ضخماً ، والعكس صحيح ، فليس لزاعم أن يزعم صحة أحدهما وبطلان الآخر ، إلا بعد أن يخرج الدجال ويراه راكباً هذا الحمار أو ذاك المركوب . ومن ثم يكون الخوض فى هذه المسألة لترجيح أحد الإحتمالْين على الآخر مضيعة للوقت ، ولا تستحق المداد الذى يكتب به ، وإنما يكون من الخطأ رفض أحد الاحتمالين أو تسفيه أحد القولين ، وسواء كان هذا أو ذاك فهو من جبتيات الدجال .

- قتل الرجل وإحياؤه أخطر جبتيات الدجال :

فالذى تصل أفعاله الطاغوتية إلى الحد الذى يقتل فيه رجلاً أمام الأعين ثم يحييه هو على ما دون هذا الفعل أقدر ، فمن جبتياته لعنه الله ما رواه الشيخان وعبد الرزاق فى مصنفه والامام أحمد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثا طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا ، قال « يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب [1] المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس (أو من خير الناس) فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، أتشكّون فى الأمر ؟ فيقولون لا . قال فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ، ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن . قال : فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

هذا عمل جبتى وليس سحرا فقط وليس تكنولوجيا فقط ، والدليل على هذا أن قتل الرجل تم ولم يتم . كيف ذاك ؟

الدليل على أنه لم يرد قتله حقيقة فى الأولى أنه لم يستطيع قتله فى الثانية بدليل قوله ﷺ فى نهاية هذه الرواية)(فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه) إذاً هو لم يرد قتله حقيقة فيما رآه الناس من قبل ، وإنما الذى حدث أنه فعل هذا أمام الناس من حوله ، لما فاجأه هذا الرجل المؤمن بفضح سره أمامهم ، بإخبارهم بأنه الدجال ، لما قالها له فى وجهه ، فلم يكن أمام الدجال لنفى هذا الوصف عن نفسه إنقاذاً لملكه ، ومحافظة على أتباعه إلاّ أن يلقى بأقوى ما عنده من الجبتيات وهو القتل ثم الإحياء ،

---

(١) نقاب : جمع نقب وهو النفق أو الطريق المفتوح بالتقنيات الحديثة بين جبلين وورود أخبار أنفاق مكة والمدينة فى الأحاديث عن الدجال إعجاز نبوى من ناحية ودليل على قرب خروج الدجال الأخير من ناحية أخرى ، لأن هذه الأنقاب (الانفاق) لم تشق فيهما إلا خلال العشرين عام الأخيرة من القرن العشرين الميلادى .

وحيث أن الأحياء لا يقدر عليه إلا الله عز وجل بأدلة النقل والعقل والعلم ، وحيث يزعم الدجال أنه المسيح ، ثم يزعم أنه الله حسب عقيدة النصارى القائلة أن الابن والأب والروح القدس كائن واحد ، وحيث من الثابت عند النصارى أن المسيح عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله تعالى ومن ثم لم يكن مناص أمام الدجال نفياً لوصمة الدجل والدجالية عن نفسه إلا أن يميت ويحى ، كما حدث هذا من المسيح بن مريم عليهما السلام ، لكى يثبت صحة زعمه بأنه هو المسيح .

فهل هذا الذى سيحدثه بمؤمن المدينة قتلا حقيقياً ثم إحياءاً حقيقياً ؟ لا والله الذى لا إله إلا هو ، الذى لا يحيى ولا يميت ولا يحيى ولا يحى حقيقة إلا هو ، وما أحيا المسيح الموتى بحوله وقوته ، وإنما الذى أحيا هو الله تعالى ، فهو الذى جعل هذا الإحياء آية تجرى على يده لاثبات صدق نبوته ، فعلق سبحانه عودة حياة الميت فى قبره على نداء المسيح عليه الصلاة والسلام له ، ولكن ما أعاد المسيح الحياة إلى الميت بحوله وقوته وإنما عادت له الحياة بحول الله وقوته ملبية أمر الله لها ، إذ أمرها أن تعود إليه حين ينادى المسيح عليه من خارج قبره .

فهل يجوز الاعتقاد بأن الله تعالى سيفعل مع الدجال مثل ما فعل سبحانه مع المسيح عليه الصلاة والسلام ؟! الاجابة : لا يجوز أن يعتقد المسلم هذا ، لأنه لو كانت الاجابة بالإيجاب لما صدق وصفُ الدّجَلِ على هذا الابليس الجبتى ، لأن كونه دجالاً يثبت كونه كذاباً غشاشاً مخادعاً مخاتلاً مراوغاً محتالاً أفاقاً ، فهل مَنْ كانت هذه صفاته ومَنْ أطلق عليه الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ اسم الدجال يكون صادقاً فيما يزعم ؟!

حاشا وكلا ، إن الدجال لم يرد فى الأولى قتل مؤمن المدينة ، وإنما أراد أن يُرى أتباعه قتله وإحياءه ، وليس من اللازم لمن كان جبتياً متسلحاً بالوسائل العلمية التقنية الممتزجة بالأساليب السحرية الخفية ، لكى يرى أتباعه قتل رجل وإحياءه ، أن يكون

القتل حقيقياً ، وبالتالى ليس من اللازم أن يكون الإحياء حقيقياً ، إذ ما عنده من الجبت يُمكّنه من أن يريهم قتله ثم إحياءه دون قتل حقيقى وإحياء حقيقى ، فإذا ما رأى الاتباع هذا مخدوعين بهذا الدجل الجبتى إستمر إيمانهم بأن الدجال هو ربهم ، ولكن لماذا سيقوم الرجل ويقول ما يبعث على الشك فى ربوبيته ثانية ، وهو قوله (والله ما كنتُ فيك قط أشد بصيرة منى الآن) الإجابة : لأنه صار على يقين أكثر بدجله ، إذ علم أنه لم يقتله حقيقة ، ولم يحييه حقيقة ، وإن كان أتباعه قد رأوا قتله وإحياءه وليس من المستبعد أنه هو أيضاً رأى منظر قتله وإحيائه الذى رآه الناس فعلم يقيناً أنه الدجال .

ومن ثم لما أراد الدجال بعد ذلك أن يقتله حقيقة محافظة على سره الذى أدركه هذا الرجل المؤمن لن يسلطه الله عليه وسيعجز عن قتله ، وهذا دليل على أنه لم يقتله فى الأولى وبالتالى لم يُحْيِه

ويوضح لناهذا ويؤكده رواية مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح ، مسالح الدجال ، فيقولون له : أين تعمد ؟ أعمد إلى الذى خرج قال : فيقولون له : أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاءفيقولون : إقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ » قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به ، فيشج فيقول : خذوه وشجوه . فيوسع ظهره وبطنه ضرباً قال : فيقول : أوما تؤمن بى ؟ قال : فيقول أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه . قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوى قائماً قال : ثم يقول له أتؤمن بى ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس . قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته

إلى تُرقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقى فى الجنة . فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) والتفصيل الزائد فى هذه الرواية عن السابقة يتمثل فى التالى :

١ - ذكر مسالح الدجال أى نقاط أو مراكز الحراسة المسلحة فى حرسه الخاص أو جنوده حول المدينة .

٢ - إذا رأى المؤمن الدجال نادى فى الناس : يا أيها الناس (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ من غير أن يقول له أو يسمع منه ، أى أنه بمجرد أن يراه يعرفه ، بناء على وصفه الوارد إلينا فى السنة الصحيحة ، وهو وصف دقيق للدجال من أول شعر رأسه إلى قدميه ، يدل على هذا قول المؤمن (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ) أى ذكره لنا وصفاً دقيقاً طابق ما عليه هذا الذى يزعم أنه رب الناس .

٣ - لا يأمر الدجال بقتله على الفور وإنما يأمر بضربه لعله يؤمن به فيرفض المؤمن طلبه قائلاً له (أنت المسيح الكذاب) ولوصفه بالكذب هنا مغزى ، وان كان الكذب والدجل صنوين متلازمين ، أما المغزى لأن الزمان سيكون زمان إنتظار النّصارى لنزول المسيح عليه السلام من السماء ، ومن ثم يستغل الدجال هذا الاعتقاد ويزعم أول خروجه أنه المسيح النازل من السماء فيكون الرد عليه أنه المسيح الكاذب ، أى الذى يزعم كذباً أنه المسيح بن مريم ، وهذا يدل على صحة ما انتهى إليه المحققون من أهل العلم بأن اسمه المسيح الدجال وليس المسيخ الدجال (بالمعجمة) كما رجح البعض خطأ ، لأن العبرة فى الاسماء ليست بمطابقة الاسم على حقيقة المسمى ، وإنما العبرة فى الأسماء بدلالتها الاسمية العَلَمِيَّة على المسمى ، لأن اسم الشئ علم عليه حتى لو خالف معنى الاسم ما عليه المسمى ، فكم من ضعيف أو جبان اسمه أسد ، فالاسم

الذى سيطلقه الاعلام زمن خروج الدجال للدلالة عليه هو المسيح فقط ، وهذا بديهى نتيجة سيطرته على هذه الأجهزة فى أكثر الأرض ، ومن ثم سماه رسول الله ﷺ بالاسم الذى سيعلن هو به عن نفسه ، زاعماً أنه المسيح ، سواء قصد من هذا الزّعم أنه المسيح بن مريم ، حتى يضمن عبادة النصارى له ، إذا هم صدقوا أنه كما يزعم ، أو قصد أنه المسيح بمعنى المخلص للناس من حروبهم وتطاحنهم ونزاعاتهم وذنوبهم ، وأيّا كان مقصده ، فهو سيُعرف باسم المسيح ، لذا تحدث عنه النبى ﷺ بنفس الاسم الْعَلَمى عليه فى زمانه ، مع إضافة صفة الدجل إليه للفصل والتمييز بينه وبين المسيح عيسى بن مريم الذى هو مسيح الهدى والحق ، ومن ثم لزم أن ننبه إلى أن اسمه « المسيح » وليس « المسيخ » بالمعجمة لأن هذا هو ما سيطلق عليه إعلامياً عند ظهوره ، ويبقى بعد هذا وصفه الدقيق الوارد إلينا فى السنة الذى نميز به بين المسيحيْن المرتقب ظهورهما فى العقود القريبة التالية : المسيح الصادق الحق مسيح الهدى ، والمسيح الكاذب الدجال مسيح الضلالة ، وأهم صفات الكاذب أنه أعور يسير فى الأرض . أما مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فسينزل من السماء ويراه الناس بين مهرودتيْن واضعاً يديه على جناحى ملكين ، وليس هذا للدجال بأى سبيل لا تقنى ولا سحرى .

٤ - الجديد أيضاً فى هذه الرواية شق الرجل نصفين وسير الدجال بينهما ثم ضم الشقين ودعوته فيقوم حياً وهى طريقة للقتل مقصود منها منع أى ذرة شك فى حدوث الموت وإنتهاء حياته ، فهى أسلوب قتل إستعراضى ، وهذا هو الذى يؤكد أنه قتْلٌ جبتى : سحر مع تقنيات متقدمة ، أو العكس .

والدليل على هذا الساحر الأمريكى الشهير « دافيدكوبرفيلد » ، وقد عرضت له قنوات التليفزيون العالمية والعربية بعض أفلام مسجلة له على المسرح أمام الجمهور ، وحيث أن آلات التصوير الاليكترونية (الكاميرات) بأنواعها تستقبل من الأشياء والأحداث المصورة الموجات الصادرة منها تماماً كما تستقبل العين البشرية هذه الموجات

، فإن ما يراه الجمهور فى المسرح تسجله الكاميرات الالكترونية ، والذى يهمنا من كل جبتيات دافيد كوبرفيلد هو تمرير منشار كهربائى على جسده عند منطقة الوسط بينما هو مكبل إلى الكرسى بالحبال فلما إلتقى المنشار بجسده تفجر الدم ، الأمر الذى جعل الحاضرين فى قاعة المسرح يصرخون موقنين بشطر الرجل المقيد نصفين ، ولكن ما هى إلا لحظات فيعود المنشار بعيداً عنه ويقف المقسوم من وسطه معافاً سليماً لا نشر ولا دماء.

ما هذا ؟ هل هو سحر أم هل هو تقنيات صناعية متقدمة ؟! أيا كان هذا أو ذاك فهو جبت . أحدهما أو كلاهما معا . لكن كونه من الجبتيات يعنى أمراً واحداً مؤكّداً هو أن الرجل لم يشق نصفين – أقصد دافيدكوبرفيلد – وإن كان الذى رآه الناس وسجلته الكاميرا هو شقه من منتصف جسده عند الخصر بالمنشار الكهربائى الدوار شديد السرعة .

وكذلك ما فعله من إخفاء تمثال الحرية وكذلك إخفاء المكوك الفضائى من أمام أعين الناس كان شيئاً ضخماً هائلاً موجوداً وفى لحظات لم يعد موجوداً ، وبعدها بدقائق صار كما كان فى مكانه ، وهذا وذاك ليس سوى أجهزة بصرية متقدمة جداً يمكن لمالكها أن يسلطها على أى شئ فتمنع هذه الأجهزة الموجات الضوئية الصادرة من الشئ إلى الأعين أو إلى عدسات التصوير التى لا تصور ولا تسجل أى صورة إلا بتلقى الموجات الضوئية من الشئ المراد تصويره فتبديد هذه الموجات يمنع رؤية الشئ ، فإذا علمنا أن السحر لعب يلعبه السحرة بمخيلة المسحورين ، حتى ولو كانوا آلافاً مؤلفة من المصريين المحشورين يوم الزينة ضحى فى منشأة كاستاد كرة القدم مثلاً ، لقد حدث الفعل الجبتى الذى أوجس فى نفسه خيفة موسى عليه الصلاة والسلام منه ، أفلا يلعب الدجال بمخيلة الناس بما أوتى من تآزر وتعاون بين أعمال الشياطين والأبالسة الخفية من جانب وبين علماء من البشر وتقنيّين وفنيين ومخترعين فى عصر الالكترونيات والفضاء والكمبيوتر من جانب آخر ؟!

جنة الدجال وناره من إنتاجه الجبتي أيضاً :

فما قصة جنة الدجال وناره .هل هما جنة حقيقية ونار حقيقية ؟ الحق أنهما جبتيتان والدليل على هذا قوله ﷺ (فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقى إلى الجنة) لأن ناره جنّة ولكن الناس يرونْها ناراً وجنته نار ، ولكن الناس يرونها جنة ، لذا قال المصطفى الصادق المصدوق ﷺ (فيحسب الناس أنما قذفه فى النار) فهم يحسبون بخلاف الحقيقة ، وتلك هى الصبغة الجبتية التى يرى من خلالها الناس شيئاً والحقيقة أو الواقع شئ آخر . وهذا ما يطابق الدجل مبنى ومعنى ، مفهوماً وما صدق ويطابق هذا ما رواه مسلم وابن ماجه والإمام أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الدجال أعور العين اليسرى ، جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) وروى البزار والطبرانى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (ما من نبى إلا وقد حذر أمته الدجال وأنا أحذركم الدجال : إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب ، معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) .

فما تكون الجنة الدجالية التى هى نار والنار الدجالية التى هى جنة ؟ إن ما يعرضه للناس إذن عكس حقيقته تماماً ، هل المقصود بهذا التعبير النبّوى أنه يصاحبه فى عصره تقدم فى البناء والعمران والحدائق والديكور والتحكم فى درجات حرارة جو الأبنية بالتكييف والتدفئة وحسن الأثاث وجمال المنظر والوسائل التقنية فى الإمتاع الحسى بالفنون والشهوات بما يعرف الآن بالقرى السياحية وتقنيات السياحة الإنتقالية والمبيتيّة بأنظمة الفندقة ذات المستويات النجومية المتعددة ، حتى صار الذى يعيش فى هذه الأجواء ، التى هى من حصيلة العلوم والتقنيات المعاصرة ، والتى هيأتها هذه الحضارة الجبتية لأصحاب الثروات فانغمسوا فى المتاع الذى يشبه السحر الأمر الذى أغرقهم فى الشهوات

---

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والمحرمات المؤدية إلى النار ، فتكون هذه الجبتيات التى معه ناراً بمعنى التى هى مصاحبة لعصره من نتائج توجيهاته الطاغوتية وهى فى حقيقتها نار فى الآخرة أى مؤدية إليها .

وفى نفس الوقت يصاحب الدجال وبفعله وبتخطيطه مؤامرات المذابح للشعوب الإسلامية والافقار إلى حد التجويع ، ووصم المجاهدين بالارهاب الذى ينتهى بهم إلى السجون تحت أدوات وأجهزة التعذيب الشيطانية ، فتكون هذه نار الدجال التى تنتهى بالمبتلى بها الصابر عليها إلى الجنة ؟!

يدعم عندى هذا القول من غير أن يرجحه قوله ﷺ (معه جنة ونار) أى مع الدجال وهذا يثير سؤالاً : كيف تكون الجنة معه والنار معه ؟! ، هل هما معه أثناء سيره فى الأرض خلال الأربعين ليلة فقط ، إن المعية فى النص هنا تفيد المصاحبة الزمنية ؟!

على كل حال أقول : إن مصطلح الجبتية الذى لا يمنع هذا الاحتمال الأول باعتبار أن أنظمة السياحة والفندقة المتقدمة ونعيمها الحسى المعاصر هو من نتاج التقدم العلمى التقنى الفنى وهما من عناصر الجبت الرئيسية يدل على هذا أن السياحة الناجحة تقوم على مخالفة شرع الله بإباحة المحرمات جميعاً .

أما الإحتمال الثانى وهو القائل بأنه عند خروجه السافر وسط أتباعه من اليهود والنساء وأبناء الزنى سيكون معه بالضرورة الذى مع كل حاكم مستبد وطاغية متأله مستكبر فى كل زمان ومكان ، وأعنى بهذا ما يطلقون عليه إعلامياً العصا والجزرة ، أى الترهيب والترغيب ، وحيث أنه سيزعم أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، ومعلوم فى كل الكتب السماوية أن الله عز وجل سبحانه يثيب على الاحسان بالجنة ، ويجازى على الكفر والإساءة بالنار ، فليس ما يمنع أن يتخذ الطاغوت المتأله وخليفته فى الإنس الدجال جنة وناراً يثيب ويعاقب بهما إمعاناً فى الزعم بالربوبية .

ومن ثم يحتمل أيضاً أن تكون جنة الدجال وناره من الأعمال الجبتية التى سيحدثها ، فيعرضها على الناس بوسائل سحرية تقنية صناعية فى آن واحد ، أى جبتية ، وما أكثر

اللعب الحضارية بصرية كانت أم سمعية أم حركية أم إنشائية أم صناعية أم زراعية أم فنية أم رياضيـة ، وكل هذا يستـمتع به ويستـفيد به الذين يملكون ، والذين يملكون هم المستكبرون المتسلطون ، فهم يعيشون في جنة الدجال الجبتية ، أما المستضعفون في الأرض فهم شعوب المجاعات والحروب والمذابح والتخلف ساكنو الأكواخ والمقابر أهل لا إله إلا الله ، فليس لهم من الجبت والطاغوت بمقتضى بروتوكولات الإفساد الصهيونية إلا نار الدجال الجبتية الدنيوية .

أليست الحياة في الأرض اليوم جنة لطبقة من البشر ولبعض الشعوب ، وهي في نفس الوقت نار للطبقات المستضعفة ، ولأغلبية الشعوب الفقيرة النامية ؟ بلى ، ويدل على هذا ما رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي عن سبيع بن خالد عن حذيفة رضي الله عنه قال (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر) وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج الدجال قال : قلت فبم يجيء به معه ؟ قال : بنهر ، أو قال : ماء ونار ، فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) وهذا التعبير يوحي بأن النهر الذي سيدخله المفتونون بالدجال ليس نهر ماء ، وإنما هو نهر حياة ، أي وسائل الحياة الدجالية الجبتية الاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية الأكاديمية راضياً بها مدافعاً عنها بالرغم من مخالفتها جميعاً لشرع الله عز وجل ومحاربتها لدينه .

أما الذي يجاهد نهج الدجال الحياتي في جميع مناحيه ويحاول إقامة شرع الله عز وجل بالسبل المشروعة ، فليس أمامه إلا الفتنة فيكون قابضاً على الجمر لتمسكه بدينه ، وحيث يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر فإن هذا يكون في عصر الخروج الأول للدجال ، فيصيبه من أذى الطغاة ما يصيبه وتلك هي نار الدجال ، التي هي في صدر المؤمن جنة من السكينة والطمأنينة ، وهي في النهاية نجاة من العذاب والشقاء النفسي ، الذي يعاني منه أهل الحضارة الدجالية المادية المعاصرة .

إن دخول النهر يعني إجتياز ممر أسباب الحياة الجاهلية الدجالية المتعددة . ورفض

دخوله والتعرض لناره هو عين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل ، ومن ثم يكون المؤمن فى جنة حقيقية من السكينة والطمأنينة والرضا .

ومع هذا لا يمنع هذا الفهم العام لجنة الدجال وناره أن يكون معه عند خروجه السافر جنّة ونار جبتيان .

فيا أيها المؤمنون بالله تعالى واحداً لا شريك له أحدا لا ند ولا كفؤ له ، الكافرون بالجبت والدجال والطاغوت لا تخشوا الالقاء فى ناره ، اتفلوا فى وجهه فإن القاكم فى ناره فستجدونها جنة ، واحذروا طاعته ، فإن جنته نار وتؤدى إلى الخلود فى النار معه والعياذ بالله تعالى .

والذى أراه – والله تعالى أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ – هو تطابق الدلالتين على نصوص الجنة والنار الدجاليتين ، أى جنة الترف الذى أتاحته الحضارة الغربية المادية التقنية المعاصرة وبخاصة الترف المطغى الذى مصدره المال الحرام وينفقه أصحابه فى الحرام ، ودلالة أحداث المجاعات والتخلف والحروب والمذابح والأمراض وفساد البيئة على ناره .

ثم مطابقة الدلالة الجبتية التقنية الصناعية السحرية على النصوص المخبرة عن جنته وناره أيضاً ، فتكون الدلالة الأولى معه فى خروجه وسيطرته وحكمه للأرض من خلف ستار باسم الشرعية الدولية والنظام العالمى الجديد وهذا هو الذى نعاصره اليوم ، فشعوب بنى الأصفر أمريكا وأوروبا يعيشون فى جنته والشعوب الإسلامية فى أفريقيا وآسيا وحتى فى أوربا يعيشون ناره المتمثلة فى المجاعات والأمراض والحروب حتى حروب الإبادة والاستئصال فى البوسنة والهرسك وكوسوفا والجزائر وكشمير والهند وأفغانستان وقبل هذا كله فى فلسطين .

ألم يكن قابيل وضيئاً أبيض أصفر الشعر أو أحمره هو وأخته لأنهما من حمل الجنة ، والدجال عند خروجه السافر سيراه الناس هجاناً أى أبيضاً مشرباً بالحمرة أحمر الشعر،

بينما كان هابيل وأخته – كما ورد فى كتب التفسير – أسمرين ؟ وقد علل قابيل هذا الاختلاف بينه وبين أخيه بأنه أى هابيل من حمل الأرض ، فى حين أنه أى قابيل وأخته من حمل السماء، فاستعلى بهذا الاختلاف فى الأصل على أخيه ،كما استعلى إبليس على آدم بأصله النارى ؟

فلماذا فى أكثر مراحل التاريخ البشرى كان الاستعلاء للأبيض والاستعباد والاستغلال للأسود ، ولا يستثنى من تاريخ البشرية كله إلا فترات ظهور الاسلام وغلبة المؤمنين على الأرض التى صار الأسود كالأبيض لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى ؟! لقد أصبح هذا معلوماً من خلال حقائق الجبت والطاغوت والدجال الرهيبة .

لقد كتب أرسطو اليونانى عن شعوب أفريقيا بأنهم درجة أو حلقة وسطى بين الحيوان والانسان الذى هو الجنس الأوربى الأبيض هذا هو الفكر الطاغوتى الدجالى يسوقه على أقلام الفلاسفة وألسنتهم يناوئ به عقيدة التوحيد الخالصة .

فالجبت – كما قلنا – علم وسحر – يربط بينهما ما يطلقون عليه الفن ، وبخاصة ما ينحتونه من تماثيل وما يصورونه من وجوه وأجسام حيّة يتبارى هؤلاء المصورون من خلالها فى الإبداع ، والله تعالى وحده هو بديع السماوات والأرض ، وهؤلاء يضاهئون فعل الله تعالى ويتطاولون – إستكباراً وتألها ليكونوا مبدعين خالقين – وحاشا لله الذى لا خالق ولا مبدع الا هو – ومن ثم سيكونون أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، بمقتضى نيتهم فيما يصورون وينحتون ، وبمقتضى خدمتهم لأهداف الدجال ، حيث لا يتم جبته إلا بكثرة التماثيل وشيوع التصوير وإمتلاء الأرض بهذه المنتجات الخبيثة ، لأنها جميعاً هى مسكن شياطين الجن ، وبالتالى هى التى تسمح لهم بالتغلغل فى حياة الانس : مناماً ويقظة ومأكلاً ومشرباً وملبساً وكذلك معاشرة بين الأزواج ، حتى شاركوا الناس فى الأموال والأولاد ووعدوهم بأنواع من المتاع الحسى الزائل الذى يشقى ولا يسعد ، سواء فى الدنيا أم الآخرة .

فجبتيات الدجال لا تتم إلا بالشياطين لأن كونها سحراً ممتزجاً بمصنوعات تقنية

يستلزم دوراً للشياطين الذين هم مصدر الجانب السحرى من هذه الجبتيات ، وهذا يقتضى تغلغل الشياطين فى حياة الناس ، ومن ثم استلزم هذا الاكثار من التماثيل فى الميادين ومن الصور فى البيوت والمحلات والفنادق وفى كل مكان ، وهذا هو الذى يدل عليه الحديث الذى رواه الطبرانى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أقبلت مع رسول الله ﷺ من العقيق ، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق فقال : إنى لأنظر إلى مواقع عدو الله المسيح ، إنه يقبل حتى ينزل من كذا ، حتى يخرج إليه غوغاء الناس ، ما منْ نقب من أنقاب المدينة إلاّ عليه ملك أو ملكان يحرسانه ، معه صورتان صورة الجنة وصورة النار ، معه شياطين يُشبِّهُون بالأموات يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، أَلَسْتُ قَدْ مُتُّ ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء منه .

ويبعث الله رجلاً من المسلمين ، فيُسكته ويُبكّته ويقول : يا أيها الناس لا يغرنكم فإنه كذاب ، ويقول باطلاً ، وليس ربكم بأعور فيقول : هل أنت متبعى ؟ فيأبى ، فيشقه شقين ويعطى ذلك ، ويقول : أعيده لكم ، فيبعثه الله عز وجل أشد ما كان له تكذيباً وأشد له شتماً فيقول : أيها الناس إن ما رأيتم بلاء ابتليتم به وفتنة افتتنتم بها ، إن كان صادقاً فليعدنى مرة أخرى ، وإلا ، فهو كذاب ، فيأمر به إلى هذه النار ، وهى صورة الجنة ، فيخرج قبل الشام) . وفى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ألا أحدثكم عن الدجال ما حدث به نبى قومه إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هى النار وإنى أنذركم به كما أنذر به نوح قومه).

والشاهد الذى نريده فى هذه الرواية (معه صورتان صورة الجنة وصورة النار) فهما إذاً مجرد صورتيْن إذاً ليستا إلا ما يجعل الناظر يرى أحداهما جنة والأخرى ناراً فى حين أن ما ترى جنة هى نار وما ترى نار هى جنة ، وليس هذا إلا بالجبت بحسب التفسير السابق له ، يؤكد هذا ما رواه الشيخان والإمام أحمد عن حذيفة رضى الله عنه عن

النبى ﷺ أنه قال فى الدجال (إن معه ماء ونارآ فناره ماء بارد وماؤه نار ، فلا تهلكوا)

ومن جبتياته أيضاً إمطار المطر ومعلوم أنه لا ينزل الغيث إلا الله عز وجل ولكن هذا مطر والمطر غير الغيث الذى هو المطر الغزير الذى يغيث به الله البلاد والعباد وينبت به الكلأ ومن ثم يمكن تفسير إمطار الدجال المطر بما حدث على أيدى المجربين من العلماء من إنزال قطرات من الماء عن طريق الصعود بالطائرة ونفث عناصر خاصة فى صور غازية فى السحب البيضاء غير الممطرة فتمطر قطرات لا تسقى الحرث ولا تنبت العشب ، ودليل هذا ما رواه الإمام أحمد بأسانيد صحيحة على شرط الشيخين من حديث جنادة بن أبى أمية قال : أتيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ فقلت له حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فى الدجال ولا تحدثنى عن غيرك . وإن كان عندك صادقاً ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنذركم فتنة الدجال فليس من نبى إلا أنذره قومه أو أمته ، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى ، وإنه يمطر المطر ، ولا ينبت الشجر ، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ، ولا يسلط على غيرها ، وإنه معه جنة ونار ، ونهر ماء وجبل خبز ، وإن جنته نار وناره جنة ، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحاً يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد : مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الاقصى ، وإن شكّل عليكم أو شبه ، فإن الله عز وجل ليس بأعور)

فقوله (يمطر المطر ولا ينبت الشجر) [1] دليل على أنه المطر الصناعى التقنى الذى لا ينبت شجراً لقلته ولعدم تكراره لأنهم ما أنزلوه إلا على سبيل التجربة .

أما قوله (معه نهر ماء وجبل خبز) ، فهو يحتمل التفسيرين الأول : فى خروجه المعاصر حيث يسعى الدجال وبطانته اليهودية التى علت فى الأرض بالإفساد ويسعون اليوم لترسيخ هذا العلو بالسيطرة على مقدرات ومقومات حياة الشعوب وهى الأنهار بالسيطرة على منابعها بإقامة السدود والخزانات خلفها للتحكم فى دول المجرى ودول

---

(١) وسيلى حديث أو رواية أخرى تثبت إنبات العشب بمطره وليس الشجر .

المصب ، ويعمل على إشاعة المجاعات وإنصراف الأنظمة الحاكمة عن رراعة القمح ، بينما يزرعه في دولته أمريكا بوسائل تقنية حديثة على مساحات شاسعة بما يعرف بالرى المحورى ثم يصدر هذا القمح للمجتمعات الجائعة في سفن الشحن العظيمة التي هي جوارى في البحر كالأعلام - أي كالجبال لأن العلم في اللغة هو الجبل - فتنزل عبواته « بالأوناش » على الموانى وترص فتصير كالجبال ، وحتى مياه الشرب صارت تعبأ في زجاجات وعبوات أكبر وتصب من زجاجاتها إلى أفواه الناس كالأنهار ، وذلك بعد أن لوثت حضارته الصناعية الجبتية الأنهار فلم تعد صالحة للشرب .

هذا هو التفسير التقنى الصناعى لجبل الخبز ونهر الماء المصاحب لخروج الدجال غير السافر أي خروجه الأول المعاصر ، ولا يمنع أن يصحب معه في سيره في الأرض جبل خبز يوزع منه على من يؤمن به ، بعد أن يشيع المجاعة في الأرض ، ونهر ماء يسقى فيه المؤمنين به الكافرين بالله تعالى بعد أن يعم الأرض العطش نتيجة لمخططاته الإفسادية ، ومن ثم يظهر لنا جلياً أن كل ما يقدمه الدجال للناس من جبتياته الخبيثة ، إنما يقدمه لكي يثبت أنه يميت ويحيي ، وأنه يمنع ويعطى ، وأنه الذي يرزق الناس بالطعام والشراب لكي يقنعهم بأنه رب الناس . ومن ثم سيتبعه ويعبده كل صاحب عقيدة فاسدة في الربوبية والألوهية ممن يجيزون على الله تعالى الحلول في جسد آدمى ، وكذلك يتبعه هؤلاء الذين لا هم لهم من هذه الحياة الدنيا إلا الطعام والشراب ، ويتبعه العامة الغافلون الذين تخدعهم أعماله التقنية السحرية أي جبتياته الطاغوتية .

وذلك أن للدجال خروجين - كما وضّحناهما في الجزء الأول من هذه الموسوعة - الخروج الأول : هو الذي لا يكون فيه سافراً ولا معلناً عن نفسه ، وإنما هو يتمثل في سيطرته على الأرض وعلوه فيها من خلال السيطرة على القوى الكبرى الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية .

والثاني : هو الذي مدته أربعون ليلة ويكون فيها ظاهراً مسفراً عن نفسه ، ومن إعجاز البيان النبوى أن الإخبار عن كل أعماله الجبتية بالنصوص الحديثية له تفسير مقبول

موافق للنص ومطابق له على خروجه الأول ، وله أيضاً تفسيره لنفس النص الموافق لخروجه الأخير السافر ، ولذا فلا يجوز أن نرفض أحدهما ونرجح الآخر ، ما دام الجمع بينهما جائزاً .

وهذا هو الذى أراه والله تعالى أعلم .

- خروج جيوش شياطين الجن مشاهدين لإضلال الناس من الأعمال الجبتية :

ومن جبتيات الدجال التي لا تكون إلا منه من خلال أساليبه الطاغوتية ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع الأسبق في الذكر الذى جاء فيه (... معه شياطين يُشبّهون بالأموات ، يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، ألستُ قَدْ مُتُّ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء ..) أى من الفتنة لهذا والنجاة لذاك .

وهكذا يُحى الدجال الموتى الأقرباء لقريبهم بهذا الأسلوب الشيطانى عن طريق القرين الذى يتمثل ، حسب أوامر الطاغوت ، للناس فى صورة قريبهم المتوفى من قبل زاعمين أن هذا الأعور هو ربهم ، وهو الذى أحياهم ، فإذا رأى الرجل قريبه أمامه حياً يُرزق بعد موته بزمن ، وسمع نفس صوته وأخبره ببعض ما كان سراً بينهما تَلَبّس عليه الأمر وصدّق ووقع فى الفتنة المهلكة ، فتنة الدجال المخلدة فى النار والعياذ بالله

ومقدمة هذه الجبتية تحدث الآن فيما يعرف عند الناس بتحضير الأرواح عن طريق السلة أو أى طريق آخر وسؤال هذا الكائن الغيبى الذى يحضر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه ، فتأتى الإجابة صحيحة فيعتقد القريب أن هذا الكائن الغيبى الذى يخبر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه أن هذا الكائن الغيبى روح قريبه ، وهو قرينه الجنى الذى كان ملازماً له ويعلم عنه كل تفاصيل حياته .

ولقد روج بعض أعوان الدجال من شياطين الانس عن طريق الاعلام المقروء طريقه تحضير الجن القرين بالسلة باسم تحضير الروح ، افساداً لعقيدة المسلمين وتحضيراً لمرحلة

خروج الدجال الأخيرة حتى يصدقوا أن هؤلاء الذين يشبهون أقرباءهم الموتى هم أقرباؤهم قد أحياهم لهم ربهم الدجال.

ففتنة الدجال أو خروجه غير العلنى الجبتى المعاصر ما هو إلا تمهيد وإعداد لخروجه العلنى الطاغوتى الأخير ، كما أخبر بهذا الحديث الذى سبق ذكره .

ولقد قرب الحافظ ابن حجر من هذه الحقيقة الجبتية فذكر عناصرها الشيطانية الخفية وبطبيعة الحال لم يتصور العنصر التقنى الصناعى ، فلم يذكره لكنه مع هذا وضع الاحتمالين المذكورين آنفاً فقال رحمه الله فى كتابه فتح البارى شرحاً لقوله ﷺ (فناره ماء بارد وماؤه نار) : هذا كله يرجع إلى إختلاف المرئى بالنسبة إلى الرائى ،فإما أن يكون الدجال ساحراً ، فيُخيل الشئ بصورة عكسه ، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التى يسخرها الدجال ناراً وباطن النار جنة ، وهذا الراجح ، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة وعن المحنة والنقمة بالنار ، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته ، يؤول أمره إلى دخول الآخرة ، وبالعكس ، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة ، فيرى الناظر إلى ذلك من هشته النار فيظنها جنة وبالعكس) حقاً لقد تحيّر العلماء فى العصور الإسلامية السالفة فى أمر الدجال ، لكن بعد أن علمنا أن الجبت مزيج من السحر والتقنيات المتقدمة التى ليس لها نظير عند سائر البشر ، وضح لنا الأمر وزالت الدهشة وبطل التعجب وانكشف سره وإفتضح أمره

الكشف عن حقيقة الجبتيات الدجالية :

فما مع الدجال من خوارق خروجه الأول قبل الإسفار عن شخصه والثانى المصاحب للإسفار عن شخصه إما أن يكون مخترعات ومصنوعات تقنية متقدمة يُخفى على الناس أسرارها ، وإما أن يكون من قبيل السحر ومآزرة الشياطين له ، وإما أن يكون العمل الواحد منه أو معه أكثر تعقيداً وغرابة ، لأنه يكون مزيجاً من الإثنين معاً .

روى الإمام أحمد وابن خزيمة فى كتاب التوحيد والحاكم فى المستدرك مختصراً

وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض ، اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كفر ك ف ر مهجاة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء منهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابهما .

ومعه جبال من خبز والناس فى جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه نهر يقول : الجنة ، ونهر يقول النار ، فمن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة .

ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً فيحييها فيما يرى الناس ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول يا أيها الناس ، هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل ؟

فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً .

ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون هذا رجل جنى ، فينطلقون ، فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم أمامكم فيصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصّبح خرجوا إليه ، قال : فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه ، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله)

فانظر إلى هذه الرواية لقوله ﷺ (ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه) وقوله (ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس) أى مواجهة ومشافهة ، وقوله أيضاً (يأمر السماء تمطر

فيما يرى الناس) وقوله ﷺ (ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس) أليس فى هذا التعبير دلالة صريحة أنه يُحْدِث هذا كله فيما يرى الناس أى أمام أعينهم فحسب ، ومن ثم فهو لا يحدث حقيقة وواقعاً ، تماماً كما أخفى دافيدكوبر فيلد تمثال الحرية أو المكوك الفضائى فيما يرى الناس ، ثم إذابه واقف فى مكانه كما كان لم ينتقل من مكانه مطلقاً وإنما كان الاختفاء فيما يرى الناس ، وكذلك شق المنشار الكهربائى لخصره كان فيما يرى الناس ، وفيما تلتقط « الكاميرا » وتسجل أشرطة الفيديو وليس حقيقة وواقعاً . وكذلك ليس أسهل بعد ذلك أن تمطر السماء فيما يرى الناس أيضاً .

تلك جميعاً من جبتيات الدجال .

إذاً فقتل الرجل وإحياؤه والجنة والنار وإنزال المطر ، وظهور الموتى لاقاربهم يزعمون أن الدجال ربهم وأنه أحياهم وجبل الخبز الذى يتحكم فيه ويصاحبه ونهر الماء الذى يمتلكه كل هذا ليس واقعاً وليس حقيقة وإنما هو من الجبت الذى إما أن يكون من عمل الشياطين : سحراً وكهانة وغيرهما ، وإما تقنيات متقدمة لم يسمع عنها الناس من قبل وإما مزيج من الإثنين معاً ، ومن ثم فإن من يسمع عن هذه الأعمال التى تجرى على يديه لأول وهلة ويظن أنها حقيقة يهولن شأن الدجال ويرتفع شخصه فى نفسه ، فما بالك بالنسبة لمن يراها ؟!

فإذا علم أنه يستخدم ذلك كله ليعبده الناس من دون الله لعنه المسلم واحتقره وخفض شأنه ، وهذا ما يدل عليه الحديث الطويل الذى تضمن أكثر جبتيات الدجال وهو حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود مختصراً وابن ماجة والترمذى وقال عنه : هذا حديث غريب حسن صحيح ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ، ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا . فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة فخفّضْت فيه ورفّعت ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج

ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً : يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله : وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة ويوم كشهر ، ويوم كجمعه ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : أقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله ، وما أسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث إستدبرته الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماءفتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم ، فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلاً مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك ، إذ أوحى الله إلى عيسى : أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتلاهم فحرّز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النّغف فى رقابهم ، فيصبحون فرثى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه

إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يدركها كالزلقة ، ثم يقال للأرض : انبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرّسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلمة ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)

وما يهمنا الآن فى هذا الحديث ، الذى سنعود إليه مراراً عند الكلام عن الخروج الأخير العلنى للدجال ، هو قوله ﷺ عن سرعة الدجال (كالغيث استدبرته الريح) أى أنه كالعاصفة المحملة بالسحب الركامية التى تسوقها الريح السريعة أمامها ، وهذه سرعة الطائرات وبخاصة النفاثة ، لأن النفاثات تندفع برد فعل النيران المنبعثة من خلفها فتسبق الريح وتجعلها خلفها ، وهذا من الإعجاز النبوى الدال على صدق النبوة . وهذه من الجبتيات العلمية التقنية ، وهى جبتية بالنسبة للسابقين على عصر الطيران والصواريخ والفضاء الذين كانوا يظنون أنها من خوارق الدجال ، ولكنها لم تصبح جبتيه لأهل هذا العصر الذين يعلمون أنها صناعة تطبيقية لعلوم فيزيائية ، فهى ليست من الخوارق .

أما قوله ﷺ (فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) [1] فكما قلنا من قبل ، إما أن يكون هذا المطر الصناعى فى خروجه الأول الحالى ، وإما أن يكون هذا من جبتياته المصاحبة لخروجه العلنى ، لكن الملاحظ أن الحديث السابق أثبت أن مطر الدجال لا ينبت الشجر ، وإنما ينبت العشب والقمح والشعير والذرة من النباتات العشبية وقد زرعوا

---

(١) النبات ليس شجرا ، إنما هو عشب أو قمح أو شعير أو أى نباتات عشبية أخرى ، وكلها تروى بالرى المحورى بخلاف الشجر .

منها فى العالم المتحضر وفى أمريكا بصفة خاصة ملايين الأفدنة بالرى المحورى الذى يتم به إسقاط المياه على الأرض المزروعة من أعلى بما يشبه المطر ، ومن ثم يمكن تفسير هذا النص بوسائل الرى بالرش بعامة والمحورى بخاصة ، ثم لما استغلوا هذه المحاصيل للإنتاج الحيوانى بتقنيات متقدمة ، توصلوا إلى أحجام فى التسمين ، لم تعرفها البشرية من قبل وإلى كميات فى إنتاج الألبان بلغت إلى أكثر من خمسين كيلو جرام فى المتوسط من اللبن تدرها ضروع البقرة الواحدة فى اليوم وهذا هو معنى قوله ﷺ عقب إخباره عن أمر الدجال بانبات الأرض (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرّاً) كناية عن زيادة حجمها وتوالدها (وأسبغه ضروعاً) أى لم تعرف البشرية ضروعا أكثر منها حليباً .

أليس هذا هو ما حدث من النمو والتقدم فى العالم الغربى فى مجال الانتاج الغذائى النباتى والحيوانى ومنتجات الألبان ؟! حتى كانت ولا زالت عند السوق الأوربية المشتركة التى تغطى الثلوج أكثر بلادها شتاء ، مشكلة أطلقوا عليها جبل الزبدة ، لأن كميات الزبدة المتراكمة فى ثلاجات أوروبا لو وضعت بعضها فوق بعض لصارت فى إرتفاع جبل الهملايا أعلى قمة جبلية على الأرض .

لكن مَنْ هم الذين ينعمون بهذه الوفرة الغذائية ؟ يقول الرسول ﷺ رداً على هذا السؤال (فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء ، فتمطر ، والأرض فتنبت) .. الخ الحديث ، ومَنْ مِنَ الناس على وجه الأرض أعظم إستجابة للدجال وخضوعاً له ولبطانته الصهيونية أكثر من أمريكا وأوروبا ؟! ومَنْ مِنَ الناس أكثرهم وفرة فى المنتجات النباتية والحيوانية غير بنى الأصفر فى أمريكا وكندا وأوروبا ونيوزلندا وإستراليا ، على قدر إستجابتهم له يكون النمو الاقتصادى .

وهذا يستتبع سؤالاً آخر وهو : فما بال الشعوب التى لا تستجيب له ؟ يجيب رسول الله ﷺ بقوله (ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله) فينصرف عنهم فيصبحون مُمَحّلين ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أليس هذا هو حال الشعوب الإسلامية مع

اختلاف قومياتهم ؟! إذ من المعلوم أن أشد الناس عداوة له هم المسلمون ، أنظمتهم تمنيهم بالخطط الخمسية والرخاء ولكن ، هيهات هيهات ، إلا أن يكفروا بالله تعالى ويؤمنوا بالطاغوت ، ويبيحوا الفاحشة على قارعة الطريق ، ويتدرجوا فى أنواعها وأشكالها حتى زنى المحارم ، كما هو حادث الآن فى أمريكا وأوربا ويخضعوا حكومات وشعوباً وجيوشاً وجامعات وثقافة وإعلاماً أى قلباً وقالباً لليهود ، ويعلنوا العلمانية والإلحاد والتطاول على ذات الخالق سبحانه وعلى أنبيائه ﷺ جميعاً ، بكتب منشورة ومحروسة بقوة الدول باسم حرية الفكر والنشر (المجرم سلمان رشدى) فإذا ما كتب أحد المفكرين ما يكذب زعماً كاذباً تاريخياً لليهود عن عدد قتلى اليهود فى عهد هتلر (المفكر رجاء جارودى) حاكموه واضعين قيمة حرية الفكر والنشر تحت الأقدام ، صدقتَ يا رسول الله بأبى أنت وأمى ،ما نطقت عن الهوى ، لقد إستجاب بنو الأصفر للدجال فكرا وعقيدة وثقافة وأخلاقاً فعاشوا فى وفرة الطعام والشراب .

أما المسلمون الذى رفضوا النهج الطاغوتى الدجالى للحياة النجسة فقد صار محكوما عليهم أن يعيشوا ممحلين ، أى تحت خط الفقر .

ولكن أليس الله عز وجل قد منّ على أهل الجزيرة والخليج بالبترول ، فصاروا أغنياء ؟ بلى والله ، ولكن الشعوب تقاوم علمانية الدجال وإلحاده ومخططات التطبيع مع إسرائيل ، ومن ثم وضع الخطط التى تسلب منهم أموالهم ، وهذا هو ما حدث خلال العقد الأخير من القرن العشرين حتى صارت دول البترول الغنية تقترض .

أين أموالهم التى كانت كالجبال ؟ يجيب رسول الله ﷺ (فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أى حتى ما كان فى أيديهم من مال سُحب منهم .

وما الذى يمنع المسلمين أن ينهضوا بالزراعة والصناعة والتجارة بخطط مدروسة فيصيروا أغنياء مثل أهل أوربا وأمريكا واليابان وغيرهم ؟ مقاله خبيثة يرددها الغافلون أنصاف المتعلمين المسيطرون على الإعلام والفكر والثقافة فى بلاد الاسلام ، وهى أن العيب فينا وليس فى اليهود أو أمريكا أو أوربا ، لو أردنا أن ننهض إقتصادياً لنهضنا

ولصرنا مثل اليابان ، فلا تلوموا غيركم ، ولوموا أنفسكم ، لكن حديث رسول الله ﷺ الصحيح يكشف العلة عن فقر الفقراء فى الأرض وعن علة غنى الأغنياء ، وهى أن الأغنياءعبدوا الدجال من دون الله والفقراء رفضوا عبادته ، فأصبحوا ممحلين نتيجة المخططات الدجالية العاملة على إحباط مخططات التنمية عندهم من ناحية ، ولسلب أموالهم التى مصدرها الثروات الطبيعية كالبترول من ناحية أخرى .

لقد نهضت بعض الشعوب الإسلامية بخطط تنموية صناعية ناجحة ، وبدأوا يشقون الطريق نحو الرخاء مثل ماليزيا وأندونيسيا فجاءتهم الضربة القاصمة التى سحبت منهم ثمرة عشرين عاماً من التنمية والجهد والكفاح فعادوا كما كانوا .

إن أمثال هؤلاء تناسوا أن الاقتصاد المحلى لأى دولة صار مرتبطاً - بفعل الدجال ومخططات خبثاء صهيون - بعجلة الاقتصاد العالمى التى يملك مفاتيح تشغيلها اليهود بقيادة الدجال ، ومن ثم يوزعون الرخاء على الشعوب بمقتضى طاعة هذه الشعوب وإستجابتها لمخططاته وأوامره ، كما أخبرنا رسول الله ﷺ ، بل يصل أمر تحكمهم لدرجة سحب ثروات الشعوب منها من خلال أنظمة العملات الورقية والبورصات العالمية والمحلية والربا وغير ذلك من وسائل أكل أموال الناس بالباطل.

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول أن هذا الجزءمن الحديث قد تحقق وتعيشه البشرية اليوم ؟! وأن هذا يدل على ما سبق أن قررناه من أن الدجال قد خرج الآن خروجه الأول غير السافر بالسيطرة على مقدرات الأرض من خلال علو إقتصادى سياسى عسكرى إعلامى ثقافى خلقى ؟ بلى ، وليس أدل على هذا من فقر المسلمين وضعفهم والمذابح الجارية عليهم ، والمجاعات المسلطة عليهم ، وعقوبات العراق التى ليس لها مثيل فى التاريخ شاهد على ذلك ، ولن يشفع عند أمريكا التى هى ذراع الدجال القوية موت مليون طفل عراقى بسبب الحصار ، ولابد من إسقاط النظام الذى تحداه وقال : لا سأحتفظ بجيش قوى أدافع به عن نفسى ضد جيش إسرائيل العدو . ولا بد أن تُشن على العراق قريباً معركة يخرج فيها الدجال بالجيوش الأمريكية البريطانية التركية من خلة

بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً [1] ، كل هذا لأن العراق قال : لا لن ألقى سلاحى فأين حقوق الانسان وحق تقرير المصير ومبادئ الأمم المتحدة ؟! لتذهب إلى الجحيم .

الذهب رأس جبتيات الدجال :

قوله ﷺ (ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) وهذا النص يمكن فهمه من خلال تفسير تقنى معاصر ، ويمكن فهمه من خلال تفسير جبتى يصاحبه فى خروجه المعلن السافر . ، وليس ما يمنع أن ينطبق النص على الإثنين .

أما بالنسبة للتفسير التقنى الصناعى المعاصر فهو ينطبق على آبار البترول ، التى هى كنوز من الذهب الأسود لم تعرف البشرية فى تاريخها كنوزاً أثمن منها ، وقد ثبت أن أكثر آبار البترول تستخرج من القفار ، فهى أراضى خربة يمر أهل الحضارة الغربية الذين جاء وصفهم فى الأحاديث بأنهم شرار الخلق وينقبون بوسائلهم التقنية البترولية فتخرج وتسيل أنهاراً فى الأنابيب وتنقل إلى بلادهم ، والتشبيه بيعاسيب النحل يفيد ذهاب هذه الكنوز خلف الدجال ، أى خلف البلاد التى يسيطر بها على الأرض ، وهى أمريكا وأوروبا وملحقاتها ، وهذا هو الحادث الآن لأن أكثر البلاد إستهلاكاً للبترول هم بنو الأصفر هؤلاء الذين هم أكثر إستجابة وإيماناً وتنفيذاً لمخططاته وسواء أكان المقصود بالكنوز المواد البترولية أم أموال البترول فكلها تتبعه ، ألم تكن فوائض هذه الأموال فى بنوكه الأمريكية ثم استولى عليها ثمناً لإستيلاء قواته على بلاد المسلمين وبخاصة السعودية والكويت ؟! .

أما المعنى الجبتى فهو المعنى النصّى الذى يكون من شأنه أن الدجال يمر خلال الأربعين يوماً على الخربة أى المكان غير العامر ، الذى سبق وأن كان عامراً ثم أصابه

---

(١) سبق شرح هذا الحديث بكتاب النبوى للمؤلف

الخراب ولم يعد عامراً . ، وهذا يفيد أنه مكان أثرى ، ومن ثم فالمقصود أنه سيمر على أماكن أثرية بعينها ، يعلم هو ـ بمقتضى ما عنده من أسرار خلال مراحل حياته الممتدة عبر القرون ـ أن بهذه الخربة كنوزاً مدفونة ، ربما من آلاف ومئات السنين وبأسلوب جبتى شيطانى يدعو هذه الكنوز إلى الخروج من مخبئها فتخرج تتبعه طائرة كيعاسيب النحل .

وأغلب الظن أن هذه الخرابات المليئة بالكنوز هى الأماكن الأثرية فى أكثر بلاد العالم بعامة وفى مصر بخاصة ، إذ هى التى تحتوى أرضها على ربع آثار البشرية .

لقد عبد الفراعنة الذهب وطغت المادية عندهم على كل شئ ، حتى صار المال الذهبى صاحب القيمة الأعلى فى حياة المصرى ، ومن ثم حاول الفراعنة والمصريون القدماء التقليل من شأن موسى وهارون ، لأنهما لم يكونا يمتلكان ذهباً ، قال تعالى ﴿ **ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خيرٌ من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يُبين فلولا أُلقى عليه أسْورة من ذهب أو جاءمعه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين** ﴾ « الزخرف / ٥١ / ٥٦ » وهكذا طلب فرعون من موسى لكى يؤمن به : إما أن تُـلَقَى عليه من السماء أسورة من ذهب أو يأتى بالملائكة ، وهذا يدل على أن إيمانهم بالذهب كان فى مستوى الإيمان بالغيب حتى أنه خيّره – كشرط للإيمان به – أن يأتى بأحدهما .

وبنو إسرائيل ، الذين خرجوا من مصر ، وقد تأثر كثير منهم بالثقافة الفرعونية وبالقيم الفرعونية المادية الطاغية على غيرها من القيم الخلقية والروحية والمعنوية ، استطاع الدجال الذى عاش بينهم ، وصنع لهم العجل من الذهب الذى أخذوه من المصريين ليلة خروجهم ، وفتن كثيراً منهم بالعجل ، فعبدوه فى غياب موسى عليه الصلاة والسلام ، أقول : إستطاع أن يجند منهم بطانة جبتية يؤمنون بالذهب إلهاً ورباً ومعبوداً

يسعون ، من خلال إكتنازه بالفساد ، إلى العلو فى الأرض ، ومن ثم نسب الله تعالى إلى الذين كفروا من بنى إسرائيل الإيمان بالجبت والطاغوت .

ولما كان رأس الجبت هو الإعلاءمن كل ما هو مادى على أى قيمة معنوية أو روحية بل إنكار هذه الأخيرة ، لذا فإن الذهب الذى كان العملة المالية المصرية المتداولة فى مصر وما حولها حينئذ هو مطلب كل يهودى منخرط فى الوسائل والأعمال والمخططات الجبتية الهادفة إلى علو بنى إسرائيل فى الأرض كلها ، من خلال الافساد لجميع أوجه ونشاطات الحياة الإنسانية ، وأولها الافساد الاقتصادى ، إذ بدأوا منذ هذا الزمن المبكر التخطيط لجمع أموال البشر جميعاً تحت أيديهم ، هؤلاء اليهود هم بطانة الدجال التى تعلمت منه الوسائل والأساليب والمناهج والأعمال الجبتية المفسدة فى الأرض تلك التى تصب جميعاً فى جمع الذهب والاستيلاء على أموال البشر بشتى أساليب أكل أموال الناس بالباطل.

لقد كان كفرة اليهود فى المدينة فى العهد النبوى على وعى بهذه الحقيقة الجبتية حتى أنهم كانوا يعيشونها ويزاولونها إيماناً منهم بأن امتلاك الذهب سيكون القوة الرئيسية والعامل الرئيسى لعودتهم لبيت المقدس ، وإقامة دولة إسرائيل ، بعد أن يسيطروا على أقوى دول العالم ، ويصير لهم العلو فى الأرض ، كما نصت على هذا آيات سورة الإسراء فيهود المدينة الذين رفضوا الإيمان بما أنزل على خاتم الرسل والنبيين سيدنا وسيد الخلق محمد ﷺ وحاربوه وحاولوا أن يغدروا به ويقتلوه فى خيبر ، فنصر الله تعالى رسوله ﷺ وجاء فيهم حكم الله بالخروج من ديارهم وحشرهم إلى الشام إشترطوا أخذ أموالهم وسمح لهم رسول الله ﷺ ، فخرجوا من ديارهم جبناء أذلاء ، لكنهم كانوا يتطاولون برقابهم مستكبرين ، مظهرين شعورهم بالرضى والفرح لا لشئ – رغم أنهم كانوا فى أشد حالات الذلة والهوان – إلا لأنهم حملوا معهم ذهبهم وأموالهم ، وما هذا إلا لأن إله المشرك ومعبوده هو أعز ما لديه ، فإذا لم يفقده ، فكأنه لم يصب بأمر ذا بال حتى ولو كان الإجلاء عن موطنه وأرضه وبيته ، وهذا هو الذى جعلهم يخرجون

متظاهرين بالنصر ، لأنهم كانوا قد انخرطوا فى مخطط الدجال الجبتى الذى رأسه امتلاك مال البشرية بالإفساد ثم العلو من خلال هذا المال بامتلاك القوة العسكرية والسياسية والإعلامية ، فكانوا فى هذه المرحلة مؤمنين بالمال والذهب إلهاً وبقيادة الدجال الجبتية رباً يحققون به العلو الافسادى ، ويحقق هو بهم ربوبيته فى الأرض . ومن ثم أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ **ألم تر إلى الذين كفروا من أهل الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاءأهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ .

إن قصة امتلاك الشاب من بنى إسرائيل المال والدنيا ، ثم موته قبل أن يهنأ بما امتلك وجمع على مدى السنين ، تلك التى أوردناها بالجزء الرابع فى الأمارات الاقتصادية هى قصة الدجال الذى هو إله يهود ، وملك يهود هو الجبت الذى يؤمن به اليهود ، ويجتمع مجلسهم الاعلى المكون من ثلاثة عشر عضوا ليتلقوا ما يأتيهم من تعاليم وبروتوكولات الطاغوت ، أى أنه هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت ، هذا المجلس هو بطانة الدجال أو المجلس التنفيذى للأعمال والأهداف الجبتية التى على رأسها جمع ذهب البشرية بالإفساد ، وجعله تحت أيديهم باعتباره الدعامة الأولى للعلو فى الأرض .

لذا نقول إن مرور الدجال على الخربة ، فينادى على كنوزها فتتبعه ، يمكن أن يفسر بخطط التنمية للبلاد التى توافق الصهيونيةُ الحاكمةُ للأرض على تنميتها فيتحول الخراب والقفر إلى مصانع ومزارع وآبار بترول وتعدين ، ومن ثم يستخرج أهلها كنوزها فإذا ما صار عندهم فائض الانتاج فى صورة عملات ورقية مرتبطة بالدولار ، عملة الدجال واليهود الرئيسية ، أو فى صورة أسهم الشركات فى البورصة ، أو فى صورة سندات أو فى صورة أرصدة فى البنوك اليهودية أو غير ذلك من الصور المالية الجبتية المستحدثة ، فإن هذه الكنوز التى خرجت تكون بهذا قد ذهبت إلى الدجال بطريقة آلية كما يذهب اليعسوب خلف النحلة ، أليست أرصدة الدول وأموالها الاحتياطية فى بنوك أمريكا ؟ وهى بالعملة الأمريكية التى يتحكم فيها اليهود بقيادة الدجال ؟ وهذه الأرصدة ليست إلا فوائض جهد الشعوب ؟ : بلى

إذاً فمن يزعم بعد ذلك أن كنوز الأرض الخارجة بالزراعة الحديثة والصناعة والتعدين والتجارة لم تذهب إلى مركز الدجال الاقتصادى فهو مخطئ .

ومن ثم يكون قوله ﷺ عن الدجال (ويمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) قد تحقق وحدث .

ولنتساءل أين ذهبت فوائض أموال أندونيسيا وماليزيا وكوريا وغيرها من البلاد التى انهارت عملتها فضاع فى لحظة واحدة عرق شعوبها خلال أكثر من عشرين عاماً ؟

هذا التأويل لهذا النص النبوى الكريم واقع اليوم فى خروج الدجال المعاصر متمثلاً بوضوح فى الانظمة الاقتصادية والمالية الدجالية التى عمت البشرية والتى تتيح بسهولة ويسر إستيلاء الدجال واليهود على فوائض جهد الشعوب ومدخراتهم بسهولة ويسر مثل تتبع اليعاسيب للنحل ، فاليعاسيب فى هذا التشبيه هم الدجال وبطانته اليهودية والنحل يقابل عرق الشعوب وفوائض جهودهم ومدخراتهم حين تحول إلى بنوك اليهود .

ومع هذا فلا يمنع أن يحدث هذا مطابقاً مطابقة حرفية للصورة التى حملها النص فيمر الدجال فى خروجه الأخير العلنى على الخربة ، أى الموضع الأثرى ، الذى يعلم بأسلوبه الجبتى ، الذى يتعامل من خلاله هو وأتباعه مع الشياطين ، بأن فى الخربة كنز فرعونى مدفون وعليه حراسة من الشياطين مرصودين له بأساليب سحرية فرعونية قديمة ، تمنع من يقترب من الكنز ، مما عرفت آثاره بما أطلقوا عليه لعنة الفراعنة ، تلك التى راح ضحيتها كثير ممن تعبوا بحثاً عن الآثار أو الكنوز ، لكن الدجال بما لديه من جبتيات يمكنه أن يفك طلاسم هذه الحراسات الجنية بمقتضى التعاون الذى بين مملكته الشيطانية الإنسية ومملكة الشياطين الجنية ، ومن ثم تخرج له الشياطين الجنية المرصودة على هذه الكنوز فتحملها وتسير خلفه ، فلا يرى الناس سوى كنوزاً تطير خلقه كما تطير اليعاسيب خلف النحلة ، وليس لهذه الظاهرة عندما تحدث إلا النهج الجبتى الذى هو سحر أو علم متقدم أو هما معاً .

أرأيت كيف أن النص النبوى الكريم ببيانه المعجز ، يصدق على حال الخروج المعاصر للدجال ، وعلى حال الخروج الاخير المسفر فيه عن شخصه معاً ؟!

تلك الجبتيات الدجالية التى سيُعَمِّم أعمالها للناس إيهاماً لهم بأنه رب الناس الذى ينزل المطر وينبت الكلأ ويبارك الماشية ويبسط الرزق لمن يطيعوه ويضيق الرزق على الذين يعصوه ، ويسبق الريح ويحى الموتى يحدثون أرحامهم ، بل أنه يميت الرجل ويشقه نصفين ثم يحييه ، وكل هذه الجبتيات ليثبت أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، مع أن هذه الأعمال كلها ليست حقيقية ، وإن ظن الناس عند عرضها عليهم أنها حقيقية ، وبمقتضى هذا الظن قال النواس راوى الحديث (فخفّض فيه ورفع) أى أن رسول الله ﷺ خفّض من شأن الدجال لما ذكره (دجالاً كذاباً أفّاقاً) ورفّع من شأنه لما ذكر أنه يفعل كذا وكذا من هذه الجبتيات ، فهال أمره بعض الصحابة وأصابهم الخوف منه حتى ظهر هذا على وجوههم ، إذ توقعوا أن عنده من القوى ما يمكن أن يخرج عليهم فى التو واللحظة من خلف النخل الذى يجلسون تحته ، فلما راحوا إلى النبى ﷺ عرف هذا الخوف فى وجوههم (فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفّضت ورفّعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم) وهكذا هوّن رسول الله ﷺ من شأنه ، وفى هذا إشارة إلى أن ما سمعتموه عن القتل والإحياء والامطار والانبات كلها أمور جبتية أى علمية أو سحرية أو هما معاً أى أن فى الأمر دجل ، ومن ثم فهو لهذا ولغيره ، يسمى الدجال .

يؤكد أن ما يفعله ليس بحقائق ولا واقع صحيح ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرك (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) فهى إذاً شبهات وليست حقائق . ولكنها تبدو كأنها حقائق بالأساليب والوسائل الجبتية ، وحيث قد كان المسيح عيسى بن مريم ﷺ يبرئ الأكمه

والأبرص فى عصره الذى لم يكن الاطباء يعرفون لهذين الداءين علاجاً ، وحيث سيزعم الدجال عند خروجه العلنى الأخير أولاً أنه المسيح ثم يزعم أنه الله ، فإنه سيبرئ أيضاً الأكمه والأبْرص ، ليدلل على أنه المسيح الذى ينتظره الكتابيون جميعاً إمعاناً فى التضليل والخداع ، وهذا ما جاء فى حديث الطبراني فى الكبير والأوسط برجال ثقات عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ، وقد قلت فيه قولاً لم يقله أحد قبلى : آدم جَعْد ممسوح عين اليسار ، على عينه ظفرة غليظة ، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويقول : أنا ربكم ، فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه ، ومن قال : أنت ربى فقد أفتتن ، يلبث فيكم ما شاء الله ، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمد ﷺ على ملته إماما مهدياً وحكماً عدلاً فيقتل الدجال) فكان الحسن يقول : ونرى أن ذلك عند الساعة .

فإبراء الأكمه والأبرص سيكون بعلاج علمى يحتفظ هو بسره، ليبدو أمام الناس إعجازاً فهو إذاً من أعمال الجبت ما دام سر هذا الكشف العلمى مجهولاً ، لأنه يصبح بجهل الناس بسره شأنه شأن السحر وأعمال الشياطين الذين سيصيرون جنوداً للدجال عند خروجه العلنى لفتنة الناس بهذه الجبتيات التى يشاهد الناس نتائجها ، ولا يشاهدون أسبابها فيعتبرونها خوارق ومعجزات وآيات تدلل على صدق دعوة الدجال بالنبوة أولا ، ثم بالربوبية بعد ذلك .

يدل على هذا الحديث الذى رواه نعيم بن حماد فى الفتن وأورده صاحب كنز العمال كما أورده فى التويجرى فى « إتحاف الجماعة » وقوّى ضعفه ، عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود ، وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ويُحييهم معه جبل من ثريد ونهر من ماء ، وإنى أنعت لكم نعته : إنه يخرج ممسوح العين ، فى جبهته مكتوب كافر ، يقرؤه كل من كان يحسن الكتاب ومن لا يحسن فجنته نار ، وناره جنة ، وهو المسيح

الكذاب ، ويتبعه من نساءاليهود ثلاثة عشر ألف أمرأة ، فرحم الله رجلاً منع سفيهه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ بالقرآن ، فإن شأنه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له : إستعن بنا على ما شئت فيقول : نعم : انطلقوا فاخبروا الناس أنى ربهم ، وأنى قد جئتهم بجنتى ونارى ، فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان ، فيتمثلون له بصورة والده وولده وإخوته ومواليه ورفيقه ، فيقولون : يا فلان أتعرفنا ؟ فيقول لهم الرجل : نعم ، هذا أبى ، وهذه أمى ، وهذه أختى ، وهذا أخى ، فيقول الرجل : ما نبؤكم ؟ فيقولون : بل أنت فأخبرنا ما نبؤك ؟ فيقول الرجل : إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فتقول له الشياطين : مهلا لا تقل هذا ، فإنه ربكم يريد القضاء فيكم ، هذه جنة قد جاء بها ونار ، ومعه الانهار والطعام ، فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء الله ، فيقول الرجل : كذبتم ما أنتم إلا شياطين ، وهو الكذاب ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدّث حيثكم ، وحذرناه وأبناءنا به ، فلا مرحباً بكم ، أنتم الشياطين ، وهو عدو الله ، وليسوقن عيسى بن مريم حتى يقتله فيخسؤوا فينقلبوا خاسئين ثم قال رسول الله ﷺ : إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم ، وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنته أشد الفتن) [1]

فالشياطين المصاحبة للدجال بأعداد كالجيوش فى كل بلد عندما يتمثلون للناس فى صور أرحامهم الموتى يكون هذا من أخطر أعمال الدجال الجبتية التى ستتم بلا شك بتنسيق بين قسمى مملكة الشر الطاغوتية : قسم أبالسة وشياطين الجن ، وقسم أبالسة وشياطين الانس ، ومن ثم فهى فتنة شديدة مهلكة لمنْ لا يعرف أسرارها الخبيثة ، وهى فتنة ضعيفة هينة لمن يعرف هذه الأسرار ، من أجل ذلك شدد رسول الله ﷺ على ضرورة تبليغها وفهمها وتعقلها ووعيها بقوله ﷺ (إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفقهوه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنته أشد الفتن) أى على من لا يعرف جبتيات الدجال المتضمنة لأساليبه الخداعية الدجالية

ولم اقرأ من حديث رسول الله ﷺ توصية بالتعقل وبالتفقه وبالفهم وبالوعي ، ولم اقرأ أمراً منه بالبلاغ للغير جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرنا ، مثلما وصى وأمر حيال ما أخبرنا عن الدجال بعامة ، ثم عن حقيقة جيوش الشياطين الخارجة معه فى ظهوره العلنى الأخير بخاصة .

اللهم فاشهد أنى قد حدثت جيلى ، وبلغت ما علمتنى سبحانك وعلمنى رسولك ﷺ عن الدجال ، وأخبرت ما أعتقد صحته[١] وهو خروجه المعاصر غير المعلن ، المهيئ لخروجه النهائى المرتقب ، الذى سيظهر نفسه للناس ربا ، وملكاً لأكثر شعوب الأرض ، توطئة لظهور الطاغوت الذى سيزعم أنه إله الناس .

اللهم هذا نداء وعليك سبحانك البلاغ لأكثر أبناء الأمة الإسلامية فهذا البلاغ لا حول لى به ولا قوة ، وتقبل منى جهدى الضئيل الضعيف طاعة لرسولك الكريم الحبيب المصطفى ﷺ ، وتنفيذاً لوصيته ، وبياناً لنصيحته ، وأجعله فى رضاك ، ونجنا وأهلنا وأخواننا وأصدقائنا ، وسائر أمة رسولك ﷺ أجمعين من فتنة الطاغوت والجبت والدجال أجمعين .

أيها المسلمون لقد أظلكم زمان ظهور الدجال فاحذروا أن تنخدعوا بجبتياته التى رأسها عبادة الذهب والدولار وذراعاها تطبيقات العلم الصناعية التقنية والسحر ، وكل أعمال شياطين الانس والجن التى استراتيجيتها أن يصير المسيح الدجال أى الجبت رب الناس وملك الناس والطاغوت إله الناس .

وهذا ما سيأتى بيانه عند تفصيل ظهوره العلنى الأخير بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

---

(١) عن إتحاف الجماعة للتويجرى مجلد / ٣ ص ٦٧ .

الفهرس

● كتب للمؤلف ●

١ – القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول – فى الكتاب والسنة	ثلاث طبعات
٢ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثانى » : عند السلف والمتكلمين .	ثلاث طبعات
٣ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثالث » :– عند الفلاسفة .	ثلاث طبعات
٤ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الرابع » :– عند الصوفية .	تحت الطبع
* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .	
٥ – الأصول الإعتقادية للمعرفة فى الإسلام .	طبعة واحدة
٦ – الإسلام والعلم التجريبى .	طبعة واحدة
٧ – إستخلاف الإنسان فى الأرض .	ثلاث طبعات
٨ – قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة .	طبعتان
٩ – الإنسان والشيطان .	ثلاث طبعات
١٠ – مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان .	ثلاث طبعات
١١ – محاضرات فى العقيدة الإسلامية .	ثلاث طبعات
١٢ – توفيق الحكيم لمن أستمع وإلى من تحدث .	طبعة واحدة
١٣ – مقومات المجتمع المسلم .	ثلاث طبعات
١٤ – البيان النبوى بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى .	طبعتان
١٥ – الخلافة الإسلامية :– حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها .	طبعة واحدة
١٦ – التوحيد : الجزء الأول (معرفة الله عز وجل)	طبعة واحدة
١٧ – التوحيد : الجزء الثانى (العلم به عز وجل)	تحت الطبع

١٨ - المدخل إلى العقيدة الإسلامية . — تحت الطبع

١٩ - حكم الإسلام فى استخدام العنف فى الدعوة والإصلاح . — طبعة واحدة

● موسوعة أشراط الساعة ●

٢٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول : - وهو الإصدار الثانى لكتاب زلزال الأرض العظيم . — طبعتان

٢١ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى : « المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة » . — طبعة واحدة

٢٢ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث : « الأمارات العلمية والتكنولوجية فى الكتاب والسنة » — طبعة واحدة

٢٣ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع : « الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية » . — طبعة واحدة

٢٤ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس : « المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت » — طبعة واحدة

٢٥ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس « أحداث ما قبل المهدى » — تحت الطبع

٢٦ - القيامة الصغرى الجزء السابع : « المهدى عليه السلام » — تحت الطبع

٢٧ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن : « الملحمة العظمى وفتح أوروبا » . — تحت الطبع

٢٨ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع : « نزول المسيح عليه السلام » — تحت الطبع

٢٩ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر : « يأجوج ومأجوج » — تحت الطبع

٣٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادى عشر « ما بعد المسيح عليه السلام إى قيام الساعة » — تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عد الرحمن فاروق الدسوقي

ت / ٥٥٧٢٦٦٠ / ٠٣ - ١٤١٨٧٨٣/ ٠١٠ الاسكندرية

تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية :

١ - مكتبة مدبولى - ٦ ميدان طلعت حرب / ت : ٥٧٥٦٤٢١

- طريق النصر - مدينة نصر / ت : ٤٠١٥٦٠٢ القاهرة

٢ - مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبى دانيال / ت : ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ الإسكندرية

٣ - مكتبة دار العقيدة للتراث : ١٠١ شارع الفتح باكوس أمام محطة الترام ت :٥٧٠٧٣٢١ الإسكندرية

٤ - دار الدعوة للنشر والتوزيع ١ ش منشا - محرم بك ت : ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

٥ - لدى مكتبات ومعارض وكالة الأهرام للنشر والتوزيع .

٦ - لدى مكتبات ومعارض وكالة الأخبار للنشر والتوزيع .

٧ - لدى باعة الجرائد فى جميع المحافظات توزيع الأهرام والأخبار .

- **إنتظرونا في الجناح الخاص بكتب الأستاذ الدكتور / فاروق الدسوقي بمعرض القاهرة الدولي للكتاب من كل عام .**

هذا الكتاب

إحرثوا القرآن لتكتشفوا فيه المسيح الدجال

تضمنت كتب السنة الشريفة كتباً وأبواباً عن المسيح الدجال ، لكن بعض أصحاب القلوب الزائغة شككوا فى وجوده محتجين بعدم ذكره فى القرآن الكريم ، وما سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه و[illegible] (أحرثوا القرآن) أى فتشوا فيه . وذلك لأن الحقائق ال[illegible] قد تستخرج من بين كلماته أو من بين آياته ، أو من بين سور ولو علموا ماتضمنته نصوصه عن مملكة الشر وثالوثها الخبيث : إبليس ، الجبت ، الطاغوت ، لأيقنوا أن المسيح الدجال مذكور فى أكثر السياقات القرآنية التى تتحدث عن الشر ومصادره والضلال وعلله والطغيان ومنابعه فى عالم الثقلين الابتلائى . وهذا ما ستعلمه بأدلته أخى القارئ فى ثنايا هذا الجزء من الموسوعة . أحمد الله العلى القدير أن وفقنى إلى حراثة كتابه كما أرشد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأسجد له شاكراً أن رزقنى إستنباط سر هذا الثالوث النجس والكشف عن شخصية المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت . أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد الضعيف القليل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يقى به أمة المصطفى الخاتم صلى الله عليه وسلم أعظم الفتن فى تاريخ البشرية على الإطلاق . والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .